تنقيح المداد

بشرح كتاب ابن أبي يعلى في الاعتقاد

كتبه

د. عصام بن عبد الله السناني
عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة القصيم
(عام ١٤٢٧هـ)

قرأه وقدم له
معالي العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

التراث الذهبي
الرياض

تنقيح المداد

تنقيح المداد
بشرح كتاب ابن أبي يعلى في الاعتقاد

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ ـ ٢٠١٩م

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

❖ الرئيسي - حولي - شارع المثنى - مجمع البدري
ص. ب: ١٠٧٥ . الرمز البريدي ٣٢٠١١
ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤
❖ فرع حولي - شارع المثنى ـ تلفون: ٢٢٦١٥٠٤٦
❖ فرع المباركية - مقابل مسجد ابن بحر ـ ت: ٢٢٤٩٠٦٠٤
❖ فرع الفحيحيل البرج الأخضر شارع الدبوس ـ ت: ٢٥٤٥٦٠٦٩
❖ فرع المصاحف - حولي - مجمع البدري: ت: ٢٢٦٢٩٠٧٨
❖ فرع الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ التراث الذهبي ت: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨
الساخن: ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩

E – mail: z. zahby74@yahoo. com

تَنْقِيحُ المِدَاد

بشَرْحِ كتابِ ابن أبي يعلى في الاعتقاد

كتبه

د. عصام بن عبد الله السناني

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة القصيم

(عام ١٤٣٧هـ)

قرأه وقدم له

معالي العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه

وبعد: فقد اطلعت على شرح الشيخ الدكتور عصام السناني على عقيدة ابن أبي يعلى فوجدته شرحاً وافياً في توضيح هذه العقيدة السلفية فجزاه الله خيراً ونفع بعلمه وبشرحه إنه سميع مجيب.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

في ١٤٢٨/٢/١هـ

تقدمة وتوطئة للشرح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.. فهذا شرح ميسر لكتاب الاعتقاد لأبي الحسين ابن أبي يعلى الفراء، كنت ألقيته بطلب من الإخوة في وزارة الأوقاف في دولة الكويت في إحدى الدورات العلمية هناك، لكني لم أتمكن من إتمام الكتاب في تلك الدورة، فقمت بشرح الكتاب مرة أخرى شرحًا تاماً مسجلاً على الشبكة العنكبوتية في دورة العلامة ابن سعدي التي تقام في الجامع الذي أقوم بالإمامة والخطابة فيه في محافظة عنيزة من نفس العام من سنة (١٤٣٧هـ)، ثم قمت بتحريره، وتوثيق نقوله، وتخريج أحاديثه، وكتابة مقدمته لأجل تهيئته للطباعة، وقد تفضل شيخنا العلامة صالح بن فوزان الفوزان مشكورًا بقراءة الكتاب والتقديم له، فأسأل الله أن ينفع بالأصل والشرح وأن يجعله ذخرًا لي يوم ألقاه. ولنبدأ أولاً بترجمة للمؤلف وتوثيقًا لكتابه من خلال عدة عناصر:

۞ الأول: اسمه ونسبه وكنيته:

هو: أبو الحسين محمد بن محمد بن حسين بن محمد بن خلف بن أحمد الحنبلي، البغدادي، المشهور بالقاضي أبي الحسين ابن أبي يعلى الفراء(١)، فهو

(١) قال السمعاني في الأنساب (١٠/١٥٣): "الفَرَّاء: بفتح الفاء وتشديد الراء المفتوحة،=

ابن شيخ المذهب الحنبلي، القاضي الكبير أبي يَعْلى الفراء[(١)].

الثاني: ولادته ووفاته:

وُلد المؤلف القاضي أبو الحسين ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة للهجرة، وكان للقاضي أبي الحسين بيت في داره بباب المراتب[(٢)] يبيت فيه وحده، فعلم بعض من كان يخدمه ويترددُ إليه بأن له مالاً، فدخلوا عليه ليلاً، وأخذوا المال وقتلوه غيلة، في ليلة عاشوراء ليلة الجمعة، سنة ست وعشرين وخمسمائة، وصُلِّيَ عليه يوم السبت الحادي عشر من محرم، ودُفِن عند أبيه في مقبرة باب حرب[(٣)]، وكان يوما مشهودًا،

= هذه النسبة إلى خياطة الفراء وبيعه". ثم ذكر فيمن ينسب لها أبو يعلى وابنه أبو الحسين المترجم له هنا.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٠٩/١٤)، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣٩١/١)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٢٧٤/١٧ ـ ٣٩٨٠)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح (٤٩٩/٢ ـ ١٠٥٨).

(٢) هو اسم باب لمحله كانت ببغداد فارهة المسكن غالية الثمن؛ لأنها أحد أبواب دار الخلافة، قال ياقوت في معجم البلدان (٣١٢/١): "بابُ المَراتِبِ: هو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد، كان من أجلّ أبوابها وأشرفها، وكان حاجبه عظيم القدر ونافذ الأمر، فأما الآن فهو في طرف من البلد بعيد كالمهجور، لم يبق فيه إلا دور قوم من أهل البيوتات القديمة، وكانت الدور فيه غالية الأثمان عزيزة الوجود في أيام السلاطين ببغداد، لأنه كان حرما لمن يأوي إليه، فأما الآن فليس للمساكن فيه قيمة".

(٣) قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٣٣/١): "وينسب باب حرب إلى حرب بن عبد الله أحد صحابة أبي جعفر المنصور، وإليه تنسب أيضا المحلة المعروفة بالحربية". قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٣٠٧/١): "وفي مقبرة باب حرب أحمد بن حنبل وبشر الحافي وأبو بكر الخطيب، ومن لا يحصى من العلماء والعباد والصالحين وأعلام المسلمين".

وقد أمكن الله من قاتليه، فقتلوا كلهم. وله أربع وسبعون سنة[١].

الثالث: شيوخه وتلاميذه:

أخذ المؤلف أبو الحسين عن أكابر علماء عصره، وحمل عنه كبار الحفاظ والعلماء من الطبقة التي تلي طبقته:

* فمن شيوخه: والده القاضي أبو يعلى، والحافظ الكبير أبو بكر الخطيب البغدادي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ابن منده، وأبو بكر الخياط، وأبو الحسين بن المهتدي بالله، وأبو الحسين بن النقور، وأبو الحسين العاصمي، وعبد الخالق بن عيسى الهاشمي العباسي الشريف، وعبد الصمد ابن المأمون، وعبد المغيث الحربي، وأبو جعفر محمد بن أحمد بن الْمسلمَة، وأبو المظفر هناد النسفي. وأجاز له أبو محمد الجوهري.

* ومن تلاميذه والرواة عنه: الحافظ أبو طاهر السِّلفي، والحافظ ابن عساكر، والحافظ أبو موسى المديني بالإجازة، والحافظ أبو الفضل محمد ابن ناصر، والحافظ أبو سعد السمعاني بالإجازة، والحافظ عبد الله ابن الخشاب، وأَبُو الحسين البراندسي الفقيه، والجنيد بن يعقوب الفقيه، وتمَّام ابن عمر بن الشَّنَّاء، وذاكر الله بن إبراهيم الحربي، وعبد الغني ابن الحافظ أبي العلاء الهمداني، وعلي بن عمر الواعظ، وعلي بن المرحب البطائحي، وأبو علي ابن الحريف، وعبد الله بن محمد بن عُلَيَّان، وعبد الوهاب بن أبي

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١١/٤٥٣ ـ وفيات سنة ٥٢٦)، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/٣٩١)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح (٢/٤٩٩)، شذرات الذهب لابن العماد (٦/١٣٠ ـ وفيات سنة٥٢٦).

حبسة، والمبارك بن الطباخ، ومحمد بن غنيمة بن القاق، وأَبُو نجيح محمود ابن أبي المرجا الحنبلي، ومظفر بن إبراهيم البري، ومعمر بن الفاخر، ويحيى ابن بوش، وأبو الفرج ابن كليب الحراني بالإجازة(١).

۞ الرابع: مكانته وثناء العلماء عليه:

برع المؤلف أبو الحسين الفراء في علوم شتى خاصة ما يتعلق بدقائق فقه الحنابلة وأصوله فقد كان له به عناية فائقة، حيث كان أبوه شيخ الحنابلة في عصره، ثم تصدى بعد ذلك صغيراً للتأليف والتدريس والمناظرة والسماع والإسماع:

قال برهان الدين ابن مفلح في ترجمته: "القاضي الشهير أبو الحسين ابن شيخ المذهب القاضي أبي يعلى، قرأ ببعض الروايات على أبي بكر الخياط، وسمع الحديث من أبيه وعبد الصمد بن المأمون وأبي بكر الخطيب وطبقتهم، وتوفي والده وهو صغير فتفقه على الشريف أبي الشريف، وبرع في الفقه، وأفتى وناظر"(٢).

وقال أبو الحسين محمد الفرَّاء في رسالته هذه وذكر حديثاً استدل به: "أخبرني المبارك بن عبد الجبار الصيرفي في حلقة والدي ﵀ بجامع المنصور

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٠٩/١٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤٥٣/١١ ـ وفيات سنة ٥٢٦)، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣٩١/١)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح (٤٩٩/٢)، شذرات الذهب لابن العماد (١٣٠/٦ ـ وفيات سنة٥٢٦)، والأنساب للسمعاني (١٥٥/١٠)، وانظر في طبقات الحنابلة للمؤلف (١٢٧/١) روايته عن ابن منده.

(٢) المقصد الارشد (٤٩٩/٢).

بإسناده عن عبد الله"، فذكره، وستأتي[١].

وقال أبو نصر اليونارتيُّ: "سمعت أبا الحسين ابن الفرَّاء يقول: أوَّل ما حدَّثت كان لي عشرون سنة، قرأ عليَّ أبو الحسن القرشي الهكَّاري الصُّوفي شيئاً من تصنيف أبي"[٢].

وقال عنه السِّلفي: "وكان كثيرًا ما يتكلم في الأشاعرة، ويقول فيهم ويسمعهم، لا تأخذه في الله لومة لائم، وله تصانيف في مذهبه، وكان دَيِّنًا ثقة ثبتاً، سمعنا منه"[٣].

وقال ابن النجار: "تميز وصنف في الأصلين والخلاف والمذهب، وكان متديناً، جميل الطريقة، محمود السيرة، ثقة، صدوقًا"[٤].

وقال الذهبي: "الإمام العلّامة الفقيه القاضي، أبو الحسين محمد بن القاضي الكبير أبي يعلى.. وبرع وناظر، ودرس وصنف، وكان يبالغ في السنة، ويلهج بالصفة"[٥].

وقال عنه في موضع آخر: "برع في المذهب، ودرَّس، وناظر، وصنَّف، وكان متشدِّدًا في السُّنة، يرجع إلى فضل وتمييز"[٦].

(١) انظر هذه الرسالة الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٢٩) تحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس.
(٢) تاريخ الإسلام (٤٥٣/١١ ـ وفيات ٥٢٦).
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٦٠٢/١٩)، تاريخ الإسلام (٤٥٣/١١ ـ وفيات ٥٢٦).
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٦٠٢/١٩)، تاريخ الإسلام (٤٥٣/١١ ـ وفيات ٥٢٦).
(٥) سير أعلام النبلاء (٦٠١/١٩).
(٦) تاريخ الإسلام (٤٥٣/١١ ـ وفيات ٥٢٦).

وقال عنه أيضاً: "كان مفتياً مناظراً عارفاً بالمذهب ودقائقه، صلباً في السُّنة، كثير الحطِّ على الأشاعرة، استشهد ليلة عاشوراء"[(١)].

وقال عنه ابن رجب: "برع في الفقه وأفتى وناظر، وكان عارفاً بالمذهب، متشدداً في السنة[(٢)]، وله تصانيف كثيرة في الفروع والأصول، وغير ذلك"[(٣)].

۞ الخامس: مصنفاته:

ألف المؤلف كتباً كثيرة، وهي على ثلاث طرائق:

❊ الأول: المصنفات في الفقه وأصوله:

١ ـ التمام لكتاب الروايتين والوجهين. "الذي لأبيه".

٢ ـ المسائل التي حلف عليها أحمد. (مطبوع)

٣ ـ المفردات في الفقه.

٤ ـ المجموع في الفروع.

٥ ـ رؤوس المسائل.

٦ ـ المفتاح في الفقه.

---

(١) العبر في خبر من غبر (٤٢٩/٢).

(٢) نقل ابن مفلح عبارة ابن رجب بحروفها في المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لكن قال: "مسددًا في السنة" بدل "متشدداً في السنة، والذي وصفه بالتشدد هو ابن الجوزي في المنتظم (٢٧٤/١٧) لأنه كان منحرفاً عن أهل السنة في الاعتقاد.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٣٩٢/١). ونقل مثل ذلك في المقصد الارشد لابن مفلح (٤٩٩/٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٩٤/١٦)، وشذرات الذهب لابن العماد (١٣٠/٦).

٧ ـ المفردات في أصول الفقه.

٨ ـ المقنع في النيات

❊ الثاني: المصنفات في الاعتقاد:

٩ ـ الاعتقاد. (مطبوع)

١٠ ـ إيضاح الأدلة في الرد على الفرقة الضالة المضلة.

١١ ـ الرد على زائغي الاعتقاد في منعهم من سماع الآيات.

١٢ ـ شرف الاتباع وسرف الابتداع.

١٣ ـ تنزيه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

❊ الثالث: المصنفات في التراجم والفضائل والحديث:

١٤ ـ طبقات الحنابلة، وهو الذي ذيل عليه ابن رجب. (مطبوع)

١٥ ـ المجرد في مناقب الإمام أحمد.

١٦ ـ جزء من حديثه عن والده[١].

۞ السادس: عن كتابه الاعتقاد:

❊ سبب تأليف الكتاب:

كانت كتابة هذه الرسالة جوابًا عن سؤال سائل عن اعتقاده وما يدين به ربه، فأجاب بهذه الرسالة قائلاً أولها: "أما بعد: أعاذنا الله وإياك من التكلف

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٩٢)، شذرات الذهب لابن العماد (٦/١٣٠)، الأعلام للزركلي (٧/٢٣).

لما لا يحسن والادعاء لما لا نتقن، وجنبنا وإياك البدع والكذب فإنهما شرّ ما احتقب، وأخبث ما اكتسب. فإنك سألت عن مذهبي وعقدي، وما أدين به لربي ﷻ لتتبعه فتفوز به من البدع والأهواء المضلة، وتستوجب من الله ﷻ المنازل العلية، فأجبتك إلى ما سألت عنه، مؤملاً من الله جزيل الثواب، وراهباً إليه من سوء العذاب، ومعتمداً عليه في القول بالتأييد للصواب".

وقال في آخرها: "فهذا اعتقادي وما أدين به لربي، وهو الذي مضى عليه والدي ﵀" كما سيأتي(١).

❊ موضوع الكتاب:

بيان اعتقاد المؤلف ووالده القاضي أبي يعلى الموافق لاعتقاد أهل السنة والجماعة عنده، فالكتاب يشتمل على المسائل الآتية:

١ ـ الإيمان بالله وتوحيده.

٢ ـ الإسلام والإيمان.

٣ ـ صفة الكلام، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

٤ ـ الصفات الثابتة لله تعالى في الكتاب والسنة: كالعلم، والحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، واليمين، والنزول، والضحك، والمجيء، والساق، وغير ذلك من الصفات.

٥ ـ بيان أن من شبه الله بخلقه فقد كفر.

(١) وانظر: كتاب الاعتقاد (ص: ٢٣، ٤٧) تحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس.

٦ ـ منهج أهل السنة في الأسماء والصفات.

٧ ـ الإيمان بالقدر.

٨ ـ الإيمان بعذاب القبر.

٩ ـ الإيمان بالبعث والصراط.

١٠ ـ الإيمان بالميزان.

١١ ـ الحوض والشفاعة.

١٢ ـ الحساب والجنة والنار.

١٣ ـ نبوة محمد ﷺ.

١٤ ـ إعجاز القرآن الكريم.

١٥ ـ الإسراء والمعراج.

١٦ ـ حقوق النبي ﷺ وتعظيمه.

١٧ ـ المفاضلة بين الصحابة.

١٨ ـ هجر أهل البدع.

١٩ ـ خاتمة المؤلف[١].

* توثيق الكتاب:

لم أقف على من ذكر هذا الكتاب في مصنفات القاضي ابن أبي يعلى ممن ترجم له من القدماء، لكن تثبت نسبة الكتاب عنه من طرق:

(١) انظر: مقدمة تحقيق كتاب الاعتقاد (ص: ١٥) للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس.

١ ـ أنه جاء في أول هذا الكتاب إسناده لابن أبي يعلى، قال: "كتاب الاعتقاد، رب يسر، أخبرنا الشيخ الأجل أبو سعيد عبد الجبار بن يحيى بن علي بن هلال الأعرابي قراءة عليه وأنا أسمع، وذلك في يوم الجمعة ثالث عشر من شوال سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة للهجرة (٥٧٣هـ)، (قثنا) القاضي الأجل أبو الحسين محمد بن محمد بن الفرّاء.. "، فساق الرسالة[(١)].

٢ ـ أنه جاء صحة سماع الكتاب من ابن الأعرابي الذي رواه عن أبي يعلى بخطه على سماعات الكتاب، وجاء كذلك عن جماعة من الحفاظ الأعلام إثبات سماعهم بخطوطهم لهذا الكتاب فيها، كالحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي، والحافظ يوسف بن عبد الهادي[(٢)].

٣ ـ روى كتاب الاعتقاد العلامة الرّوداني بإسناده إلى ابن الأعرابي عن ابن أبي يعلى في ثبته المسمى "صلة الخلف بموصول السّلف"[(٣)]. وكذا ذكره في ترجمة ابن أبي يعلى الزركلي في كتابه "الأعلام"، وأشار لمخطوطته في المكتبة الظاهرية[(٤)].

٤ ـ أن ابن أبي يعلى عزا بعض الآثار لوالده القاضي أبي يعلى، وكلها جاءت في كتاب أبيه "إبطال التأويلات" كما سيأتي[(٥)].

---

(١) كتاب الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٢٢) تحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس.
(٢) انظر مقدمة كتاب الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٣٩) للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس.
(٣) صلة الخلف بموصول السّلف (ص: ٧٢).
(٤) الأعلام (٧/٢٣).
(٥) انظر كتاب الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٣٩) تحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، وهو المعتمد في هذا الشرح.

۞ السابع: كتاب ابن أبي يعلى في ميزان اعتقاد أهل السنة والجماعة:

※ مصدر التلقي في اعتقاد أهل السنة والجماعة:

يبني أهل السنة والجماعة عقيدتهم على نصوص الوحيين وإجماع سلف الأمة من الصحابة وأتباعهم لا يتجاوزون ذلك، وليس اعتقادهم مذهبًا لشخص أو طائفة دون أخرى، كما زعمتْ جماعةٌ مخذولة من المخالفين لأهل السنة والجماعة خاصة في باب الأسماء والصفات، حين زعموا أن هذه العقيدة التي يعتقدها أهل السنة والجماعة السلفيون ـ كما في هو كتاب "العقيدة الواسطية" ـ، إنما هي عقيدة ابن تيمية أو ابن عبد الوهاب لا عقيدة الإمام أحمد والحنابلة، ولا عقيدة الأئمة الآخرين كأبي حنيفة والشافعي ومالك، وأخذ هؤلاء الخالفون المخالفون المخذولون ينسبون للأئمة الأربعة ـ أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ﷺ ـ اعتقاد التحريف بصرف ظاهر نصوص الاعتقاد عن حقيقتها كنصوص الأسماء والصفات، أو تفويض علمها إلى الله مع عدم اعتقاد معناها حقيقة، ويزعمون أنهم بهذا الاعتقاد الفاسد هم من يمثل هؤلاء الأئمة ومذاهبهم، وقد ظهرت طائفة في أيامنا تزعم أن مذهب الإمام أحمد وأصحابه الحنابلة هو التفويض الذي حقيقته التعطيل المحض، وكل هذا باطل بإجماع الأمة.

وما أشبه الليلة بالبارحة؛ فإن سلف هؤلاء المبتدعة الجهمية قالوا نحو ذلك في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية حين سعوا بالوشاية به عند الأمير، فأمر بجمع قضاة المذاهب الأربعة والمفتين والمشايخ، فقيل للشيخ: هذا المجلس عقد لك بمرسوم السلطان بأن نسألك عن اعتقادك، فقال ﷺ:

"أما الاعتقاد: فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني؛ بل يؤخذ عن الله ورسوله وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة"(١).

وفي مجلس آخر بحضور نائب السلطان كان الشيخ قد أحضر عقيدته "الواسطية"، فأشار الأمير لكاتبه فقرأها على الحاضرين حرفًا حرفًا، وناظروه فأفحمهم، قال شيخ الإسلام: "فقيل لي أنت صنفت اعتقاد الإمام أحمد، وأرادوا قطع النزاع لكونه مذهبًا متبوعًا، فقلت: ما خرجت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم؛ ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، وقلت: قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فإن جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك، وعلي أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث وغيرهم"(٢).

ولبيان بطلان قول هؤلاء المبتدعة المحرفة الذين انتحلوا الأئمة، وظهر قرنهم في هذه الأزمان، فزعموا أن عقيدتهم هي عقيدة الحنابلة السلفيين، فنرد عليهم من وجهين:

الأول: ذكر اعتقاد أئمة الدين كالأئمة الأربعة:

أئمة الدين من لدن الصحابة والتابعين ومن بعدهم يعتقدون ما جاء في القرآن والسنة من أمور الاعتقاد، فيؤمنون بأسماء الله وصفاته حقيقة كما

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٦١).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/١٩٦).

وصف الله به نفسه، فهم يؤمنون بالصفة حقيقة على ظاهرها، فالغضب غير الرضا، واليد غير الوجه، والاستواء غير النزول، كل صفة لها معنى حقيقي يؤمنون به على ظاهره، لكنهم يفوضون كيفية وكنه الصفة لله، فيقولون (بلا كيف) أي بلا كيفية تتصور وتعقل بالذهن، ولا يريدون نفي حقيقة الكيف لأن من لا كيف له فهو عدم، لذا فعلماء السنة يعبرون عن ذلك بقولهم: بأنه تعالى لا تدركه العقول، ولا تتصوره الأذهان، ولا تتوهمه الأفهام؛ لقول الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فنفى ﷻ عن نفسه المماثلة للمخلوق، ثم أثبت صفتي السمع والبصر، ولولا أن معنى الصفة حقيقة لما كان لهذا النفي والإثبات فائدة، وهو معنى القاعدة المجمع عليها عند أهل السنة والجماعة: بإثبات ما أثبت الله ﷻ لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه.

فالمفوض لحقيقة معنى الصفة شبه الله بخلقه، ثم حرف المعنى، ثم عطل الصفة.

كما قال الإمام ابن خزيمة: فنحن وجميع علمائنا، من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون؛ لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها

نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه[(١)].

ولذا فسأسوق عن الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب السائرة المشهور بعض ما جاء عنهم من إيجاب اعتقاد هذه العقيدة السلفية المجمع عليها، وربما كفروا من خالف في بعض أمور الاعتقاد المتواترة:

١ ـ اعتقاد الإمام أبي حنيفة النعمان:

ـ قال الإمام أبو حنيفة عما أحدث من الكلام في الأعراض والأجسام: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة[(٢)].

ـ وقال الإمام: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئاً تبارك الله تعالى ربّ العالمين[(٣)].

ـ وقال أيضاً: وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا

---

(١) كتاب التوحيد (٢٦/١).

(٢) رواه الهروي في ذم الكلام وأهله (٢٠٦/٥)، وقوام السنة أبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١١٥/١). وانظر: أحاديث في ذم الكلام وأهله للرازي (ص: ٨٦)، والتسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٨٦/٣).

(٣) عزاه الحافظ ابن جماعة الكناني في كتاب إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص: ٢١)، وبعده الألوسي في جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص: ٤٢٢) للقاضي أبي العلاء صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد عن أبي يوسف عن الإمام أبي حنيفة. وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص: ٢٩٣)، وكتاب في الرد على القائلين بوحدة الوجود لملا علي القاري الحنفي (ص: ٥٣).

كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف(١).

ـ وقال الإمام: من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض(٢).

ـ وقد صنف الحافظ الطحاوي كتابه المسمى "الطحاوية" التي ذكر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، فقال أولها: هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب

---

(١) الفقه الأكبر (ص: ٢٧)، وعزاه لأبي حنيفة في الفقه الأكبر: ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية (ص: ١٩١)، وابن جماعة الكناني الشافعي في إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص: ٤٢)، ومرعي الكرمي الحنبلي في أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات (ص: ٦٣)، والسفاريني الحنبلي في لوامع الأنوار البهية (١/٢٦٢).

(٢) الفقه الأكبر (ص: ١٣٥). وعزاه لأبي حنيفة في الفقه الأكبر ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية (ص: ٢٦٧)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص: ١٧٠)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في تلبيس الجهمية (١/١٩٤)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/١٣٩)، والذهبي في العلو للعلي الغفار (ص: ١٣٤)، والآلوسي الحنفي في جلاء العينين (ص: ٤٠٨). قال شيخ الإسلام ابن تيمية مجموع الفتاوى (٥/٤٨): "ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه: أنه كفر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض". وقال أيضاً في مجموع الفتاوى (٥/١٤٠): "وعن أصحاب أبي حنيفة في هذا الباب ما لا يحصى".

العالمين[١]، فذكر فيها اعتقاد أهل السنة والجماعة الموافق لسائر كتب أهل السنة والجماعة "كالواسطية".

ـ وقال الشيخ أبو الحسن البزدوي الحنفي: العلم نوعان: علم التوحيد والصفات وعلم الشرائع والأحكام، والأصل في النوع الأول هو التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة الهوى والبدعة ولزوم طريق السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه الصالحون، وهو الذي كان عليه أدركنا مشايخنا، وكان على ذلك سلفنا ـ أعني أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمداً وعامة أصحابهم رحمهم الله ـ وقد صنف أبو حنيفة رحمه الله في ذلك كتاب الفقه الأكبر، وذكر فيه إثبات الصفات، وإثبات تقدير الخير والشر من الله، وأن ذلك كله بمشيئته وأثبت الاستطاعة مع الفعل، وإن أفعال العباد مخلوقة بخلق الله تعالى إياها كلها، ورد القول بالأصلح، وصنف كتاب "العالم والمتعلم" وكتاب "الرسالة"، وقال فيه: لا يكفر أحد بذنب ولا يخرج به من الإيمان ويترحم له. وكان في علم الأصول إماماً صادقاً، وقد صح عن أبي يوسف أنه قال: ناظرت أبا حنيفة في مسألة خلق القرآن ستة أشهر، فاتفق رأيي ورأيه على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر، وصح هذا القول عن محمد رحمه الله. ودلت المسائل المتفرقة عن أصحابنا في "المبسوط" وغير "المبسوط" على أنهم لم يميلوا إلى شيء من مذاهب الاعتزال وإلى سائر الأهواء، وأنهم قالوا بحقية رؤية الله تعالى بالإبصار في دار الآخرة، وحقية عذاب القبر لمن شاء، وحقية خلق الجنة والنار اليوم، حتى قال أبو حنيفة لجهم: اخرج عني يا كافر، وقالوا بحقية سائر أحكام الآخرة على ما نطق به الكتاب والسنة، وهذا فصل

(١) الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٣١).

يطول تعداده[١].

ـ وقال الملَّا علي القاري الحنفي: وفي "شرح السنة": القدم والرجل المذكوران في هذا الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف والتشبيه، وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة، كاليد والأصبع والعين، والمجيء والإتيان والنزول، فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مشبه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] انتهى. وهو الموافق لمذهب الإمام مالك ﵀، ولطريق إمامنا الأعظم على ما أشار إليه في الفقه الأكبر، فالتسليم أسلم، والله تعالى أعلم[٢].

٢ ـ اعتقاد الإمام مالك بن أنس الأصبحي:

ـ سئل الإمام مالك عن الكلام والتوحيد؛ فقال: محال أن يُظنَّ بالنبي ﷺ أنه علَّم أمَّته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ). فما عُصم به المال والدم فهو حقيقة التوحيد[٣].

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/٧).
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/٣٦٢٩).
(٣) رواه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (٢٥٠)، وأبو الفضل الرازي في أحاديث في ذم الكلام وأهله (ص: ٩٢). ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٦/٥٦٠)،=

ـ وقال الإمام: إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان(١).

ـ وسئل الإمام: يا أبَا عبدِ الله! ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيْف استوى؟ فقال: "الاسْتِواءُ غيْرُ مجهولٍ، والكيْفُ غيْرُ معْقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ والسُّؤالُ عنْه بدعةٌ، ثُمّ أَمَرَ بالرَّجُلِ فأُخْرِجَ(٢)

ـ وقال الإمام: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء(٣).

ـ وقال الإمام: القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله

= والذهبي في السير (١٠/٢٦)، وابن رجب في فتح الباري (٧/٢٣١). وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في التسعينية (٣/٧٨٣) أنه قد رواه الهروي وأبو الحسن الكرجي في "كتاب الفصول في الأصول".

(١) رواه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (٥/٧٠)، وأبو الفضل الرازي في أحاديث في ذم الكلام وأهله (ص: ٨٢). ونقله البغوي في شرح السنة (١/٢١٧)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في التسعينية (٣/٧٨٥)، وابن رجب في فتح الباري (٧/٢٣٥).

(٢) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٦٦)، والصابوني في عقيدة السلف (ص: ٢٤)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٣/٤٤١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٥ ـ ٨٦٧).

(٣) رواه أبو داود في مسائل الإمام أحمد (ص: ٣٥٣)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/١٧٣، ٢٨٠)، والآجري في الشريعة (٣/١٠٧٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/١٥٣)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٣/٤٤٥). وصححه ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٦/٢٦٢)، فقال: "وروى هذا الكلام عن مالك مكي خطيب قرطبة فيما جمعه من تفسير مالك نفسه، وكل هذه الأسانيد صحيحة". وقال الذهبي في كتاب العرش (٢/٢٢٨): "هذا حديث ثابت عن مالك رحمه الله".

شيء مخلوق[(١)].

ـ وقال الإمام: القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ، والذي يقف شر من الذي يقول[(٢)].

ـ وقيل للإمام مالك: يا أبا عبد الله! هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ قال: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فقال له: يا أبا عبد الله! فإن قوما يزعمون أن الله لا يرى، قال مالك: السيف السيف[(٣)].

ـ وقال ابن أبي زيد القيرواني المالكي في مقدمة كتابه التي ذكر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة كما ذكرت في كتب اعتقاد أهل السنة "كالواسطية": وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأيمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه، وكله قول مالك، فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه[(٤)].

٣ ـ اعتقاد الإمام محمد بن إدريس الشافعي:

ـ قال الإمام الشافعي: لأن يُبْتَلي العبدُ بكل ما نهى الله عنه ـ سوى

(١) رواه الجوهري في مسند الموطأ (٨١ ـ ١١١)، والآجري في الشريعة (٥٠١/١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٨/٦)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢٧٥/٢).

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٤٧/٦) بإسناد جيد.

(٣) رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٥١٨/٣). وانظر: تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٤٨/٤)، وحادي الأرواح لابن القيم (ص: ٣٣٥)، والعواصم والقواصم (١٩٩/٥) لابن الوزير.

(٤) الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ (ص: ١١٧).

الشرك ـ، خيرٌ له من الكلام، لقد اطلعت من أصحاب الكلام على شيء ما ظننت أن مسلمًا يقول ذلك(١).

ـ وسئل الإمام عن صفات الله وما ينبغي أن يؤمن به؟ فذكر صفات اليد واليمين والإصبع والقدم والوجه والعين ورؤية الله، وقال: فإن هذه المعاني التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ مما لا يدرك حقيقته بالفكر والروية، فلا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها. فإن كان الوارد بذلك خبرًا يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماع، وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته والشهادة عليه، كما عاين وسمع من رسول الله ﷺ، ولكن يثبت هذه الصفات وينفي التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه تعالى ذكره، فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾(٢).

ـ قال الإمام الشافعي: القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها، أهل الحديث الذين رأيتهم، فأخذت عنهم، مثل سفيان، ومالك، وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ـ وذكر شيئا ثم قال: ـ وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف

(١) رواه ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي (١٨٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٥٣٤)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (١/١٦٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/١١١).

(٢) رواه أبو الحسن الهكاري في اعتقاد الشافعي (ص: ٢٠)، ومن طريقه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص: ١٨٠) بإسنادهما إلى ابن أبي حاتم الرازي. ورواه أبو يعلى في طبقات الحنابلة (١/٢٨٣ ـ ٢٨٤) من وجه آخر عنه أصح. وعزاه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/٤٠٧) إلى ابن أبي حاتم في كتاب مناقب الشافعي، عن يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي.

شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء. وذكر سائر الاعتقاد[(١)].

ـ وقال الإمام: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق، فهو كافر[(٢)].

٤ ـ اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل الشيباني:

ـ قال الإمام أحمد: لا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه تعالى ذكره صفة من صفاته شناعة شنعت، ولا نزيل ما وصف به نفسه من كلام، ونزول، وخلوه بعبده يوم القيامة، ووضع كنفه عليه، هذا كله يدل على أن الله يرى في الآخرة، والتحديد في هذا بدعة، والتسليم لله بأمره، ولم يزل الله متكلمًا عالمًا غفورًا، عالم الغيب والشهادة عالم الغيوب، فهذه صفات الله وصف بها نفسه، لا تدفع، ولا ترد[(٣)].

---

(١) رواه الهكاري في كتابه اعتقاد الشافعي (ص: ١٧)، ومن طريقه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص: ١٨٠) بإسنادهما إلى ابن أبي حاتم عن أبي شعيب وأبي ثور عن الشافعي، وعزاه لهما الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص: ١٦٥)، وفي كتاب العرش (٢/٢٩٠)، وجزم بنسبته للشافعي في كتاب الأربعين في صفات رب العالمين (ص: ٧٠)، فقال: "وقال الشافعي في عقيدته"، فذكره، وعزاه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/١٦٥) لابن أبي حاتم، والظاهر أنه في كتابه "آداب الشافعي ومناقبه".

(٢) رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (١٩٥)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢/٢٧٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٦/٥٢). وقال في السير (١٠/١٨): هذا إسناد صحيح.

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/٣٢٦). وانظر: ذم التأويل لابن قدامة (ص: ٢٢)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/٣١)، وتلبيس الجهمية (٢/٦٢٣) لابن تيمية، واجتماع الجيوش الإسلامية (٢/٢١٢) لابن القيم، وكتاب العرش للذهبي (١/٢٥٩).

ـ وقال الإمام: الاستواء: هو العلو والارتفاع، ولم يزل الله تعالى عالياً رفيعاً قبل أن يخلق عرشه فهو فوق كل شيء، والعالي على كل شيء، وإنما خص الله العرش لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء(١).

ـ وبلغ الإمام أحمد عن رجل أنه قال: إن الله تعالى لا يرى في الآخرة، فغضب غضبا شديدًا، ثم قال: من قال بأن الله تعالى لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، من كان من الناس، أليس الله ﷻ قال ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]؟ وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؟ هذا دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى(٢).

ـ وقال الإمام: حديث ابن مسعود رضي الله عنه "إذا تكلم الله ﷻ سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان"، وهذا الجهمية تنكره، هؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على الناس، من زعم أن الله ﷻ لم يتكلم فهو كافر، ألا إنا نروي هذه الأحاديث كما جاءت(٣).

ـ وسئل عمن قال: لما كلم الله ﷻ موسى لم يتكلم بصوت فقال: بلى إن ربك ﷻ تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت(٤).

---

(١) العقيدة رواية أبي بكر الخلال (ص: ١٠٨).

(٢) انظر: المنتخب من علل الخلال لابن قدامة (١/٢٧٧)، والشريعة للآجري (٢/٩٨٦)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٧/٥٣)، وطبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/٥٩، ١٤٥، ١٦١). لكن عند ابن بطة: "قال جهمي".

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/٢٨١). ومن طريقه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/١٨٥). وبنحوه في الإبانة الكبرى لابن بطة (٦/٣٢٠)،

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/٢٨٠). وانظر: طبقات الحنابلة (١/١٨٥، ٤١٥).

ـ وقال الإمام: يضحك الله تعالى، ولا يعلم كيف ذلك، إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن(١).

ـ وقال الإمام أحمد عن خلق آدم على صورته: فغير ممتنع الأخذ بظاهره من غير تفسير ولا تأويل(٢).

الثاني: إجماع الأمة والأئمة على هذا المعتقد السلفي:

لم يختلف أهل السنة على أن طريقة السلف الصالح هو اعتقاد كل ما جاء في القرآن وصحيح السنة بلا تحريف يصرفها عن ظاهرها، ومن ذلك إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وهذا إجماع لم تختلف الأمة عليه، حتى ظهر شذاذ لا يعتد بهم ينطبق عليهم ما قاله الإمام الشافعي آنفاً: "لقد اطلعت من أصحاب الكلام على شيء ما ظننت أن مسلمًا يقول ذلك"، ولذا نسوق ما ذكره المحققون من حكاية الإجماع على هذا المعتقد السلفي الذي سطره علماء الأمة في مصنفاتهم في الاعتقاد سابقهم ولاحقهم، ومنهم شيخ الإسلام في عقيدته "الواسطية"، وهذه الأقوال أعظم من أن تحصر، لكن نذكر طرفًا منها:

ـ قال محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ، من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه،

---

(١) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (١١١/٣)، وإبطال التأويلات لأبي يعلى (٤٥/١ ـ ٢١٧).

(٢) انظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى (ص: ٧٩).

فمن فسر اليوم شيئا من ذلك، فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ، وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء[١].

ـ وقال الإمام الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته ﷻ[٢].

ـ وقال الترمذي عند حديث "فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ": والمذهب

(١) رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٣/٤٨٠)، وبنحوه مختصراً رواه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص: ١٧٠)، وحكم شيخ الإسلام بثبوته في مجموع الفتاوى (٤/٤)، وقال (٥/٥٠): "محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء، وقد حكى هذا الإجماع، وأخبر أن الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالبًا أو دائمًا. وقوله (من غير تفسير): أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات". وقال الذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين (ص: ٨٢) مشيراً لهذا الإجماع: "وحكى الإجماع على ذلك بعدهم محمد بن الحسن فقيه العراق، روى اللالكائي بإسناده عنه".

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٤)، ومن طريقه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/٥٥٠)، وفي تذكرة الحفاظ (١/١٣٦) وصححه. وصححه كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/٣٩)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/١٣١)، وجود إسناده الحافظ في فتح الباري (١٣/٤٠٦). قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/٣٩): "وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك". ونقل الإجماع على أن الله فوق العرش حقيقة بائن من خلقه ويعلم كل شيء الإمام الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٦٣)، والإمام إسحاق بن راهويه كما في درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٣٤)، والعلو للذهبي (ص: ١٧٩). ونقله ابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/١٣٦).

في هذا عند أهل العلم من الأئمة، مثل: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث: أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم، ولا يقال: كيف؟[(١)].

ـ وقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، والقدر خيره وشره من الله ﷻ، وخير هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، وهم الخلفاء الراشدون المهديون، وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ، وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله ﷺ وقوله الحق، والترحم على جميع أصحاب محمد والكف عما شجر بينهم. وأن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأنه تبارك وتعالى يرى في الآخرة، يراه أهل الجنة بأبصارهم، ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء[(٢)].

(١) السنن (٤/٦٩١).

(٢) رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد (١/١٩٧). ومن طريقه الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص: ١٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣/٨٤). وذكر باقي الاعتقاد بأطول من ذلك. وبنحوه عن الإمام البخاري ذكره اللالكائي في أصول الاعتقاد (١/١٩٣).

ـ وقال الحافظ ابن خزيمة: إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى نقلها الخلف عن السلف: قرناً بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل الصفات لله تعالى، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله، ونبيه الرسول ﷺ عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف[١].

ـ وقال أيضاً: فنحن وجميع علمائنا، من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون؛ لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه ﷺ[٢].

ـ وقال الحافظ محمد بن علي الكرجي القصاب: كل صفة وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها رسوله، فليست صفة مجاز، ولو كانت صفة مجاز لتحتم تأويلها، ولقيل: معنى البصر كذا، ومعنى السمع كذا، ولفسرت بغير السابق إلى الأفهام، فلما كان مذهب السلف إقرارها بلا تأويل، علم أنها غير محمولة على المجاز، وإنما هي حق بين[٣].

ـ وقال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر: أهل السنة مجموعون على الإقرار

---

(١) ذكره عنه ابن قدامة في كتاب ذم التأويل (ص: ١٨).
(٢) كتاب التوحيد (١/٢٦).
(٣) ذكره الذهبي في ترجمته في تذكرة الحفاظ (٣/١٠١)، وسير أعلام النبلاء (١٦/٢١٣).

بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله(١).

ـ وقال الحافظ أبو نصر السجزي في كتاب "الإبانة" له: فأئمتنا كسفيان الثوري، ومالك، وسفيان بن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وعبد الله بن المبارك، وفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وإسحق بن إبراهيم الحنظلي، متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وإنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء وهم منه براء(٢).

ـ وقال الحافظ أبو عمر الطلمنكي المالكي في "الوصول إلى معرفة الأصول": وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد: ٤]، ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء. وقال أيضًا: قال أهل السنة في قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾: أن الاستواء من الله على عرشه المجيد

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/١٤٥).

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٦/٢٥٠)، وفي مجموع الفتاوى (٣/٢٢٢)، والذهبي في كتاب العرش (٢/٤٥١)، وفي العلو للعلي الغفار (ص: ٢٤٨).

على الحقيقة لا على المجاز[١].

ـ وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في عقيدته المشهورة عنه: طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه. فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي تثبت عن النبي ﷺ في العرش، واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وأن الله بائن عن خلقه والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سماواته، من دون أرضه وخلقه[٢].

ـ وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: أما الكلام في الصفات، فأما ما روي منها في السنن الصحاح فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات نحتذي في ذلك حذوه ومثاله، وإذا كان معلومًا إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: يد وسمع وبصر فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول أن معنى اليد القدرة، ولا إن معنى السمع والبصر العلم... ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤][٣].

---

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٦/٢٥٠)، وابن القيم في مختصر الصواعق (ص: ٣٧٦)، والذهبي في العلو للعلي الغفار (ص: ٢٤٦).

(٢) ذكره شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٦/٢٥٢)، وفي مجموع الفتاوى (٥/٦٠). وقال: "عقيدته المشهورة عنه".

(٣) أسنده عنه الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص: ٢٥٣).

ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: جميع ما في القرآن من آيات الصفات، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما يشاء الله تعالى من الكتاب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد ـ إلى ساعتي هذه ـ عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئًا من آيات الصفات وأحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين، ما لا يحصيه إلا الله، وكذلك فيما يذكرونه آثرين وذاكرين عنهم شيئًا كثيرًا. وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾، فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة أن الله يكشف عن الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات؛ للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين[(١)].

❊ عقيدة ابن أبي يعلى:

تقدم أن المؤلف كتب هذه الرسالة جواباً عمن سأله عن عقيدته، وقد بيّن المصنف ﵀ في هذه الرسالة موافقته لاعتقاد أهل السنة والجماعة خاصة في باب أسماء الله وصفاته التي ضل فيها طوائف كثيرة من أهل البدع من المعطلة على اختلاف تعطيلهم حتى المشبهة لصفات الله بالمخلوقين حيث أخذ المؤلف هذه الاعتقاد عن والده الذي ألف كتباً في الرد على المبتدعة ككتاب "إبطال التأويلات، وقد أجمل المصنف ابن أبي يعلى عقيدته في

(١) مجموع الفتاوى (٦/٣٩٤). وسيأتي الكلام عنها مفصلاً.

كتابه "طبقات الحنابلة" حين قال: "ومعتقدنا ومعتقد الوالد السعيد ومن تقدمه من أئمتنا: مبني على حرفين: السكوت عن "لم؟" في أفعاله ﷻ، وعن "كيف"؟ في أوصافه ﷻ"[١]. وقال أيضاً: "فماذا عسى أن نقول في جسارة المعتزلة والأشاعرة، وبقية المتكلمين الضالين في تأويل صفات الرحمن ﷻ التي نطق بها القرآن ونقلها الأئمة الأثبات والعلماء الثقات"[٢]. وتقدم وصف العلماء لابن أبي يعلى بتمسكه بالسنة، وتشدده في الرد على المعطلة، لذا قال عنه تلميذه السِّلفي: "كان أبو الحسين متعصبًا في مذهبه، وكان كثيرًا ما يتكلم في الأشاعرة، ويقول فيهم ويسمعهم، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم"[٣]. وقال الذهبي عنه كذلك: "كان يبالغ في السنة، ويلهج بالصفة "[٤]. وقال عنه أيضاً: "كان مفتياً مناظراً عارفاً بالمذهب ودقائقه، صلباً في السُّنة، كثير الحطِّ على الأشاعرة"[٥].

※ ما ينتقد على ابن أبي يعلى في كتابه:

ينتقد على المصنف في هذه الرسالة في موضعين:

※ **الأول:** في كلام الله تعالى حين قال: "وكلام الله قديم غير مخلوق على كل الحالات وفي كل الجهات... بل هو صفة من صفات ذاته، وهو

(١) طبقات الحنابلة (٢/٢٢٥).
(٢) طبقات الحنابلة (٢/١٤٨).
(٣) انظر لهذا النقل والذي يليه: سير أعلام النبلاء (١٩/٦٠٢)، تاريخ الإسلام (١١/٤٥٣ ـ وفيات ٥٢٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٩/٦٠١).
(٥) العبر في خبر من غبر (٢/٤٢٩).

شيء يخالف جميع الحوادث، لم يزل ولا يزال متكلماً، ولا يجوز مفارقته بالعدم لذاته، وأنه يسمع تارة من الله ﷻ وتارة من التالي، فالذي يسمعه من الله سبحانه من يتولى خطابه بنفسه لا واسطة ولا ترجمان... ومن عدا ذلك فإنما يسمع كلام الله القديم على الحقيقة من التالي". وهذا الخطأ مبني على ما كان يعتقده والده رحمه الله من إثبات أن كلام الله كله قديم، وكله صفة ذات، فلا يتكلم الله ﷻ بكلام بعد كلام إذا شاء، بل لم يزل متكلمًا ولا يزال متكلمًا، وأن كلامه لا سكت فيه[1]. وهذا القول خلاف ما يقوله أهل السنة من أن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، يتكلم فيه إذا شاء متى شاء، ويسكت إذا شاء، بل أخرجت بعض عبارات المصنف إلى موافقة السالمية في مذهبهم الذين حذر منهم هو في آخر كتابه، حين قال فيه: "فالذي يسمعه من الله سبحانه من يتولى خطابه بنفسه لا واسطة ولا ترجمان... ومن عدا ذلك فإنما يسمع كلام الله القديم على الحقيقة من التالي".

قال ابن القيم: "مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، وسور وآيات سمعه جبرائيل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان: بواسطة وبغير واسطة، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضاً، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة

(١) انظر مقدمة كتاب الإيمان للقاضي أبي يعلى (ص: ٨٤) لأخينا فضيلة الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف.

الحياة والسمع والبصر"[١].

لذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية القول بقدم تلاوة التالي وعلاقة القاضي أبي يعلى به، فقال: "دعوى أن هذا الصوت المسموع من العبد أو بعضه، هو صوت الله، أو هو قديم؛ بدعة منكرة، مخالفة لضرورة العقل، لم يقلها أحد من أئمة الدين، بل أنكرها جمهور المسلمين من أصحاب الإمام أحمد وغيره.. وهذا الذي ذكره ابن الزاغوني عن أصحابه، إنما هم أتباع القاضي أبي يعلى في ذلك، فإن هذا تصرف القاضي والله يغفر له"[٢]. وسيأتي تفصيله في بيان إجمالات كلام المصنف ابن أبي يعلى في موضعه.

* **الثاني:** توسعه باستخدام بعض عبارات الأشاعرة والماتريدية في نفي ما لم يثبت نفيه في الكتاب والسنة كقوله عن كلام الله: "لا جسم ولا جوهر ولا عرض"، وقوله عن الأسماء والصفات: "وإن أمرها كما جاءت من غير تأويل، ولا تفسير، ولا تجسيم، ولا تشبيه، كما فعلت الصحابة والتابعون فهو الواجب عليه". وفي الحقيقة أن أصل أهل السنة في هذا الباب إثبات ما أثبت ونفي ما نفي لا يتجاوزون الكتاب والسنة، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، وما سكت عنه في الكتاب والسنة يتوقفون في إطلاقه، ويستفصلون عن المراد، فنفي المصنف للجسم والتجسيم والجوهر والعرض هي طريقة أهل البدع لا الصحابة والتابعين، لذا قال أبو العباس ابن سريج ـ وذكر توحيد أهل السنة بالإثبات مع التنزيه ـ: "وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في

(١) مختصر الصواعق (٤٩٨).

(٢) التسعينية (٨٦٨/٣).

الجواهر والأعراض، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك"[(١)]. وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه: "أنا أقطع أن الصحابة ماتوا، وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بَكْر وعمر فبئس مَا رأيت"[(٢)]. وطريقة السلف التوقف عن مثل هذه الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة نفياً أو إثباتاً، لئلا يتوصل المعطلة بها إلى سلب صفات الله تعالى، فكل من أثبت اليد والقدم والوجه لله على الحقيقة اللائقة بالرب ﷻ قالوا: هذا مجسم، لذا لما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: توقف الأئمة في الألفاظ المجملة كالجسم والجوهر والجهة، قال: "الألفاظ التي تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين، مثل: لفظ (الجسم) و(الجوهر) و(المتحيز) و(الجهة)، ونحو ذلك؛ فلا تطلق نفيًا ولا إثباتًا، حتي ينظر في مقصود قائلها فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنى صحيحًا موافقًا لما أخبر به الرسول ﷺ صوب المعنى الذي قصده بلفظه؛ ولكن ينبغي أن يعبر عنه بألفاظ النصوص، ولا يعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد بها"[(٣)]، وسيأتي تفصيله في موضعه. إلا أن المصنف ؒ لم يقصد ما قصده المبتدعة من نفي صفات الله؛ لأنه أثبتها ـ ما عدا صفة الكلام ـ في كتابه على الوجه اللائق بالله تعالى، لكنه علق به ما علق بأبيه في هذه الألفاظ، فلقد مر أبوه القاضي أبو يعلى ؒ بثلاث مراحل في موقفه من أسماء وصفات لله تعالى، فكان أولاً يؤولها على طريقة

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/٣٠٥).
(٢) انظر: كتب تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص: ٧٧)، وذيل طبقات الحنابلة (١/٣٣٧).
(٣) منهاج السنة (٢/٥٥٤).

الأشاعرة، ثم انتقل إلى إثبات صفات الذات دون صفات الفعل، وإدخال صفات الفعل في صفات الذات، ثم انتقل أخيراً إلى إثبات الصفات الفعلية وأنها تتعلق بالمشيئة والاختيار(١)، ولا بد أن تبقى مع ذلك بعض العبارات المشكلة فيمن كانت هذه حاله رحمه الله، ورحم ابنه صاحب هذه الرسالة.

الثامن: إسنادي إلى كتاب الاعتقاد لابن أبي يعلى:

أنا أروي هذا الكتاب إجازة عن الشيخ المسند أبي يونس صالح أحمد محمد إدريس الأركاني المكي ثم الرابغي بأسانيده المتصلة المثبتة في ثبته "الإعلام بإجازة الأعلام" إلى كتاب صلة الخلف بموصول السلف للرّوداني(٢)، ثم يرويه العلامة الرّوداني في كتابه "صلة الخلف بموصول السلف" بأسانيده المتصلة إلى أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار الصالحي، عن محمد بن أحمد القطيعي، عن عبد الجبار بن يحيى الأعرابي، عن مؤلفه ابن أبي يعلى(٣).

---

(١) انظر لبيان ذلك مقدمة كتاب الإيمان للقاضي أبي يعلى (ص: ٧٦ ـ ٩٣) لأخينا فضيلة الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف.
(٢) انظر أسانيده المفصلة في الإعلام بإجازة الأعلام (٢/٥٥٧).
(٣) انظر: صلة الخلف بموصول السّلف (ص: ٧٢).

۞ قال المصنف:

"الحمد لله حتى يرضى، ولا إله إلَّا الله العلي الأعلى، والحمد لله أهل الحمد ومولاه، ومنتهى الحمد ومبتداه، والحمد لله الذي أخرجنا بعد العدم إلى الوجود في خير الأمم، واختار لنا دليلاً إليه من خلقه أكرمهم عليه، ومن رسله أشرفهم لديه، وجعله أول السابقين منزلة، وأحسن النبيين رسالة، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، صلاة تخصهم وتعمهم أجمعين.

أما بعد.. أعاذنا الله وإياك من التكلف لما لا نحسن، والادعاء لما لا نتقن، وجنبنا وإياك البدع والكذب، فإنهما شرّ ما احتقب، وأخبث ما اكتسب، فإنك سألت عن مذهبي وعقدي، وما أدين به لربي ﷻ لتتبعه فتفوز به من البدع والأهواء المضلة، وتستوجب من الله ﷻ المنازل العلية، فأجبتك إلى ما سألت عنه، مؤملاً من الله جزيل الثواب، وراهباً إليه من سوء العذاب، ومعتمداً عليه في القول بالتأييد للصواب.

فأول ما نبدأ بذكره من ذلك ذكر ما افترض الله تعالى على عباده، وبعث به رسوله ﷺ، وأنزل فيه كتابه، وهو الإيمان بالله ﷻ، ومعناه التصديق بما قال به، وأمر به وافترضه، ونهى عنه من كل ما جاءت به الرسل من عنده، ونزلت فيه الكتب، وبذلك أرسل المرسلين، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]".

ذكر المؤلف رحمه الله أن أول ما نبدأ به الإيمان والتوحيد، أول ما نبدأ به ونتكلم به في مسائل الاعتقاد أصل الاعتقاد وأساسه، وأول المسائل العقدية

هو الإيمان بالله، وهو فريضة الله على عباده، ولهذا قال المؤلف: "فأول ما نبدأ بذكره من ذلك، ذكر ما افترض الله تعالى على عباده، وبعث به رسوله ﷺ وأنزل في كتابه، وهو الإيمان بالله ﷻ".

ـ قال: "**ومعناه التصديق بما قال به، وأمر به، وافترضه، ونهى عنه**" أي لا يتحقق الإيمان ابتداء إلا بتصديق القلب بما أخبر به في القرآن والسنة، أو بما أمر أو نهى عنه وزجر، فأما التصديق والتسليم ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥]، وأما التصديق بالأمر والنهي المستلزم للعمل ففي قوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]؛ ولأن الإيمان مستلزم للعمل قال تعالى قبل هذا: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقد عبر بعض أهل العلم عن ذلك ـ كشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ بقولهم: (طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع).

ـ وأراد المؤلف بيان أن التوحيد هو أهم شيء جاءت به الرسل، فقال: "**وبذلك أرسل المرسلين، فقال تعالى**: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]". أي أن الإسلام في زمن كل نبي أرسل هو توحيد الله وبما جاء به من شريعة متضمنة للخبر والنهي والأمر من لدن آدم إلى محمد عليهم صلوات الله وسلامه، هذا هو دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]،

فالأنبياء دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفوا في الشرائع، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وهذا معنى قول المؤلف رحمه الله: **"الإيمان هو التصديق بما قال به وأمر به وافترضه، ونهى عنه، من كل ما جاءت به الرسل من عند الله"**، يعني في زمانهم، فكل نبي أرسله الله يوحي إليه الله: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، أي يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، والطاغوت كل ما عبد من دون الله، أو أطيع في شرعة تخالف شريعة الله. فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله): فيها ركنان: كفر وإيمان، (لا إله) هذا الكفر بالطاغوت وبراءة منه، (إلا الله) هذا هو الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال المصنف:

"والتصديق بذلك: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيده كثرة العمل والقول بالإحسان، وينقصه العصيان".

هذا تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، فمسمى الإيمان شرعاً عند أهل السنة والجماعة الذي ذكره المصنف:

ـ قوله: "**قول باللسان**" قول اللسان، أي ينطق بلسانه بالشهادتين، وأن لا يأتي بلسانه ما يناقض هاتين الشهادتين، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠]. فإذا نطق باللسان وتخلف اعتقاد القلب فهذا إيمان المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

ـ قوله: "**وتصديق بالجنان**": والتصديق بالجَنان أي تصديق القلب، ودليله قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥]

وهذا متضمن لقول القلب وعمله، فقول القلب وهو التصديق والإقرار في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَرْتَابُوا﴾، وقوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، وعمل القلب، وهو النية والإخلاص والمحبة والخوف والرجاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، فوجل القلب عند ذكر الله، وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن من عمل القلب.

ـ قوله "**وعمل بالأركان**"، **يعني الجوارح**، فالإيمان بلا عمل الجوارح إيمان كاذب كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧]، بل لما حصر الله الإيمان بمن وجلت قلوبهم وزاد بالقرآن إيمانهم، قال بعدها: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣]، ولما حصر الإيمان بمن لم يرتابوا، قال بعدها: ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ـ وقد جمع النبي ﷺ هذه الثلاث في بيان حقيقة الإيمان، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في "الصحيحين": أن النبي ﷺ قال: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ"، وفي رواية مسلم: "فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ"(١). فجعل الرسول ﷺ الإيمان شعبًا، مثل بثلاثة منها تشمل أركان الإيمان: فلا إله

(١) صحيح البخاري (١/١١ ـ ٩)، في كتاب الإيمان، [باب أمور الإيمان]، ومسلم (١/٦٣ ـ ٣٥)، في كتاب الإيمان.

إلا الله وهي كلمة التوحيد؛ نطق اللسان، والحياء عمل القلب، وإماطة الأذى عن الطريق من أعمال الجوارح؛ فدل على أن الإيمان يدخل فيه أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان. وفي "الصحيحين" في حديث وفد عبد القيس قال ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ"؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ"[١]، ففسر الإيمان بالصلاة، والزكاة، والصوم، وأداء الخمس، وهذه الأعمال من أعمال الجوارح؛ فدل هذا على أن أعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان كالنطق والاعتقاد.

ـ قال المصنف: "**يزيده كثرة العمل والقول بالإحسان، وينقصه العصيان**": فالإيمان يزيد بالطاعات، أي بزيادة أعمال القلوب من إخلاص وخشية وخضوع، وبزيادة أقوال اللسان من ذكر وقراءة وتسبيح وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وبزيادة أعمال الجوارح بأنواعها من فرض ونفلٍ، وتنقص بضده من معاصي القلب واللسان والجوارح، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الفتح: ٤]، وقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٢]. وأما نقصه أو ذهابه فكما قال تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، وفي مسلم قال ﷺ:

(١) صحيح البخاري (١/٢٠ ـ ٥٣)، في كتاب الإيمان، [بَابٌ أَدَاءُ الخُمُسِ مِنَ الإِيمَانِ]، ومسلم (١/٤٧ ـ ١٧)، في كتاب الإيمان.

"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ". وَفِي لَفْظٍ: "لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ"(١)، وقوله ﷺ عند الشيخين: "لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ"(٢). وخالف في ذلك المرجئة، وهم أقسام:

١ ـ فغلاتهم وهم الجهمية: الذين عندهم الإيمان مجرد المعرفة في القلب، إذا عرف ربه بقلبه فهو مؤمن، وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه وعبد الوثن، فعليه إبليس مؤمن وفرعون مؤمن عندهم.

٢ ـ والمتوسطون وهم الأشعرية والماتريدية: الذين عندهم الإيمان هو التصديق بالقلب المجرد الذي ليس معه محبة ولا شيء من أعمال القلوب، فإذا صدق بقلبه فهو مؤمن، ولو لم يعمل أي عمل صالح، ولذا يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه يعسر التفريق بين معرفة الجهمية وتصديق الأشاعرة؛ لأنه إذا كان التصديق مجرداً ليس معه عمل، فلا فرق بينه وبين المعرفة.

٣ ـ وأقربهم لأهل السنة مرجئة الفقهاء: الذين عندهم الإيمان قول باللسان وتصديق القلب، وأما الأعمال فمطلوبة يثاب عليها أو يعاقب؛ لكنها ليست داخلة في مسمى الإيمان(٣).

---

(١) رواه مسلم (١/٦٩ ـ ٤٩، ٥٠)، في كتاب الإيمان.
(٢) رواه البخاري (٣/١٣٦ ـ ٢٤٧٥)، في كتاب المَظَالِمِ، [بَابُ النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ]، ومسلم (١/٧٦ ـ ٥٧)، في كتاب الإيمان.
(٣) سيأتي بتفصيل أوسع عند ذكر المصنف للمرجئة في آخر الكتاب.

❁ قال المصنف:

"ويستثنى في الإيمان، ولا يكون الاستثناء شكاً، إنما هي سنة ماضية عند العلماء، فإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو مؤمن أرجو، ويقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله".

أراد المصنف الرد هنا على المرجئة الذين لا يجيزون الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان عندهم شيء واحد هو التصديق لا يزيد ولا ينقص، فإذا قلت: أنا مؤمن إن شاء الله؛ أنك تشك في تصديقك وإيمانك، وهذا يناقض قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥]، ولهذا يسمون المؤمنين الذين يستثنون في إيمانهم: الشكَّاكة، أما أهل السنة فلابد عندهم من الاستثناء في الإيمان لأن العمل داخل في الإيمان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فإذا استثنيت فيكون الاستثناء راجعًا إلى العمل لا إلى أصل الإيمان وتصديق القلب، ولأن الجزم به راجع إلى تزكية الإنسان نفسه بكمال الإتيان بالفرائض واجتناب المعاصي، فإذا قيل: أمؤمن أنت؟ فيقول: إن شاء الله، أو أرجو. وأفاد المصنف أن الاستثناء لا يرجع إلى الشك بالإيمان والتصديق عند أهل السنة، فإن رجع إلى أصل الإيمان فإن هذا الاستثناء ممنوع، لذا يخرج بعض السلف من هذا بقلب الجواب إلى التصديق خصوصاً، فيقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله. وهذا الذي قرره المصنف بالاستثناء في الأعمال الموجبة لكمال الإيمان وحقيقته هو طريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان.

❁ قال المصنف:

"والإيمان والإسلام اسمان لمعنيين، فالإسلام في الشرع عبارة عن الشهادتين مع التصديق بالقلب؛ والإيمان عبارة عن جميع الطاعات".

قد اختلف السلف في حقيقة الإيمان والإسلام، هل هما متغايران؟ أو إنهما مترادفان؟ وقد تنوعت أقوالهم في ذلك على النحو التالي:

القول الأول: أن الإسلام هو الكلمة، والإيمان هو العمل، وهذا الذي اختاره المصنف حين قال: "**فالإسلام في الشرع عبارة عن الشهادتين مع التصديق بالقلب، والإيمان عبارة عن جميع الطاعات**"، وهذا قول الزهري، وقد يُظَن أنه يرى أن الإسلام هو مجرد الكلمة كالمرجئة، وهذا باطل، فقصدهم هنا أن الكافر إذا نطق بالشهادتين حكم بإسلامه، وليس المقصود أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان؛ لتصريحهم بخلافه عند تعريف الإيمان.

القول الثاني: أن الإسلام والإيمان مترادفان وهما شيء واحد لا فرق بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦].

القول الثالث: أنهما إذا اجتمعا أريد بالإسلام الأعمال الظاهرة، وبالإيمان الاعتقادات والأعمال الباطنة. وأما إذا افترقا فإن كلاً منهما يدل على ما يدل عليه الآخر. وهذا اختيار جمهور أهل السنة، لحديث جبريل الطويل حين فسر الإسلام بأعمال الجوارح الظاهرة؛ وهي الشهادتان وأركان الإسلام، ثم فسر الإيمان بالاعتقادات الباطنة؛ وهي أركان الإيمان الستة.

قال المصنف:

"والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق، كيف قرئ، وكيف كتب، وحيث يُتلى في أي موضع كان، والكتابة هي المكتوب، والقراءة هي المقروء، والتلاوة هي المتلو".

تضمن كلام المصنف اعتقاد أهل السنة والجماعة في القرآن، وفيه مسائل:

* **م الأولى:** قول المصنف "**والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق**": هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك طائفتان:

ـ (الطائفة الأولى): الجهمية والمعتزلة الذين يقولون: إن كلام الله مخلوق، ولا يجوز أن يتكلم الله ﷻ لأن الله ليس محلًّا للحوادث، وهذا لا إشكال في ردة وكفر قائله.

ـ (الطائفة الثانية): الأشاعرة والكلابية الذين يقولون: إن كلام الله ﷻ غير المخلوق معنى قائم في نفسه، ليس بحرف ولا صوت ولا لفظ، فالحروف والأصوات التي منها كلام الله لأنبيائه وكتبه، ومنها القرآن الذي بين أيدينا، هو حكاية أو عبارة عن هذا المعنى، وليس هو كلام الله بل خلقها ليعبر عما في نفسه، واختلفوا: فالكلابية يقولون: هو حكاية عن أربعة معان: هي الأمر والنهي والخبر والاستفهام، والأشاعرة يقولون: هو عبارة لا حكاية عن معنى واحد فقط. ويلزم من مذهب الطائفتين هذا أن الشجرة هي التي قالت: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤]، ونسبة الخرس إلى الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذا كفر بالله ﷻ.

* **م الثانية:** قوله "**والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق**"، فقوله "كلام الله" أي بعضٌ منه لأن كلامه أعم من القرآن، لكن أهل السنة والجماعة يفردونه بالذكر للرد على المعتزلة الذين ينفون أنه من كلام الله حقيقة، وإضافته إلى الله ﷻ إضافة صفة له قائمة به، لا كإضافة البيت أو الناقة، فيتحصل من كلام المصنف أن القرآن يوصف بثلاث صفات: أنه كلام الله بحرف وصوت، ومنزل، وغير مخلوق، أي أن القرآن كلام الله اللفظ والمعنى، تكلم الله فسمعه منه جبرائيل، فأنزله وحياً على نبيه محمد ﷺ:

١ ـ ففي كونه كلامه أدلة متواترة في الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فأضاف الكلام إلى نفسه.

٢ ـ وفي كونه بحرف وصوت أدلة متظاهرة:

أ ـ ففي إثبات الحرف: ما روى مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وذكر نزول ملكٍ فلما سلم قال: «أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»(١)، وفي الحديث المشهور عند الترمذي عن ابْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»(٢).

(١) رواه مسلم (١/٥٥٤ ـ ٨٠٦) في كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا.

(٢) رواه الترمذي (٥/١٧٥ ـ ٢٩١٠)، في أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، [بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ القُرْآنِ مَالَهُ مِنَ الأَجْرِ]. وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ".

ب ـ وفي إثبات الصوت: ما جاء من التعبير بالسماع في قول الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣]، ولا سمع إلا بصوت. والتعبير بالنداء بقوله تعالى ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: ٥٢]، والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت.

وبما روى الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﵁، قَالَ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ ﷿ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ! يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»(١).

وروى البخاري في [بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]]: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، فَإِذَا: ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾»(٢).

وفي رواية أخرجها الطبري في التفسير بسند صحيح: «ولِقَوْلِهِ صوتٌ كصوتِ السِّلْسِلَةِ على الصَّفَا الصَفْوَانِ»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٦/٩٧ ـ ٤٧٤١)، في كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، [بَابُ ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾]، ومسلم (١/٢٠١ ـ ٢٢٢) في كتاب الإيمان. ولم يذكر مسلم في روايته الصوت.

(٢) رواه البخاري (٦/٨١ ـ ٤٧٠١)، في كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، [بَابُ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ﴾].

(٣) رواه الطبري في تفسيره جامع البيان (٢٠/٣٩٧)

ـ قال الإمام أحمد: "وهذا الجهمية تنكره"(١). وقال شيخ الإسلام: "وليس في الأئمة والسلف من قال: إن الله لا يتكلم بصوت"(٢).

ـ وقال البخاري أول الباب: "وَيُذْكَرُ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقُولُ: «يَحْشُرُ اللهُ العِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ»"(٣).

ورواه في "الأدب المفرد"، وفي "خلق أفعال العباد"، واحتج به، وذكر في كتاب العلم من الصحيح أصل هذا الحديث بصيغة الجزم(٤).

٣ ـ وفي كونه منزل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وَكَذَلِكَ ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

٤ ـ وفي كونه غير مخلوق قوله تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فجعل القرآن من أمره، وعطفه على الخلق، لبيان المغايرة بين القرآن صفة الخالق، والخلق الذي هو مربوب لصاحب الأمر.

٥ ـ وزاد بعض السلف في وصف القرآن وصفاً رابعاً: منه بدأ، وإليه

---

(١) انظر: السنة لعبد الله ابنه (١/٢٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٥٢٧).

(٣) ذكره البخاري (٩/١٤١)، في كِتَابُ التَّوْحِيدِ، [بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ..﴾ الآية.

(٤) ذكره البخاري مجزوماً معلقاً في كِتَابُ العِلْمِ، [بَابُ الخُرُوجِ فِي طَلَبِ العِلْمِ]، ووصله في خلق أفعال العباد (ص: ٤٠)، [بَابُ مَا ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ لِلْمُعَطِّلَةِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ ﷻ].

يعود": واحتج الإمام أحمد(١) وأهل السنة لذلك بما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه متصلاً، وعن جبير بن نفير مرسلاً(٢): أن النبي ﷺ قال: «مَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ عز وجل بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ»، يَعْنِي الْقُرْآنَ. وبنحوه عن أبي بكر(٣) وابن

(١) كتب المتوكل إلى الإمام أحمد يسأله عن أمر القرآن مسألة معرفة وبصيرة فكتب الإمام أحمد (كما في السنة لابنه عبد الله: ١/١٣٤): بأن القرآن غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، واحتج بحديث أبي أمامة رضي الله عنه ومرسل جبير بن نفير ثم قال: "وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين أيده الله تعالى لولا ذلك لذكرتها بأسانيدها". وانظر كذلك: السنة للخلال (٢/٢٢٥)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/١٥٧).

(٢) رواه أحمد (٣٦/٦٤٤ ـ ٢٢٣٠٦)، والترمذي (٥/١٧٦ ـ ٢٩١١)، وابن نصر المروزي في "تعظيم قدر الصلاة (١/٢٠٨ ـ ١٧٨)، والطبراني في الكبير (٨/١٥١ ـ ٧٦٥٧) من طريق بكر بن خنيس، عن ليث بن أبي سليم، عن زيد بن أرطاة، عن أبي أمامة. والحديث ضعف بثلاث علل: أحدها: ضعف بكر بن خنيس وليث بن أبي سليم. ثانيها: زيد بن أرطاة لم يسمع من أبي أمامة. ثالثها: اختلف فيه على زيد بن أرطاة وصلاً وإرسالاً من أوجه، أقواها عنه عن أبي أمامة رضي الله عنه، والثانية عنه عن جبير بن نفير مرسلاً. قال الترمذي عن المتصل المرفوع: "حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك، وتركه في آخر عمره، وقد روي هذا الحديث عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ". وقال البخاري في (خلق أفعال العباد: ص٥٠٩): "وهذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه". ورجح الدارقطني الموصول فقال في (العلل: ١٣/٢٧٦ ـ ٣١٧٢): "يرويه بكر بن خنيس، عن ليث، عن عدي بن أرطاة، وهو المحفوظ". ويؤيد الوجه المرسل: أن عبد الله بن أحمد (السنة: ١/١٤٠ ـ ١٠٩) رواه عن أبيه، والترمذي (٢٩١٢) عن إسحاق بن منصور، كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير مرسلاً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (التسعينية: ١/٣٦٥): "المرسل أثبت".

(٣) قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأصحاب مسيلمة الكذاب، لما سمع قرآن مسيلمة: "ويحكم أين يذهب بعقولكم؟ إن هذا كلاماً لم يخرج من إلٍ" أي من رب. أورده ابن جرير الطبري في تفسيره بدون إسناد (٢/٣٩١)، ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣/١٧٥)، ومنهاج السنة. (٨/٣٢٢).

عباس موقوفاً عليهما[(١)].

ولإجماع الصحابة على ذلك، لما ثبت عن عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ بإسناد صحيح كالشمس أنه قال: «أَدْرَكْتُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَنْ دُونَهُمْ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلامُ اللهِ، مِنْهُ خَرَجَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ». زاد الحافظ البيهقي: أن الإمام إسحاق بن راهويه قال بعده: "وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب رسول الله ﷺ من البدريين، والمهاجرين، والأنصار، مثل: جابر ابن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وأجلة التابعين رحمة الله عليهم، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة لم يختلفوا في ذلك"[(٢)].

(١) رواه اللالكائي في (اعتقاد أهل السنة: ٢/٢٥٦ ـ ٣٧٥): باب (سياق ما روي من إجماع الصحابة على أن القرآن غير مخلوق). والبيهقي في (الأسماء والصفات: ١/٥٩٠ ـ ٥١٩): (باب ما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين رضي الله عنهم في أن القرآن كلام الله غير مخلوق). وقوام السنة في (الحجة في بيان المحجة: ١/٣٦٤): (فصل: ذكر الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ الَّذين قَالُوا الْقُرْآن كَلام اللَّه غير مَخْلُوق)، والجورقاني في الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير (٢/٣٤٩ ـ ٦٩١): (بَابٌ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ قَدِيمٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَلَا مَرْبُوبٍ)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لمن قال: اللهم رب القرآن: "الْقُرْآنُ كَلامُ اللهِ، وَلَيْسَ بِمَرْبُوبٍ، مِنْهُ خَرَجَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ". وفيه علي بن عاصم الواسطي الأكثر على ضعفه مع صدقه وديانته. ونقل يعقوب بن شيبة أنه سأل علي بن المديني عنه قال (إكمال تهذيب الكمال: ٩/٣٥٠): "فأنكره عليٌ جدًا، واستعظمه، ولم يشك أنه كذب، ثم قال: انظر على من وقع عمران بن حدير، من أوثق شيخ بالبصرة؟ ". قلت: قد ينكر تفرده عن عمران سنداً، لكن لا أدري وجه استعظامه من ابن المديني وجعله كذبًا، خاصة أنه قد احتج به الأئمة المصنفون في كتب السنة، مع موافقته لاعتقاد أهل السنة والجماعة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (شرح العقيدة الأصفهانية: ص: ٣٣): "هذا الكلام معروف عن ابن عباس".

(٢) رواه الدارمي في (الرد على الجهمية: ١٨٩ ـ ٣٤٤)، وابن بطة في (الإبانة الكبرى: ٦/٧=

لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود"[١]. وقال سفيان الثوري في بيان عقيدته: "اكْتُبْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ"[٢].

ـ أما قوله "منه بدأ" فمعناه هو الذي ابتدأ به، وتكلم به أولاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعنى قولهم: منه بدأ أي هو المتكلم به، لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية من المعتزلة وغيرهم أنه بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم به كلام، ولم يرد السلف أنه كلام فارق ذاته؛ فإن الكلام وغيره من الصفات لا تفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل إلى غيره، فكيف تكون صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره؟ ولهذا قال الإمام أحمد[٣]: كلام الله من الله ليس ببائن منه، ورد بذلك على الجهمية المعتزلة وغيرهم الذين يقولون كلام الله بائن منه خلقه في بعض الأجسام"[٤].

ـ وأما قولهم: "وإليه يعود": فالمراد رفعه في آخر الزمان كما صح عن حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ ﷻ، فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ". صححه الحاكم، ووافقه البوصيري ثم

= ـ ١٨٤)، واللالكائي (اعتقاد أهل السنة: ٢/٢٦٠ ـ ٣٨١)، والبيهقي في (الأسماء والصفات: ١/٥٩٨).

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٣٢).

(٢) انظر: أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/١٧٠).

(٣) فسر الإمام أحمد "منه خرج"، فقال (السنة للخلال: ٢/٢٢٦)، (الإبانة الكبرى لابن بطة: ٦/٣٦ ـ ٢٢٦): "منه خرج هو المتكلم به".

(٤) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٣٢).

الألباني[(١)]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: "لَيُنْتَزَعَنَّ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، يُسْرَى عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِ عَبْدٍ وَلَا مُصْحَفٍ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ فُقَرَاءَ كَالْبَهَائِمِ"، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]"، رواه عبد الرزاق والطبراني، وسنده صحيح[(٢)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعنى قول السلف: إليه يعود ما جاء في الآثار: (إن القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية)"[(٣)].

* م **الثالثة**: في قوله: **"كيف قرئ، وكيف كتب، وحيث يُتلى في أي موضع كان، والكتابة هي المكتوب، والقراءة هي المقروء، والتلاوة هي المتلو"**: وهذا لا يعني أن أهل السنة يقولون إن أصوات القراء ومداد الكُتَّاب غير مخلوقة، بل كما قال الإمام أحمد: "التلاوة مخلوقة وألفاظنا بالقرآن مخلوقة، والقرآن كلام الله عز وجل وليس بمخلوق"[(٤)]، وقال أيضاً: "يتوجه العبد بالقرآن إلى الله لخمسة أوجه كلها غير مخلوقة: حفظ بقلب وتلاوة بلسان

(١) رواه ابن ماجه (٢/١٣٤٤ـ ٤٠٤٩)، كتاب الفتن، [باب أشراط الساعة]، والحاكم في المستدرك (٤/٥٢٠ ـ ٨٤٦٠). وانظر: مصباح الزجاجة للبوصيري (٤/١٩٤ ـ ٩٢٤١)، والسلسلة الصحيحة (١/١٧١ ـ ٨٧). ورواه البزار في مسنده (٧/٢٦٠ ـ ٢٨٣٩)، والضبي في الدعاء للضبي (١٥ـ ١٧٦) من وجه آخر موقوفاً، والرفع أصح، ولو ترجح الوقف فله حكم الرفع.

(٢) رواه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف (٣/٣٦٢ ـ ٥٩٨٠)، وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف (٧/٥٠٥ ـ ٣٧٥٨٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/١٤١ ـ ٨٦٩٨)، قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري: (١٣/١٦): "وسنده صحيح، لكنه موقوف"، وقال الهيثمي (مجمع الزوائد: ٧/٥٢) "ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل، هو ثقة".

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٣٢).

(٤) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/١٦٣).

وسمع بآذان ونظر ببصر وخط بيد، فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق"[(١)]. واشتهر هنا قول بعض السلف: الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري. وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﵁ مرفوعاً: "مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ"، لفظ مسلم"[(٢)]. وأراد السلف بهذا الرد على طائفتين:

(الطائفة الأولى): اللفظية الذين يتوصلون للقول بخلق القرآن بقولهم ألفاظنا بالقرآن مخلوقة وهي عقيدة الجهمية الذين كفرهم العلماء بذلك، وذلك لأنه إذا أطلق لفظ الخلق شمل الملفوظ وهو كلام الله، وكذا لو عكس فقال: "لفظي بالقرآن غير مخلوق"، شمل اللفظ الذي هو كلام القارئ، وهي بدعة أخرى من بدع الاتحادية، لذا سدوا الباب، فاشتهر عن أئمة السنة كالإمام أحمد قولهم: "من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع". فالسني يقول: كلام الله منزل غير مخلوق.

(الطائفة الثانية): الأشاعرة الذين يزعمون أن القرآن هو الكلام النفساني، وهو معنى قائم بذات الله، وأما المتلو، أو المسموع، فإنما هو عبارة تدلّ على كلام الله تعالى، وليس كلام الله. وفي الحقيقة كلامهم يرجع إلى قول الجهمية الذين يقولون بخلق القرآن دون تحيل. حيث إن الأشاعرة جعلوا كلام الله الذي هو من صفاته قائماً بالنفس، وما كان قائماً بالنفس في الحقيقة لا يعتبر كلاماً.

---

(١) انظر: رسالة في أن القرآن غير مخلوق لأبي إسحاق الحَرْبي (ص: ٣٢).
(٢) رواه البخاري (٦/١٩١ ـ ٥٠٢٣)، كتاب فضائل القرآن، [باب من لم يتغن بالقرآن]، ومسلم (١/٥٤٥ ـ ٧٩٢)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

❁ قال المصنف:

"وكلام الله قديم غير مخلوق على كل الحالات وفي كل الجهات، فهو كلام الله غير مخلوق، ولا محدث ولا مفعول، لا جسم ولا جوهر ولا عرض، بل هو صفة من صفات ذاته، وهو شيء يخالف جميع الحوادث، لم يزل ولا يزال متكلماً، ولا يجوز مفارقته بالعدم لذاته، وأنه يسمع تارة من الله ﷻ وتارة من التالي، فالذي يسمعه من الله سبحانه من يتولى خطابه بنفسه لا واسطة ولا ترجمان، كنبينا محمد ﷺ ليلة المعراج لما كلمه، وموسى على جبل الطور، فكذلك سبيل من يتولى خطابه بنفسه من الملائكة، ومن عدا ذلك فإنما يسمع كلام الله القديم على الحقيقة من التالي، وهو حرف مفهوم، وصوت مسموع".

تكلم المصنف عن صفة الكلام بكلام غريب خلط فيه بين كلام أهل السنة، وبين كلام المبتدعة من الكلابية والسالمية، وهذا الخلط إنما أخذه المصنف عن والده القاضي أبي يعلى، لأنه قال في خاتمة عقيدته هذه: "**فهذا اعتقادي وما أدين به لربي، وهو الذي مضى عليه والدي** رحمه الله"، ووالده القاضي أبو يعلى كان عنده خلط بين مذهب السلف وبين مذهب الكلابية والأشاعرة في باب الأسماء والصفات، لذا لما ساق شيخ الإسلام ابن تيمية طوائف أخذوا عن النفاة من الجهمية والمعتزلة في باب الصفات، قال: "ونوع ثالث: سمعوا الأحاديث والآثار، وعظموا مذهب السلف، وشاركوا المتكلمين الجهمية في بعض أصولهم الباقية، ولم يكن لهم من الخبرة بالقرآن والحديث والآثار ما لأئمة السنة والحديث، لا من جهة المعرفة والتمييز بين

صحيحها وضعيفها، ولا من جهة الفهم لمعانيها، وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية، ورأوا ما بينهما من التعارض. وهذا حال أبي بكر بن فورك، والقاضي أبي يعلى، وابن عقيل وأمثالهم"(١). ولتتميز عقيدة أهل السنة من عقيدة الكلابية والسالمية في باب كلام الله، فلزاماً علينا أن نستعرض باختصار عقيدة القاضي أبي يعلى في كلام الله، ثم نعرض بعدها ما ذكره ابنه في هذا الموطن نصيحة لله ﷻ ولرسوله ﷺ تحت مسألتين:

* **م الأولى:** عقيدة القاضي أبي يعلى في كلام الله: فالقاضي أبو يعلى ﵀ خلط بين كلام أهل السنة وكلام الكلابية، ليجمع بينهما بمذهب مبتدع ثالث وافق فيه السالمية: فمن المعلوم أن الكلابية يقولون بنفي ما يقوم بالله تعالى من الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته، وأن كلامه القديم نفسي، وأما الحروف والصوت فخلقها الله ليحكي عما في نفسه، وهذا ضلال فإن عقيدة السلف الصالح في كلام الله: بأنه صفة من صفاته غير مخلوق، وهو قديم النوع، أما آحاده بحروفه وصوته فهي مرتبطة بمشيئته تعالى يتكلم متى ما شاء إذا شاء. فجمع القاضي أبو يعلى بين قول الكلابية بعدم قيام الأفعال الاختيارية بالله، وبين قول السلف بقدم نوع الكلام، فقال بقول ثالث مبتدع وافق فيه السالمية حين قالوا: إن كلام الله كله قديم نوعه وآحاده، فصوت وحروف كلام الله كلها قديمة أزلية لازمة لذات الرب أزلاً وأبدًا، لا يتكلم بها بمشيئته وقدرته، ولا يتكلم بها شيئًا بعد شيء، فجاءوا بما تحيله العقول، لذا لما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية جماعة فيهم أبو يعلى والزاغوني وابن عقيل، قال عنهم: "يوافقون ابن كلاب على قوله: إن الله لا يتكلم بمشيئته

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/٣٤).

وقدرته، وعلى قوله: إن القرآن لازم لذات الله... حتى إن من سلك مسلك السالمية من هؤلاء كالقاضي وابن عقيل وابن الزاغوني يصرحون بأن مذهب أحمد أن القرآن قديم، وأنه حروف وأصوات"(١).

* م الثانية: قرر المصنف ـ ابن أبي يعلى ـ هنا ما يوافق معتقد أهل السنة في كلام الله الذي هو أعم من القرآن في قوله "**وكلام الله قديم غير مخلوق على كل الحالات وفي كل الجهات، فهو كلام الله غير مخلوق**"، فالسلف الصالح مجمعون على أن كلام الله غير مخلوق لأنه صفة من صفاته، وصفاته تعالى غير مخلوقة. وهو قديم النوع والجنس بخلاف آحاده بحروفه وصوته فهو مرتبط بمشيئته تعالى، يتكلم متى ما شاء إذا شاء، أي حادثة زمناً لا خلقاً، قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، أي يتكلم به في الوقت الذي يشاء بما شاء، وقيل: جديد إنزاله، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ؟ وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْدَثُ، تَقْرَءُونَهُ مَحْضاً لَمْ يُشَبْ»، وفي رواية «أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللهِ»، رواه البخاري(٢). فكل كلامه لخلقه تكلم به في وقت بعد وقت، فقال مخاطباً الملائكة وآدم لما خلقه: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، وخاطب موسى لما جاء للميقات فقال: ﴿وَلَمَّا

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٥٥).

(٢) رواه البخاري (٩/١١١ ـ ٧٣٦٣)، كتاب الاعتصام، [باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»]، وفي (٣/١٨١ ـ ٢٦٨٥)، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها.

جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وكذلك أوامره الحادثة زمناً شيئاً بعد شيء؛ كقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فهذا صريح في أن الله يتكلم بـ﴿كُنْ﴾ وقت إرادته الأشياء، ولم يتكلم بذلك قبل إرادة خلقه وإيجاده، ولذا فقد جاء في سياق كلام المصنف عدة إجمالات وإشكالات ومؤاخذات يظهر على أنه أخذها عن أبيه القاضي أبي يعلى كما سبقت الإشارة إليه:

* **(الإجمال الأول)**: في قول المصنف: "**لم يزل ولا يزال متكلماً، ولا يجوز مفارقته بالعدم لذاته**"، لا شك أن السلف الصالح يثبتون أن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، أي صفة الكلام نوعها وجنسها قديم ملازم للذات، وهو كذلك لا يزال يتكلم متى شاء إذا شاء، فآحاد كلامه مرتبط بمشيئته. فقول المصنف: "**ولا يجوز مفارقته بالعدم لذاته**"، هذا ينطبق على نوع الكلام وجنسه لله تعالى، لكن تعميمه قبل هذه العبارة بقوله: "**بل هو صفة من صفات ذاته**"، وقوله: "**ولا محدث ولا مفعول**" يشعر بأنه وقع له به معنى فاسدٌ كما وقع لأبيه القاضي أبي يعلى وطائفة حين أطلقوا عبارة "**لم يزل متكلماً**"، وأرادوا به جعل كلام الله صفة ذاتية أزلية كالعلم الذي هو ضد الجهل، فلا ارتباط لكلامه تعالى بالمشيئة، فيكون معنى "**لم يزل متكلماً**" عندهم أي ليس بأخرس، لا على معنى أنه يتكلم ويسكت متى شاء، فيثبتون له الكلام صفة ذاتية ضد الخرس، لا على أنه صفة فعلية ضد السكوت ترتبط بالمشيئة؛ لذا أشار شيخ الإسلام ابن تيمية لقول هذه الطائفة حين ذِكْر أبي بكر الخلال، فقال: "وقد ذكر ذلك عنه القاضي أبو يعلى في كتاب (إيضاح البيان في مسألة القرآن). قال أبو بكر: لما سألوه إنكم إذا قلتم لم يزل متكلماً كان ذلك عبثاً

فقال: لأصحابنا قولان، أحدهما: أنه لم يزل متكلمًا كالعلم؛ لأن ضد الكلام الخرس كما أن ضد العلم الجهل"[(١)]، ومن ثم فتعميم المصنف بقوله: "**ولا يجوز مفارقته بالعدم لذاته**"، دون قصرها على نوع الكلام وجنسه، يؤيد أنه أراد هذا المذهب بأن كلام الله صفة ذاتية أزلية قديمة لا تفارق الذات، وبذا نحا بهذه المقالة إلى لازم باطل وافق رأي الكلابية، وهو أنه لا يجوز عندهم وصف الله بالسكوت، وقد أشار شيخ الإسلام أن بعض الحنابلة ـ كالقاضي أبي يعلى ـ حاولوا أن يفسروا ما جاء في صفة السكوت الفعلية لله، بأنه ليس سكوتاً عن الكلام، بل سكوت عن الإسماع، ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أصل ابن كلاب ـ الذي وافقه عليه القاضي وابن عقيل وابن الزغواني وغيرهم ـ أنه منزه عن السكوت مطلقًا، فلا يجوز عندهم أن يسكت عن شيء من الأشياء، إذ كلامه صفة قديمة لذاته لا تتعلق عندهم بمشيئته كالحياة، حتى يقال: إن شاء تكلم بكذا، وإن شاء سكت عنه. ولا يجوز عندهم أن يقال: إن الله سكت عن شيء كما جاءت به الآثار، بل يتأولونه على عدم خلق الإدراك؛ لأنه منزه عن الخرس باتفاق الأمة، هذا مما احتجوا به على قدم الكلام"[(٢)]. وقال أيضاً: "فثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت؛ لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه... لكن هذان المعنيان المعروفان في السكوت لا تصح على قول من يقول: إنه متكلم كما أنه عالم؛ لا يتكلم عند خطاب عباده بشيء؛ وإنما يخلق لهم إدراكًا ليسمعوا كلامه القديم، سواء قيل هو معنى مجرد أو معنى وحروف؛ كما هو قول ابن كلاب والأشعري، ومن قال بذلك من الفقهاء

---

(١) العقيدة الأصفهانية (٧٢).

(٢) العقيدة الأصفهانية (٧٥).

وأهل الحديث والصوفية من الحنبلية وغيرهم، فهؤلاء إما أن يمنعوا السكوت وهو المشهور من قولهم، أو يطلقوا لفظه ويفسروه بعدم خلق إدراكٍ للخلق يسمعون به الكلام القديم، والنصوص تبهرهم"[(١)].

* **(الإجمال الثاني)**: قول: "**ولا محدث ولا مفعول... وهو شيء يخالف جميع الحوادث**"، فيقال: إطلاق لفظ "محدث" على كلام الله من الألفاظ المجملة التي قد يدخل منها من يريد سلب صفات الله وأفعاله اللائقة به، فكان على المصنف أن يكتفي بقوله "**فهو كلام الله غير مخلوق**"، ووجه الخطأ في قوله "**ولا محدث**" من ثلاثة أوجه:

١ ـ أن الله بنفسه وصف كلامه بذلك بقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، فأهل السنة والجماعة يثبتون وصف "محدث" لكلام الله تعالى الذي هو عندهم كله صفة من صفاته غير مخلوقة، لكن معنى الآية عندهم: أن آحاد كلامه الذي هو صفة فعل غير مخلوقة، يحدثها بكلام يتكلم به كيف يشاء متى ما يشاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولو أحدث في ذاته الكلام، ولو كان كلامه حادثاً أو محدثًا، فإن نفس الكلام: أي هذه الصفة ونوعها ليس بحادث ولا محدث ولا مخلوق. وأما الكلام المعين (كالقرآن) فليس بمخلوق لا في ذاته، ولا خارجًا عن ذاته؛ بل تكلم بمشيئته وقدرته، وهو حادث في ذاته. وهل يقال: أحدثه في ذاته؟ على قولين: أصحهما أنه يقال ذلك كما قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾، وقال النبي ﷺ (إِنَّ اللهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ: أَنْ لَا تَكَلَّمُوا

(١) مجموع الفتاوى (١٧٩/٦).

فِي الصَّلَاةِ)، قد بوب البخاري في "صحيحه" لهذا بابًا دل عليه الكتاب والسنة"[(١)]. قلت: بوب البخاري، فقال: "بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [الطلاق: ١]، وَأَنَّ حَدَثَهُ لَا يُشْبِهُ حَدَثَ المَخْلُوقِينَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ: أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ[(٢)]»".

وإنما يمنع أهل السنة إطلاق وصف "محدث" على كلام الله إذا كان يراد به أنه مخلوق، لذا نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد إنكار هذا المعنى الفاسد، فقال: "ولهذا أنكر أحمد على من قال: القرآن محدث، إذ كان معناه عندهم معنى الخلق المخلوق، كما روى الخلال عن الميموني أنه قال لأبي عبد الله: ما تقول فيمن قال: إن أسماء الله محدثة؟ فقال: كافر"[(٣)].

٢ ـ أن الكرامية قالوا عن كلام الله: "**ولا محدث**"، وأرادوا أن كلامه

(١) مجموع الفتاوى (٦/٣٢٨).

(٢) رواه البخاري (٩/١٥٢) هكذا معلقاً في هذا الباب من كتاب التوحيد. ووصله أبو داود (١/٢٤٣ ـ ٩٢٤)، كتاب الصلاة والسجود، [باب رد السلام في الصلاة]، والنسائي (٣/١٩ ـ ١٢٢١)، كتاب السهو، [باب الكلام في الصلاة]. وصححه ابن حبان (٦/١٧ ـ ٢٢٤٤)، وقال ابن عبد الهادي في (تنقيح التحقيق: ٢/٣٠٢): "هذا حديثٌ صحيحٌ، وقد أخرجاه في الصَّحيحين بغير هذا" أي بغير هذه الزيادة، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/٤٣٩).

(٣) الفتاوى الكبرى (٦/٣٩٣).

تعالى كله قديم على أنه صفة ذات، لا يتكلم بكلام بعد كلام كيف يشاء في الوقت الذي يشاء، فيريدون بنفي وصف كلام الله بالمحدث نفي قيام الصفات الاختيارية بالله، بحجة امتناع قيام الحوادث بالله تعالى عندهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "يقولون: إن المخلوق هو المحدث، وهو ما يحدثه الله تعالى منفصلاً عنه، وإنه ما ثم إلا قديم أو مخلوق، وما كان قديمًا فإنه لازم لذات الله تعالى، ولا يتعلق بمشيئته وقدرته، ولا يكون فعلاً له، وما كان محدثًا فهو المخلوق المنفصل عن الله تعالى، وهو المتعلق بمشيئته وقدرته. ولا يقوم عندهم بذات الله فعل ولا كلام ولا إرادة، ولا غير ذلك مما يتعلق بمشيئته وقدرته، ويقولون: لا تحل الحوادث بذاته، ولا يجوز عليه الحركة، ولا فعل حادث"(١).

٣ ـ أن المصنف قال بعد قوله "**ولا محدث**": "**ولا مفعول**"، وإطلاق لفظ "**ولا مفعول**" على كلام الله باطل يفضي إلى التعطيل؛ لأن السلف الصالح وأهل السنة يقولون: إن الفعل يقوم به تعالى، وكلامه مفعول له بمشيئته، أما من يقول: إن كلام الله غير مفعول فهم الكلابية الذين قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية آنفاً: لا يقوم عندهم بذات الله فعل ولا كلام ولا إرادة. وهذا بناء على القاعدة عندهم: أن الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق، فالأفعال الاختيارية لله تعالى ـ كآحاد الكلام المرتبط بالمشيئة ـ لا تكون إلا مخلوقاً منفصلاً عنه، فيقولون: إذا أثبتم كلام الله مفعولاً فهو مخلوق. لذا فقولهم: "غير مفعول"، أي لا يتكلم الله بحروف وصوت متى ما شاء؛ لأن هذا وصفٌ لكلامه بالخلق، وإنما كلامه قديم ذاتي. وأهل السنة

(١) التسعينية (٢/٤٨٢).

يقولون: إن الخلق غير المخلوق، وأن الفعل غير المفعول، فإذا قال تعالى لشيء أراد خلقه ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٧]، فكلامه الذي هو الخلق من فعله الذي يقوم به، وهو صفة من صفاته الاختيارية، والمفعول هو الشيء الكائن المخلوق. لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والقول بأن الخلق غير المخلوق، وأنه فعل يقوم بالرب هو قول أكثر المسلمين: هو قول الحنفية وأكثر الحنبلية، وإليه رجع القاضي أبو يعلى أخيراً، وهو الذي حكاه البغوي عن أهل السنة وهو الذي ذكره أبو بكر الكلاباذي عن الصوفية، وذكره في كتاب (التعرف لمذهب التصوف)، وهو الذي ذكره البخاري في كتاب (أفعال العباد) إجماعاً من العلماء، وهو الذي ذكره ابن عبد البر وغيره عن أهل السنة"(١). وقال أيضاً: "بل الذي عليه نظار الإسلام أن الصفات تنقسم إلى: لازمة للموصوف لا تفارقه إلا بعدم ذاته، وإلى عارضة له يمكن مفارقتها له مع بقاء ذاته"(٢).

وقال ابن القيم:

"فنقول هذا القدر قد أعيي على ... أهل الكلام وقاده أصلان
إحداهما هل فعله مفعوله ... أو غيره فهما لهم قولان
والقائلون بأنه هو عينه ... فروا من الأوصاف بالحدثان
لكن حقيقة قولهم وصريحه ... تعطيل خالق هذه الأكوان
عن فعله إذ فعله مفعوله ... لكنه ما قام بالرحمن

(١) مجموع الفتاوى (٦/٢٩٧).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٣/٣٢١).

فعلى الحقيقة ما له فعل إذ المفعول منفصل عن الديان"[١]

❊ **(الإجمال الثالث)**: في قوله: "**وأنه يسمع تارة من الله ﷻ وتارة من التالي، فالذي يسمعه من الله سبحانه من يتولى خطابه بنفسه لا واسطة ولا ترجمان، كنبينا محمد ﷺ ليلة المعراج لما كلمه، وموسى على جبل الطور، فكذلك سبيل من يتولى خطابه بنفسه من الملائكة، ومن عدا ذلك فإنما يسمع كلام الله القديم على الحقيقة من التالي، وهو حرف مفهوم، وصوت مسموع**"، تمييز المصنف بين الكلام المسموع مباشرة من الله وبين قراءة التالين يشعر بأنه يرى أن كلام الله بلا واسطة كلام يتعلق بمشيئته كقول أهل السنة دون كلام التالين القديم، لكن هذا ليس بظاهر؛ لأن المصنف عمم قوله في تعبيره عن وصف كلام الله تعالى حين قال: "**وكلام الله قديم**"، وقال: "**ولا محدث ولا مفعول**"، وقال: "**بل هو صفة من صفات ذاته**"، وقال: "**ولا يجوز مفارقته بالعدم لذاته**"، وبيان ذلك من وجهين:

١ ـ تقسيم المصنف كلام الله إلى قسمين: ـ الأول هو كلامه الذي يسمع منه مباشرة كسماع موسى عليه السلام. والثاني كلامه الذي يسمع من التالين والقارئين ـ هو مذهب السالمية بعينه الذين يقسمون كلام الله لهذين نوعين: بواسطة وبغير واسطة، ويقولون: الرب لم يزل يتكلم منذ الأزل بحروف وأصوات، لكن لا يتكلم بقدرته ومشيئته، إذ لو أثبتنا أنه يتكلم بمشيئته لجعلناه محلًّا للحوادث. قال ابن القيم: "مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، وسور

(١) الكافية الشافية (١/٣٤٤).

وآيات، سمعه جبرائيل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان: بواسطة وبغير واسطة، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضاً، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر، وجمهور العقلاء قالوا: تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه، والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها، وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل"(١).

٢ ـ قال المصنف: "**ومن عدا ذلك فإنما يسمع كلام الله القديم على الحقيقة من التالي، وهو حرف مفهوم، وصوت مسموع**": فوصف المصنف هنا بأن الصوت المسموع من القارئ هو كلام الله القديم الأزلي، وهو اعتقاد بعض السالمية، وهو مذهب والده أبي يعلى وطائفة من أصحاب المذاهب الذين قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: "من أكابر الفضلاء من لا يعرف أقوال الأئمة في أكابر المسائل، لا أقوال أهل الحق ولا أهل الباطل، بل لم يعرف إلا بعض الأقوال المبتدعة في الإسلام"(٢). وقال بعض السالمية: بل هو صوت القارئ صوت قديم ومحدث، وغلا بعضهم فصرح ـ تعالى الله ـ بأن صوت القارئ هو صوت الله لا غير، وكل هذا مخالف لاعتقاد أهل السنة في كلام الله: وهو أن القديم منه هو فقط جنس كلامه الذي هو صفة الذات، أما ما يتكلم به مع خلقه بعد ذلك مباشرة بسماع موسى عليه السلام من الله، أو

(١) مختصر الصواعق (٤٩٨). وسيأتي مجمل اعتقادهم عند تحذير المصنف من أهل البدع في آخر الكتاب.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢/٣١٢).

بواسطة كسماع محمد ﷺ من جبريل عليه السلام، كل أفراده حادثة، ومن ذلك القرآن، فالقرآن كلام الله تكلم به بحرف وصوت تبعاً لمشيئته بعد أن لم يكن متكلماً به قبل ذلك، ولا يغير من حقيقة ذلك كونه مسموعاً أو متلواً أو مكتوباً على أي وجه تصرف كما سبق تقريره. فالسلف يقررون: أنه حينما يتلو القارئ القرآن، فالصوت صوت القارئ، والكلام هو كلام الله الذي تكلم الله به فسمعه جبريل فأنزله على محمد عليهما السلام، فقراءة جبريل ومحمد وغيرهما بعد ذلك هو كلام الله بأصواتهم التي خلقها الله، لذا تقدم قول الإمام أحمد: "التلاوة مخلوقة، والمتلو غير مخلوق"[(١)]. وقول السلف: الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري.

لذا لمّا نقل شيخ الإسلام ابن تيمية القول بقدم تلاوة التالي عن ابن الزغواني عن بعض أصحابه، قال: "دعوى أن هذا الصوت المسموع من العبد أو بعضه، هو صوت الله أو هو قديم، بدعة منكرة مخالفة لضرورة العقل، لم يقلها أحد من أئمة الدين، بل أنكرها جمهور المسلمين من أصحاب الإمام أحمد وغيره، وإنما قال ذلك شرذمة قليلة من الطوائف، وهي أقبح وأنكر من قول الذين قالوا: لفظنا بالقرآن غير مخلوق. فإن أولئك لم يقولوا: صوتنا، ولا قالوا: قديم. ومع هذا فقد اشتد نكير الإمام أحمد عليهم، وتبديعه لهم، وقد صنف الإمام أبو بكر المروذي ـ صاحبه ـ في ذلك مصنفاً، جمع فيه مقالات علماء الوقت، من أهل الحديث والسنة من أصحاب أحمد وغيرهم على إنكار ذلك، وقد ذكر ذلك أبو بكر الخلال في كتاب السنة. وهذا الذي ذكره ابن الزاغوني عن أصحابه، إنما هم أتباع القاضي أبي يعلى في ذلك،

(١) انظر: رسالة في أن القرآن غير مخلوق لأبي إسحاق الحَرْبي (ص: ٣٢).

فإن هذا تصرف القاضي والله يغفر له"[١]. بل قال: "ومن قال نفس أصوات العباد أو مدادهم أو شيئًا من ذلك قديم، فقد خالف أيضا أقوال السلف، وكان فساد قوله ظاهرًا لكل أحد، وكان مبتدعًا قولاً لم يقله أحد من أئمة المسلمين"[٢].

❊ **(الإجمال الرابع)**: قوله "**لا جسم ولا جوهر ولا عرض**"، هذا النفي للجسم والجوهر والعرض، وكل ما لم يرد في الكتاب والسنة نفيه ولا إثباته، ليس من منهج أهل السنة في أسماء الله وصفاته، بل هو من منهج أهل الباطل، كما قال أبو العباس ابن سريج ـ وذكر توحيد أهل السنة بالإثبات مع التنزيه ـ: "وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك"[٣]. وقال أبو الوفاء بن عقيل لبعض أصحابه: "أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بَكْر وعمر فبئس مَا رأيت"[٤]. وهنا تنبيهان:

الأول: دخلت هذه الألفاظ من شبه أهل الكلام المذموم الذين يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل، عكس طريقة القرآن: فالإثبات للصفات فيه مفصلاً والنفي مجملاً، لذا لما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن الأئمة لما ذكر لهم أهل البدع الألفاظ المجملة، كلفظ الجسم والجوهر والجهة، لم

(١) التسعينية (٣/٨٦٨).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/٥٤).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/٣٠٥).
(٤) انظر: كتب تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص: ٧٧)، وذيل طبقات الحنابلة (١/٣٣٧).

يوافقوهم على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفي. يقول شيخ الإسلام: "الألفاظ التي تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين، مثل لفظ (الجسم) و(الجوهر) و(المتحيز) و(الجهة)، ونحو ذلك؛ فلا تطلق نفيًا ولا إثباتًا، حتي ينظر في مقصود قائلها؛ فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنًى صحيحًا موافقًا لما أخبر به الرسول ﷺ صوب المعنى الذي قصده بلفظه؛ ولكن ينبغي أن يعبر عنه بألفاظ النصوص، ولا يعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد بها"(١).

الثاني: أن طريقة السلف التوقف عن مثل هذه الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة نفياً أو إثباتاً، لئلا يتوصل المعطلة بها إلى سلب صفة الكلام عن الله حقيقة، كما قالت الأشاعرة والكلابية: بأن كلام الله قديم نفسي؛ أي معنى قائم بنفسه بلا حرف ولا صوت بل الحروف مخلوقة، وعقيدة السلف الصالح أن كلام الله حقيقة، وصفة من صفاته غير مخلوق بحروفه وصوته، يتكلم به متى ما شاء كما تقدم عند قول المصنف: "**والقرآن كلام الله**". وسيأتي مزيد تفصيل عند قول المصنف: "**ولا تجسيم**".

---

(١) منهاج السنة (٢/٥٥٤).

❁ قال المصنف:

"ثم الإيمان بأن الله جل ذكره واحد لا يشبهه شيء، ولا نشبه صفاته ولا نكيفه، ولا يكيف صفاته وَهَمٌ، وإن ما يوقعه في الوهم فالله وراء ذلك، وأنه حي بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة، آمر بأمر، ناهٍ بنهي، ونقر بأنه خلق آدم بيده".

ابتدأ المصنف بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفات الله في قواعد قبل الدخول في التفصيل لسرد هذه الصفات، وبيان ذلك بمسائل:

❊ **م الأولى:** في قوله "**ثم الإيمان بأن الله جل ذكره واحد لا يشبهه شيء، ولا نشبه صفاته ولا نكيفه، ولا يكيف صفاته وَهْمٌ، وإن ما يوقعه في الوهم فالله وراء ذلك**". ذكر المصنف في هذه العبارة قاعدة أهل السنة في إثبات صفات الله ﷻ بنفي الشبيه والمماثل بقوله "**لا يشبهه شيء، ولا نشبه صفاته**"، ونفي التكييف بقوله "**ولا نكيفه، ولا يكيف صفاته وَهْمٌ، وإن ما يوقعه في الوهم فالله وراء ذلك**". فقرر المصنف هنا القاعدة الأهم عند أهل السنة والجماعة المأخوذة من قوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وهذه الآية فيها أبلغ النفي لوجود الشبيه والمثيل لله ﷻ، ثم لمّا نفى أثبت، وهذا على القاعدة المعروفة: أن النفي يكون مجملاً، والإثبات يكون مفصلاً. وسواء قلنا الكاف هنا زائدة للتأكيد والمعنى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ أو قلنا: إن الكاف هنا بمعنى المثل، بمعنى ليس مثلَ مثلِه شيء، وهذا يقتضي المبالغة في نفي المثيل، وهذه الآية وأمثالها تبين أن قاعدة

الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة تنبني على أصلين مأخوذة من قول المصنف: "**لا يشبهه شيء، ولا نشبه صفاته ولا نكيفه، ولا يكيف صفاته**"، إلى قوله: "**ونقر بأنه خلق آدم بيده**":

ـ **الأصل الأول:** إبقاء نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها من غير تغيير، لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي ﷺ يتكلم باللسان العربي، فوجب إبقاء دلالة كلام الله ورسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان، ولأن تغييرها عن ظاهرها حرام وقول على الله بلا علم. ولذا نقول كل صفة ذكرت في الكتاب والسنة فهي حقيقة؛ لأن الأصل في الكلام الحقيقة فلا يعدل عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها. وليس معنى الحقيقة إثبات أي صفة ترد على الذهن؛ لأن الله تعالى لما أثبت صفتي السمع والبصر على الحقيقة باللغة العربية المبينة بقوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ قطعاً لمادة التعطيل لصفاته، قال قبلها قطعاً لمادة التشبيه والتمثيل التي قد تطرأ على الذهن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ و"شيء" نكرة في سياق النفي فتعم أي نوع من أنواع المماثلة، ففيه أنه سبحانه أراد وصف نفسه بالسمع والبصر حقيقة وإلا لما كان هناك داعٍ لنفي المماثلة. قال بعض أهل العلم: خصَّ السمع والبصر في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ لأنهما من أكثر الصفات اشتراكا بين ذوات الأرواح، وَكُلٌّ له سمع يناسب ذاته، فنبه الله ﷻ على أنه كما لا تتماثل ذوات الأرواح في الاتصاف بهاتين الصفتين، فكذلك ﷻ له سمع وبصر يليق بذاته.

ـ **الأصل الثاني:** أنه لا بد من الجمع بين النفي والإثبات كما في قوله

تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وعليه بنيت القاعدة المقررة عند أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وهي: (إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وكذا ينفون ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه ﷺ لا يتجاوزون الكتاب والسنة)، أو بعبارة أخرى (إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل). أي بإثبات السمع والبصر وسائر الصفات، مع نفي التمثيل والتشبيه بالمخلوقين لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ونفي التكييف لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، **والفرق بين التمثيل والتكييف** أن: التمثيل: ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل. والتكييف: ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل. مثال التمثيل: أن يقول القائل: يد الله كيد الإنسان. ومثال التكييف: أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها في أيدي المخلوقين، فلا يجوز هذا التخيل. لذا جرى عند علماء السنة قولهم "إثبات بلا كيف"، فهذا ليس لأصل حقيقة الصفة والكيفية مطلقاً، وإنما نفي الكيفية المتصورة في ذهن المخلوق، لذا قال المصنف: "**ولا يكيف صفاته وَهْمٌ، وإن ما يوقعه في الوهم فالله وراء ذلك**"؛ لأنه لا سبيل لمعرفة ذاته ﷻ إلا بالنظر إليه، أو لنظيره، والأول لم يحصل بقوله تعالى لموسى الكليم ﷺ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] ـ يَعْنِي فِي الدُّنْيَا ـ، وقول النبي ﷺ لمّا سئل: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟» رواه مسلم(١)، والثاني غير ممكن وغير موجود لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وهو سبحانه فوق ما تتصور العقول وتتوهم القلوب لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

(١) صحيح مسلم (١/١٦١ ـ ١٧٨)، كتاب الإيمان.

* **م الثانية:** في قوله "**وأنه حي بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة، آمر بأمر، ناهٍ بنهي**"، أراد المصنف رحمه الله الرد على طوائف من أهل البدع كالمعتزلة القائلين بأن أسماء الله أعلام محضة جامدة لا دلالة لها على الوصفية البتة، فيثبتون الأسماء، وينفون الصفات؛ فيثبتون أنه حي بلا حياة، وعالم بلا علم، وأما أهل السنة فلا يخرجون عن مقتضى الكتاب والسنة، ولذا فيقوم اعتقادهم في هذا الباب على أصلين:

ـ **الأصل الأول:** أنهم لا يسمون الله ولا يصفونه إلا بما سمى ووصف به نفسه عز وجل، أو سماه ووصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم، فقول المصنف "**وأنه حي بحياة، عالم بعلم**" لم يثبت ذلك أهل السنة إلا بدلالة الكتاب والسنة:

ـ فأسماء الله وصفاته عندهم توقيفية، وإن كان باب الصفات أوسع من باب الأسماء، لأنه لكل اسم صفة، وليس لكل صفة اسمٌ، فالصفات الذاتية مثل اليد والعين لا يشتق منها أسماؤه.

ـ وهم كذلك لا يجحدون أو يعطلون شيئاً من أسماء الله الحسنى الثابتة، أو ما دلت عليه من صفات الكمال على الوجه الذي يليق به تعالى، بخلاف طائفتي المبتدعة المخالفين لأهل السنة في أسماء الله الحسنى وما تضمنته من صفات لله، وهم متفاوتون بالضلال ومخالفة الكتاب والسنة:

ـ (**فالطائفة الأولى**): طوائف النفاة، وهم الجهمية والمعتزلة والفلاسفة:

فالجهمية: ينفون كل اسم لله يشاركه في أصله غيره نفياً للتشبيه بزعمهم،

فلا يقال: حيّ، ولا عالم. ويثبتون الأسماء المختصة به التي لا يشارك بها: كخالق، ومحيي، ومميت.

وأما المعتزلة: فإنهم يثبتون الأسماء دون الصفات، فالله حي بلا حياة وعالم بلا علم، لأن في إثباتها بزعمهم مشاركة الله في أخص وصف ذاته وهو القدم، مما يؤدي لتعدد القدماء والآلهة.

وأما **الفلاسفة الملاحدة** المجيزون لتعدد القدماء كالعقول والأفلاك، فقد وافقوا المعتزلة في نفي الصفات، لكن علة النفي عندهم: أن في إثبات الصفات الواردة كالعلم والحياة سلوباً وإضافات يستلزم الكثرة والتركيب في ذات الله وهذا ينافي عندهم كونه تعالى واحداً. ولذا يصفون الله بأنه "موجود" لا غير؛ لأن الوجود لا يوجب كثرة ولا تعدداً.

ـ **(الطائفة الثانية)**: طائفتا الإثبات، وهما الأشاعرة، والكرامية:

فالأشاعرة: يثبتون لله ﷻ سبع صفات زائدة على الذات يطلقون عليها اسم صفات المعاني، بمعنى وجود معنى لها زائد على الذات لكن لا يقوم شيء منها بغير ذاته، وكلها قديمة لئلا يكون سبحانه محلًّا للحوادث، وهذه الصفات هي: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام.

وأما الكرامية: فكذلك أثبتوا أيضاً صفات المعاني لله ﷻ زائدة على ذاته. لكنهم قالوا: إنه تعالى لم يزل خالقاً، رازقاً، منعماً، من غير وجود خلق ورزق ونعمة منه، وأن معنى خالقيته قدرته على الخلق، ورازقيته قدرته على الرزق، وإنعامه قدرته على الإنعام.

ـ والمصنف رحمه الله لم يذكر في السياق إلا ما أثبتته الأشاعرة من الصفات، لكنه ساق ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر؛ حيث إنه ساق بعدها إثبات الصفات الذاتية كاليد والوجه، وصفات الفعل كالنزول والضحك.

ـ **الأصل الثاني**: أن قول المصنف "**وأنه حي بحياة، عالم بعلم**" يدل على أن كل اسم لله عند أهل السنة متضمن لصفة ولا بد، لأن هذه الأسماء تدل على أمرين: على الذات المقدسة، وعلى الصفات الدالة على المعنى القائم بالذات. وبعض هذه الأسماء تزيد على الدلالة على الذات وعلى الصفة بالدلالة على مقتضى لها خارج الذات، على هذا فأسماء الله عندهم نوعان:

* **فالنوع الأول**: أن تدل الأسماء على وصف متعدٍّ، فتتضمن هنا ثلاثة أمور:

(أحدها) ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

(الثاني) ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

(الثالث) ثبوت حكمها ومقتضاها. كالسميع يتضمن إثبات السميع اسمًا لله تعالى، ثم إثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو: أنه يسمع السر والنجوى؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

* **النوع الثاني**: أن تدل على وصف غير متعد فتتضمن الأمرين الأوليين دون الثالث، كالحي يتضمن إثبات الحي اسمًا لله عز وجل، وإثبات الحياة صفة له.

❁ قال المصنف رحمه الله:

"ونقر بأنه خلق آدم بيده؛ لقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال جل ذكره: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وإن له يميناً كقوله تعالى: ﴿مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

بدأ المصنف بسياق ما يثبت لله من الصفات الذاتية والفعلية لله ﷻ، فتضمن هذا السياق إثبات اليدين لله ﷻ؛ لقوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وله يمين؛ لقوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وأنه خلق آدم بيده كما خلق جنة عدن بيده، وخط التوراة لموسى بيده، بينما خلق سائر الخلق بالأمر "كن"، ويمينه تعالى ملأى بالخير والرزق، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع، ويوم القيامة يقبض بيمينه السموات، ويطوي الأرضين بيده الأخرى، وكلتا يديه يمين ﷻ، ففي "الصحيحين": قال ﷺ: «إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى القَبْضُ ـ وفي رواية للبخاري: وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ ـ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»[(١)].

وفيهما قال ﷺ: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا

---

(١) صحيح البخاري (٩/١٢٤ ـ ٧٤١٩)، كتاب التوحيد، [باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾]، وفي (٩/١٢٢ ـ ٧٤١١)، [باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾]. ومسلم (٢/٦٩١ ـ ٩٩٣)، كتاب الزكاة.

المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ»[(١)]. وقد أجمع السلف ـ ومن تبعهم بإحسان ـ على إجراء القاعدة السنية السلفية عندهم بإثبات يدين حقيقيتين تليقان بالله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وفيه مسألتان:

* م **الأولى**: أن اليدين من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الذات الإلَهية على قاعدة الصفات التي لا تقوم بنفسها، واليد في القرآن أتت على الإفراد، وتارة على التثنية، وتارة على الجمع: فأما الإفراد ففي قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وأما التثنية فكما في قوله تعالى هنا ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. وأما على الجمع ففي قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١]، والسلف مجمعون على أن لله يدين اثنتين، وأما إتيانها بصيغة المفرد، فالمفرد مضاف فيكون الإضافة للجنس فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الاثنتين، وأما الجمع فإن من لغة العرب أن المثنى إذا أضيف إلى ضمير تثنية فإنه يُجمع لأجل خفة اللفظ؛ كما في قوله تعالى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٥]، فالقلبان أضيفا إلى مثنى فجمع تخفيفاً. على أنه يجوز أن يقال: هو للتعظيم لا لحقيقة العدد.

* م **الثانية**: قد فسر أهل التعطيل اليدين بالنعمة أو القدرة فراراً بزعمهم من التشبيه. ويرد عليهم أهل السنة بأربعة أمور:

١ ـ أن الله قد أثبت ذلك لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، وأجمع على

---

(١) صحيح البخاري (٦/١٢٦ ـ ٤٨١٢)، كتاب التوحيد، [باب قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾]، ومسلم (٤/٢١٤٨ ـ ٢٧٨٧)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

ذلك السلف دون اعتقاد المماثلة والمشابهة للمخلوقين.

٢ ـ أنه لا يلزم من ذلك مماثلة يد الله سبحانه للمخلوقين؛ لأن الله أثبت له سمعاً وبصراً وخلق للخلق سمعاً وبصراً، لكنه قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣ ـ نحججهم بما يثبتون من الصفات كالعلم الذي أثبته الله لخلقه، فإذا أثبتوا العلم للخالق والمخلوق مع عدم المماثلة لزمهم إدخال سائر الصفات.

٤ ـ أنه يلزمهم بما زعموا من تأويل اليد بالقدرة أو النعمة بما هو شر مما فروا منه في قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] بأن لله قدرتين أو نعمتين، وأن النعمة تَخْلُقُ.

٥ ـ أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعاً كقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله ﷺ: «وبيده الأخرى القبض»، وللبخاري: «وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع». بل فيما روى الشيخان أبلغ في ذلك في قول النَّبِيِّ ﷺ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلاً لأَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

(١) صحيح البخاري (٨/١٠٨ ـ ٦٥٢٠)، كتاب الرقاق، [باب يقبض الله الأرض يوم القيامة]، ومسلم (٤/٢١٥١ ـ ٢٧٩٢)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

❁ قال المصنف:

"وإن له وجها كقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]".

ذكر المصنف هنا صفة ذاتية أخرى لله ﷻ، وهي صفة الوجه، لقوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. وفي مسلم قال ﷺ عن الله ﷻ: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(١)، وهي صفة ثابتة لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته، على القاعدة السنية السلفية: من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل. قال الحافظ ابن كثير: "إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فعبر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله ها هنا: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، أي: إلا إياه"(٢).

❋ قد فسر أهل التعطيل من الأشاعرة الوجه بالثواب، وشبهتهم أن في إثبات الوجه تشبيهاً للخالق بالمخلوق، وفسره غيرهم بأن الوجه هنا هو الذات لأن علماء السنة يفسرون قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾، أي تبقى نفسه وذاته، ويرد عليهم في التأويلين:

ـ **أولاً**: الرد على القائلين بأن الوجه هو الثواب، يقال:

(١) صحيح مسلم (١/١٦١ ـ ١٧٩)، كتاب الإيمان.
(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٦١).

١ ـ إن القرآن والسنة أثبتا لله وجهاً على الحقيقة باللسان العربي المبين، وفهم ذلك السلف.

٢ ـ لا يلزم من ذلك مماثلة وجه الله سبحانه للمخلوقين لأن الله أثبت له سمعاً وبصراً وخلق للخلق سمعاً وبصراً، لكنه قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣ ـ نحتج عليهم بما يثبتون من الصفات كالعلم الذي أثبته الله لخلقه، فإذا أثبتوا العلم للخالق والمخلوق مع عدم المماثلة لزمهم إدخال سائر الصفات.

٤ ـ هل يصح أن نقول عن قوله ﷺ عن ربه ﷻ: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»، أي: لأحرق ثوابه ما انتهى إليه بصر الثواب، أو يصح أن يوصف ثواب الله بالبقاء ليكون إلهاً في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، أو يوصف الثواب بمثل هذه الصفات العظيمة في قوله تعالى ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

ـ **ثانياً**: الرد على القائلين بأن الوجه هو الذات لا غير، يقال:

١ ـ أننا لو فسرنا الآية بظاهرها كما في قول النبي ﷺ عن الله: «يا ابنَ آدمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْني» رواه مسلم(١)، لوقعنا بما قاله شرار الخلق المبتدعة الذين قالوا: إن الله يفنى إلا وجهه(٢). لكن عبرنا بالوجه عن الذات لدلالة

(١) صحيح مسلم (٤/١٩٩٠ ـ ٢٥٦٩)، كتاب البر والصلة والآداب.
(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢١٤)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٥٣).

الآيات الأخرى الدالة على بقاء الله بذاته كقوله تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وفي الصحيحين: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[(١)].

٢ ـ تفسير الوجه ببقاء الذات صحيح، وذلك لأن الصفات من الذات وليست غيرها فبقاؤها بقاء للذات باللازم، والقرآن يخاطب العرب بلغتهم حين تقول: وَجْهي إليك. فعبروا بالوجه عن الذات؛ لأنه البعض الأشرف من الذات.

٣ ـ كذلك السلف يفسرون الآية بالمعنى الإجمالي دون نفي التفصيل، فقد جاء عن ابن عباس في قوله ﷻ ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، قال: على مرأى منا.

٤ ـ من أطلق: أن الوجه عبارة عن الذات بدون إثبات الوجه، فهذا تحريف. أما من قال: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، أي: إلا ذاته المتصفة بالوجه، وله وجه حقيقي يعبر به عن ذاته، فهو حقٌّ.

(١) رواه البخاري (٩/١١٧ ـ ٧٣٨٣)، كتاب التوحيد، [بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾]، ومسلم (٤/٢٠٨٦ ـ ٢٧١٧)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

۞ قال المصنف:

"وإن له قدماً ؛ لقوله ﷺ: (حتى يضع الرب فيها قدمه) ، يعني جهنم. رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو عيسى الترمذي ، وغيرهم".

ذكر المصنف هنا صفة ذاتية خبرية أخرى للرب ﷻ ؛ فذاتية لأنها لا تنفك عن الذات بل ملازمة لها ، وخبرية ؛ لأنها لم تعلم إلا بالخبر ، ألا وهي القدمان ، دل على ذلك السنة وإجماع السلف على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته ، على القاعدة السنية السلفية من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل ، ودليلهم ما ذكره المصنف فيما رواه الشيخان وغيرهما من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُلْقَى فِي النَّارِ ، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ ، فَتَقُولُ قَطْ قَطْ»[(١)] ، وبنحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه إلا أنه ذكر في رواية للبخاري: «فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ»[(٢)]. والرجل والقدم معناهما واحد ، وسميت رجل الإنسان قدمًا ؛ لأنها تتقدم في المشي.

ولما اتفق الأئمة على صحته عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً وله حكم الرفع ، قال: "الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ"[(٣)] ، قال الذهبي: "وهذه رواية اتفق

(١) رواه البخاري (٦/١٣٨ ـ ٤٨٤٨) ، كتاب التفسير ، [باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾] ، ومسلم (٤/٢١٨٧ ـ ٢٨٤٨) ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) رواه البخاري (٦/١٣٨ ـ ٤٨٥٠) ، كتاب التفسير ، [باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾] ، ومسلم (٤/٢١٨٦ ـ ٢٨٤٦) ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) رواه الدارمي في الرد على المريسي (١/٣٩٩) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/٣٠١ ـ ٥٨٦) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/٢٤٨) ، وابن أبي شيبة في كتاب العرش=

أهل العلم على صحتها"[١]. وجاء عن أبي موسى رضي الله عنه مثله[٢]، قال الحافظ ابن حجر ـ وذكر أثر ابن عباس رضي الله عنهما ـ: "وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله"، وكذا قال الألباني[٣].

وقد تلقى ذلك أهل السنة بالقبول:

ـ فقد سئل الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام: عن الكرسي موضع القدمين، وأن جهنم لتمتلئ فيضع ربك قدمه فيها، وأشباه هذه الأحاديث؟ فقال أبو عبيد: "هذه الأحاديث عندنا حق يرويها الثقات بعضهم عن بعض إلا أنا إذا سئلنا عن تفسيرها قلنا: ما أدركنا أحداً يفسر منها شيئا ونحن لا نفسر منها شيئاً نصدق بها ونسكت"[٤].

ـ وسئل الإمام وكيع: يا أبا سفيان! هذه الأحاديث ـ يعني مثل: الكرسي

= (٤٣٧ ـ ٦١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٣٧/٧ ـ ٢٦٩)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص: ٢١)، وابن زمنين في أصول السنة (١٠٠ ـ ٣٧)، والدارقطني في كتاب الصفات (٣٠ ـ ٣٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٦/٢ ـ ٧٥٨) موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم في مستدركه (٣١٠/٢ ـ ٣١١٦)، والضياء في المختارة (٣١٠/١٠ ـ ٣٣١).

(١) كتاب العرش للذهبي (٣٥٤/١). وقال أيضاً (٣٥٢/١): "وهذا القول في الكرسي نقل عن كثير من الصحابة والتابعين منهم ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، ومجاهد، وغيرهم".

(٢) رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٥ ـ ٦٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٣٠٢/١ ـ ٥٨٨)، والطبري في تفسيره جامع البيان (٣٩٨/٥)، وابن منده في الرد على الجهمية (٤٦ ـ ١٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٦/٢ ـ ٨٥٩).

(٣) انظر: فتح الباري (١٩٩/٨). وقال الألباني في مختصر العلو (ص: ١٢٤): "وإسناده موقوف صحيح".

(٤) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥٨١/٣ ـ ٩٢٨).

موضع القدمين ونحو هذا ـ؟ فقال وكيع: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعرًا يحدثون بهذه الأحاديث، ولا يفسرون شيئا"(١).

ـ وخالف أهل التعطيل والتحريف من الأشاعرة وغيرهم فأولوا هذه الصفة بتأويلات بحجة أن هذا يقتضي التشبيه والتجسيم:

١ ـ فقالوا: القدم هنا بمعنى المقدم؛ أي: يضع الله تعالى فيها من يقدمهم إلى النار من أشقياء عباده، وكذا لفظ الرجل فهي تأتي بمعنى الطائفة؛ أي: يضع طائفة من عباده مستحقين للدخول، كما في حديث أيوب ﷺ، حين أرسل إليه «رجل جراد من ذهب»(٢)، يعني: طائفة من جراد.

٢ ـ وقالوا: هذا الحديث مخالف للقرآن؛ لأن الله أخبر أن جهنم تمتلئ بالجنة والناس، وليس بقدمه أو رجله لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في مخاطبة الله للجنة والنار بقوله: «وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا»(٣). والجواب عن ذلك من أوجه عام وخاص:

١ ـ إن النبي ﷺ أثبت لله قدماً على الحقيقة تليق بجلاله باللسان

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٩٧ ـ ٧٥٩).

(٢) رواه البخاري (٤/١٥١ ـ ٣٣٩١)، كتاب أحاديث الأنبياء، [باب قول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. ولفظه: قَالَ ﷺ: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ! وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

(٣) رواه البخاري (٦/١٣٨ ـ ٤٨٥٠)، كتاب التفسير، [باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾]، ومسلم (٤/٢١٨٦ ـ ٢٨٤٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

العربي، وآمن بذلك السلف.

٢ ـ أنه لا يلزم أن تكون قدم الرب تعالى مشابهة لأقدام للمخلوقين؛ لأن الله أثبت له سمعاً وبصراً وخلق للخلق سمعاً وبصراً، لكنه قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وكذلك فإن الإنسان له قدم، فلا يجوز أن ننفي إطلاق القدم على البهائم والطير والحشرات لئلا نشبهها بمن أكرم الله خلقه، بل لكل منها حقيقته الخاصة به.

٣ ـ ثم إننا نحتج عليهم بما يثبتون من الصفات كالعلم الذي أثبته الله لخلقه، فإذا أثبتوا العلم للخالق والمخلوق مع عدم المماثلة لزمهم إدخال سائر الصفات.

٤ ـ أن تأويلهم القدم والرجل بالتقدم أو بالطائفة تحريف باطل لا يفهم منه هذا لا حقيقة ولا مجازاً، بل يخالف ما تدل عليه الإضافة «حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ»[(١)]، فالإضافة هنا إضافة عزٍّ وتكرم، ولا يمكن أن يضيف الله ﷻ أهل النار إلى نفسه تعززاً وتكريماً، إضافة إلى أن أهل النار لا يقدمهم الباري ﷻ، ولكنهم ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، ويلقون فيها إلقاء.

٥ ـ أن قولهم "يضع عليها قدمه" أو "رجله"، أي يلقي بها، تحريف

(١) رواه البخاري (٩/١١٧ ـ ٧٣٨٤)، كتاب التوحيد، [باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾]، ومسلم (٤/٢١٨٨ ـ ٢٨٤٨)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أنس رضي الله عنه.

باطل؛ لأن النبي ﷺ قال: «لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»[(١)]، فعبر عن أهل النار بالإلقاء "لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا"، أي داخلها، وعبر عن القدم المقدسة بالوضع: "حتى يضع فيها"، ولم يقل: "يلقي"، وجعل وضع القدم هو الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء ويكون عندها الانزواء، لا مجرد الإلقاء. ثم إن الوضع لا يلزم من دخول القدم المقدسة للنار من وجهين: أحدها أن أكثر الروايات "حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ" ولم يزد، وفي بعضها "فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا"، وعليها تحمل رواية: "فِيهَا"؛ لأن (في) تأتي بمعنى (على) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥] أي على جذوع النخل، وعلى الأرض.

٦ ـ أن ظاهر الأحاديث أن الجنة والنار يبقى فيهما فضل بعد استكمال دخول من استحق دخولهما، فيخلق الله للجنة أهل فتمتلئ بهم، أما النار فلا يظلم الله أحدًا بإدخالهم فيها بلا ذنب، بل يضع قدمه لتنزوي، فعلى تأويلهم الباطل أن الله يلقي من دخل النار فيها ثانية، وقد ألقاهم فيها قبل، فلم تمتلئ، وهذا من أسمج الفهم لأن من يدخلها من الكفار لا يخرج منها.

٧ ـ أما دعوى مخالفة هذا الحديث للقرآن، بأن الله أخبر أن جهنم تمتلئ بالجِنَّة والناس لا بقدمه أو رجله. فيقال: ومن قال: إنها تمتلئ بالقدم المقدسة، فقوله "فينزوي بعضها إلى بعض" دليل على أنها تنضم على من فيها، فتضيق بأهلها من الجن والإنس وتمتلئ بهم وليس بغيرهم من غير أن

(١) رواه البخاري ومسلم في الموضعين السابقين.

يلقى فيها شيء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رداً على من توهم دخول قدم الرب جهنم غلطاً أو أنها امتلأت بها لا بالجنة والناس: "وإنما المعنى أنه توضع القدم المضافة إلى الرب تعالى، فتنزوي وتضيق بمن فيها. والواحد من الخلق قد يركض متحركًا من الأجسام فيسكن، أو ساكناً فيتحرك، ويركض جبلاً فيتفجر منه ماء، كما قال تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢]، وقد يضع يده على المريض فيبرأ، وعلى الغضبان فيرضى"(١).

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٣/٢٤١)

❁ قال المصنف:

"وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا بقول رسول الله ﷺ (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر)، وهذا لفظ البخاري. وقد روى حديث النزول أحمد ومالك والبخاري ومسلم وأبو عيسى الترمذي وأبو داود وابن خزيمة والدارقطني، وأئمة المسلمين".

انتقل المصنف هنا إلى صفة لله ﷻ من الصفات الفعلية التي تتعلق بالمشيئة والاختيار، إذا شاء فعلها وإذا شاء لم يفعلها مثل: صفة الرضا والغضب والنزول، هذه كلها صفات فعلية تتعلق بالمشيئة. والنزول ثابت لله في غير موطن كالنزول للقضاء بين العباد، والنزول في عشية عرفة، وما جاء هنا من النزول في كل ليلة للسماء الدنيا، وهو حديث متواتر خرجه الشيخان وغيرهما عن جماعة من الصحابة[1]، ولم يختلف أهل الحديث في صحته، منها عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارك وتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي؟ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي؟ فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟ فَأَغْفِرَ لَهُ»[2]، فنزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة وإجماع السلف، فيجب إثباته على ما يليق بجلال الله جل وعلا وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "إذا قال لك الجهمي أنا أكفر برب ينزل، فقل: أنا

(١) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني (١٧٨ ـ ٢٠٦) ذكره من رواية ثلاثة وعشرين صحابياً رضي الله عنهم.

(٢) رواه البخاري (٢/٥٣ ـ ١١٤٥)، كتاب التهجد، [باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل]، ومسلم (١/٥٢١ ـ ٧٥٨)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أومن برب يفعل ما يشاء"[١]. وفي هذه الصفة العظيمة مسائل:

* **م الأولى:** أن أهل السنة كما في جميع الصفات يمرون الصفة على الحقيقة، ولا يسألون عن الكيف؛ لأنه لا سبيل لمعرفة كيفية صفاته كذاته سبحانه إلا بالنظر إليه، أو لنظيره، والأول لم يحصل، والثاني غير موجود، وهو سبحانه فوق ما تتصور العقول وتتوهم القلوب، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. سئل إسحاق بن راهوية: "هذا الذي ترويه ينزل ربنا كل ليلة كيف ينزل؟ قال: لا يقال كيف، إنما ينزل بلا كيف"[٢]. وهذا ليس نفياً للكيفية، بل للعلم بالكيفية. وليس النزول بأعجب من المجيء والإتيان يوم القيامة، ولذا لما قيل لإسحاق: "تزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم، قال كيف ينزل؟ قال إسحاق: أَثْبِتْهُ فوق، فقال: أَثْبِتُّهُ فوق، فقال إسحاق: قال الله ﷻ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فقال الأمير ابن طاهر: هذا يا أبا يعقوب يوم القيامة، فقال إسحاق: أعز الله الأمير، من يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم"[٣].

* **م الثانية:** قرر العلماء هنا قاعدة مهمة، وهي أن القول في الصفات

(١) رواه الأثرم في كتاب السنة (أسنده عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢/٢٦٩)، وأبو القاسم ابن منده (أسنده عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: ٥/٣٨٥)، وأبو الشيخ ابن حيان في كتاب السنة (حكاه عنه العيني في عمدة القاري: ٧/١٩٩)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٥٠١ ـ ٧٧٥)، وذكره البخاري معلقاً في كتاب خلق أفعال العباد (ص: ٣٦)، ونقل شيخ الإسلام عن ابن منده قوله: "رواه جماعة عن فضيل بن عياض".

(٢) انظر: العلو للذهبي (ص: ١٧٩).

(٣) انظر: كذلك العلو للذهبي (ص: ١٧٩).

فرع عن القول في الذات، واستعمل العلماء هذه القاعدة في الرد على المبتدعة الذين يسألون عن الكيف تعنتاً وجدالاً، قال شيخ الإسلام: "إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية: سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله؟ وأنت لا تعلم كيفية ذاته، وإذا كنت تقر بأن حقيقته ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه: ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم"[(١)].

* م الثالثة: لمعرفة الفرق بين الخالق والمخلوق فتقطع أوهام التعطيل والتمثيل يجب أن يعرف أن الله عليٌّ مستو على عرشه بنزوله، لا تزول عنه سبحانه صفة العلو والاستواء وإن نزل؛ لأنه ليس كمثله شيء سبحانه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وروح العبد في بدنه لا تزال ليلاً ونهاراً إلى أن يموت، ووقت النوم تعرج، وقد تسجد تحت العرش، وهي لم تفارق جسده، وكذلك أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد وروحه في بدنه، وأحكام الأرواح مخالف لأحكام الأبدان، فكيف بالملائكة، فكيف برب العالمين"[(٢)]. فيجب أن نستشعر مع الإيمان بهذه الصفة عظمة الربِّ الذي من رحمته ينزل لحاجات عباده، فتحرص على عبادته واستغفاره والتعرض لسؤاله في هذا الوقت.

(١) التدمرية (١/٢٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٥/١٣٢).

* **م الرابعة:** اختلف أهل السنة في خلو العرش منه سبحانه على أقوال ثلاثة: الأول: يخلو منه العرش، الثاني: لا يخلو، الثالث: التوقف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والصواب قول السلف أنه ينزل ولا يخلو منه العرش"(١)، ومال إلى التوقف شيخنا العثيمين في "شرح الواسطية"(٢). لكن الصواب قول شيخ الإسلام، وهو مروي عن الإمام أحمد وإسحاق؛ لأنه كالعلو، لا يقول مسلم: إنه سبحانه إذا نزل يكون فوقه أحد، أو ينتفي عنه الاستواء في نزوله، وإنما يحتاج إلى هذا في الرد على المكيفة للصفات كما تكلم العلماء ضرورة بأن القرآن غير مخلوق لما توقف قوم، وكذا تكلموا في البينونة: بأن الله بائنٌ من خلقه، ومنها العرش رداً على أهل الحلول.

* **م الخامسة:** تأولت المعطلة نزول الرب ﷻ إلى السماء الدنيا بنزول أمره أو نزول ملك بأمره، فنسبة النزول إليه تعالى مجازاً، ويرد عليهم:

١ ـ بأن الرسول ﷺ قد أثبت صفة النزول لربه، وأجمع على ذلك السلف دون اعتقاد المماثلة والمشابهة للمخلوقين.

٢ ـ لا يلزم مماثلة نزول الله سبحانه للمخلوقين؛ لأن الله أثبت له سمعاً وبصراً وخلق للخلق سمعاً وبصراً، لكنه قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣ ـ ويلزمون بما يثبتونه من الصفات كالعلم والعظمة الذي أثبته الله

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/١٣٢).
(٢) شرح الواسطية للعثيمين (٢/١٦ ـ ١٨).

لخلقه، فإذا أثبتوا العلم للخالق والمخلوق مع عدم المماثلة لزمهم إدخال سائر الصفات.

٤ ـ روى الإمام أحمد في "مسنده" وغيره، أن النبي ﷺ قال عن ربه ﷻ: «يَنْزِلُ اللهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: لا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي، مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي؟ فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنِ الَّذِي يَدْعُونِي؟ فأَستَجِيبُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي؟ فَأُعْطِيهِ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ»[(١)]، فيقال لهم:

١ ـ هل يمكن للملك أن يقول: «لا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي، مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَه؟»، ويرسل الله من يدعي ربوبيته؟.

٢ ـ وكذلك دعواهم في نزول الأمر، فما هو الأمر الذي يجوز له أن يقول أنا ربكم؟ وهم يعتقدون أن ـ تعالى عما يقولون ـ أمره إنما يكون بالحروف التي يُسْمِعُ بها مخلوقة خلقها ليعبر أو يحكي عما في نفسه أما كلامه فهو نفسي.

٣ ـ ثم يقال: إن أمر الله تعالى ينزل في كل وقت، فما الذي يخص السحر بذلك؟.

---

(١) رواه أحمد (١٥٦/٢٦ ـ ١٦٢١٨)، والنسائي في الكبرى (١٧٨/٩ ـ ١٠٢٣٦)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٣١٢/١ ـ ٣٧)، والدارقطني في "النزول" (١٤٥ ـ ٦٨)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤٨٨/٣ ـ ٧٥٥) عن رفاعة بن عرابة الجهني رضي الله عنه. قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤١٠/٢): إسناد صحيح.

❁ قال المصنف:

"وأنه يضحك إلى عبده المؤمن بقول رسول الله ﷺ: (يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة: يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل، فيقاتل في سبيل الله، فيستشهد)، رواه البخاري وغيره".

أورد المصنف هنا صفة الضحك لله، وهي من الصفات الفعلية التابعة للمشيئة، فنثبتها لله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل على ما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة السنة وإجماع السلف عليها، كالحديث الذي ذكره المصنف، وهو حديث متفق عليه، فقوله: "رواه البخاري وغيره" فيه قصور. وقد فسر أهل التعطيل صفة الضحك بالثواب والرضا والرحمة والصفح عن الذنوب، ومثلوا بقول العرب: رأيت زرعاً يضحك، أو إرادة الثواب ونحوه. وقولهم هذا باطل لأن الثواب والرضا والصفح من لوازم الضحك لا الضحك نفسه، ولذا يرد عليهم بأمور:

١ ـ بأن الله قد أثبت ذلك لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ، وأجمع السلف على إثباتهما لله تعالى، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، قال الإمام أحمد: "يضحك الله تعالى، ولا يعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول، وتثبيت القرآن"[(١)].

٢ ـ لا يلزم من إثبات الضحك لله سبحانه مماثلةٌ للمخلوق لأن الله

(١) الإبانة لابن بطة (١١١/٣)، وإبطال التأويلات لأبي يعلى (٤٥/١، ٢١٧).

أثبت له سمعاً وبصراً وخلق للخلق سمعاً وبصراً، لكنه قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣ ـ ونحتج عليهم بما يثبتون من الصفات كالعلم الذي أثبته الله لخلقه، فإذا أثبتوا العلم والرضا والرحمة للخالق والمخلوق مع عدم المماثلة لزمهم إدخال صفة الضحك وغيرها.

٤ ـ ويقال لهم: من العجمة أتيتم فصرفتم النص عن ظاهره، وأثبتم له معنى خلاف ظاهره تحكماً، فكيف ينزلون تأويل الرضا والثواب على ضحك الله فيما روى مسلم عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، عن الله ﷻ في القيامة، قال: «فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ»[(١)]. فهل يعقل أن يفهم عربي هنا أن الضحك بمعنى الرضا أو الثواب؟ ولذا أقر المازري بذلك ـ وهو من المؤولة ـ فقال: "هذا مشكل، وتفسير الضحك بالرضا لا يتأتى هنا"[(٢)]. بل انظر إلى ما روى مسلم عن ابن مسعود مرفوعاً: «ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»[(٣)]. فالضحك في الحالين بمعنى الضحك حقيقة، لكن ضحك الرب يليق بجلاله وعظمته.

٥ ـ ثم انظر إلى الفرق بين فهم السلف، وبين هؤلاء المعطلة الخلف،

(١) رواه مسلم (١/١٧٧ ـ ١٩١)، كتاب الإيمان.
(٢) انظر: فتح الباري (١١/٤٤٣).
(٣) صحيح مسلم (١/١٧٤ ـ ١٨٧)، كتاب الإيمان.

روى الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي رزين ﵁ قال: قال ﷺ: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عَبْدِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَيَضْحَكُ الرَّبُّ ﷻ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا»(١). فلو كان الضحك بمعنى الرضا والصفح فهل يبلغ الجهل بالصحابي ﵁ أن يسأل: أيرضى الرب ويصفح، وقد قرأ القرآن؟ لذا قال شيخ الإسلام: "فجعل الأعرابي العاقل بصحة فطرته ضحكه، دليلاً على إحسانه وإنعامه"(٢).

(١) رواه أحمد (٢٦/١٠٦ ـ ١٦١٨٧)، وابن ماجه (١/٦٤ ـ ١٨١) في [باب فيما أنكرت الجهمية]، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٤٤ ـ ٥٥٤) في [باب ما ذكر من ضحك ربنا ﷻ]، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/٢٤٦ ـ ٤٥٢)، والآجري في الشريعة (٢/١٠٥٦ ـ ٦٣٨) في [باب الإيمان بأن الله ﷻ يضحك]، والدارقطني في كتاب الصفات (٤٦ ـ ٣٠) في [أحاديث صفة الضحك والكرسي موضع القدمين]، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٤٧٣ ـ ٧٢١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٤١١ ـ ٩٨٧)، في [باب ما جاء في الضحك]. كلهم من طريق يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن أبي رزين ﵁ رفعه. ورجاله ثقات غير وكيع تابعي لا يعرف كما قال الذهبي (ميزان الاعتدال: ٤/٣٣٥)، لكن ذكره ابن حبان في ثقاته (٥/٤٩٦)، وصحح ابن حبان (١٣/٤١٣ ـ ٦٠٤٩) والحاكم (المستدرك: ٤/٤٣٢ ـ ٨١٧٥) حديثاً آخر له بنفس الإسناد. وله شاهد من حديث لقيط بن عامر ﵁، رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٤٨٥ ـ ١١٢٠) في [باب الرد على الجهمية]، وابن خزيمة في كتابه التوحيد (٢/٤٦٠)، والطبراني في الكبير (١٩/٢١١ ـ ٤٧٧)، والحاكم في المستدرك (٤/٦٠٥ ـ ٨٦٨٣) من طريق دلهم بن الأسود بن عبد الله العقيلي، عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر، قال دلهم: وحدثنيه أبي: الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً. قلت: ودلهم وأبوه الأسود لا يعرفان، لكن ذكرهما ابن حبان في ثقاته (٦/٢٩١، ٤/٣٢)، وصحح الحاكم حديثهما، ونقل ابن حجر في (تهذيب التهذيب: ١/٣٤١) عن الذهبي أنه قال عن الأسود: "محله الصدق". لذا قال شيخ الإسلام في الواسطية عن الحديث (مجموع الفتاوى: ٣/١٣٩): "حديث حسن"، وكذا حسنه العلامة الألباني بمجموع الطريقين كما في السلسلة الصحيحة (٦/٧٣٢ ـ ٢٨١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/١٢١).

قال المصنف:

"ونقر بأن لله نفساً لا كالنفوس بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]. وروى البخاري بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله ﷻ أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي).

ذكر المصنف ما يدل على إثبات النفس لله ﷻ لا كنفوس المخلوقين، لا تشبه نفوس المخلوقين، والصحيح ما اختاره شيخ الإسلام من أن نفس الله هي ذاته التي توصف بالصفات لا صفة من الصفات. لذا فيجب إثبات النفس لله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، على ما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف عليها، وأورد المصنف حديث البخاري ـ وهو متفق عليه ـ الذي ذكره في كِتَابُ التَّوْحِيدِ، [بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وذكر هذا الحديث وحديثًا آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: قالَ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[1]. فاستدل البخاري على إثبات النفس لله بالكتاب والسنة، وهنا مسألتان:

(١) رواهما البخاري (٩/١٢١ ـ ٧٤٠٤، ٧٤٠٥)، كتاب التوحيد، ومسلم (٤/٢٠٦١ ـ ٢٦٧٥)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. وفي (٤/٢١٠٧ ـ ٢٧٥١)، كتاب التوبة.

* م **الأولى:** أن أهل السنة يثبتون النفس لله على المعنى اللائق بالخالق، ولذا فما استدل به البخاري من قوله تعالى عن عيسى ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقوله ﷺ «فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي» من أوضح الدلائل على صحة مذهب أهل الحق؛ لأن الله أثبت له نفساً وأثبت لمن خلقه نفساً، وعيسى عليه السلام أثبت له نفساً ولله نفساً، دون تماثل بين الخالق والمخلوق؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ولذا فهذا يطّرد في جميع الصفات، قال الدارمي رحمه الله: "والنفس تجمع الصفات كلها، فإذا نفيت النفس نفيت الصفات، وإذا نفيت الصفات كان لا شيء"(١).

* م **الثانية:** أن المعطلة تأولوا النفس بأنها من إضافة المخلوق إلى الخالق، ونرد عليهم بنحو ما تقدم من الردود:

١ ـ أن الله قد أثبت ذلك لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، وأجمع على ذلك السلف دون اعتقاد المماثلة والمشابهة للمخلوقين.

٢ ـ أنه لا يلزم مماثلة نفس الله سبحانه للمخلوقين؛ لأن الله أثبت له سمعاً وبصراً، وخلق للخلق سمعاً وبصراً، لكنه قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣ ـ ونحتج عليهم بما يثبتون من الصفات كالعلم والعظمة الذي أثبته الله لخلقه، فإذا أثبتوا العلم للخالق والمخلوق مع عدم المماثلة لزمهم إدخال

(١) النقض على المريسي (٢/٨٤٨).

سائر الصفات.

٤ ـ أن القاعدة في إضافة الذوات: أنه إن كان لا يقوم المضاف بنفسه كمثل إضافة النفس لله تعالى، فيكون من إضافة الصفة إلى الموصوف.

٥ ـ أن تأويلهم النفس بالمخلوق من أبطل الباطل إذْ هل يعقل أن يقول الحق ﷻ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ويكون المعنى: ويحذركم الله خلقه؟ أو يقول النبي ﷺ فيما روى مسلم: «سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ»[١]، ويكون المعنى: سبحان الله رضا خلقه؟ ولذا ذكر ابن خزيمة ﵀: أن لازم تأويلهم قوله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: الله حذر العباد غيره، فقال: "هذا لا يتوهمه مسلم، ولا يقوله إلا معطل كافر"[٢].

(١) صحيح مسلم (٤/٢٠٩١ ـ ٧٩)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.
(٢) التوحيد (١/١٩).

قال المصنف:

"ونقر بأن الله على العرش استوى، كذلك نطق به القرآن في سبع سور: في الأعراف، ويونس، والرعد، وطه، والفرقان، وتنزيل السجدة، والحديد".

أورد المصنف هنا صفة الاستواء لله، وهي من الصفات الفعلية التابعة للمشيئة فنثبتها لله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، على ما يليق بجلال الله وعظمته، والاستواء هو أحد أدلة إثبات العلو عند أهل السنة، لأنه علوٌّ خاص ثابت في الكتاب والسنة وإجماع السلف، فأما الكتاب فما ذكره المصنف من تمدح الله في استوائه على عرشه في سبعة مواطن من القرآن: ففي الأعراف ويونس والحديد قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، وفي السجدة والفرقان قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] وفي الرعد قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وفي سوره طه: قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وكلها ربطت الاستواء بزمن خلق السموات والأرض إلا طه، ومع ذلك فقبلها يقول تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه: ٤]، ومن السنة قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري عن أبي هريرة: «إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»(١)، وفي حديث الأوعال: «الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا

(١) صحيح البخاري (٩/١٢٥ ـ ٧٤٢٢)، كتاب التوحيد [باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾]، ومسلم (٤/٢١٠٧ ـ ٢٧٥١)، كتاب التوبة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى السَّمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ ذَلِكَ»[(١)].

(١) أخرجه أحمد (٣/٢٩٢ ـ ١٧٧٠)، وأبو داود (٤/٢٣١ ـ ٤٧٢٣)، في كتاب شرح السنة، [باب في الجهمية]، والترمذي (٥/٤٢٤ ـ ٣٣٢٠)، في تفسير القرآن، [ومن سورة الحاقة]، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٥٣ ـ ٥٧٧) في [باب من ذكر عرش ربنا تعالى]، والدارمي في الرد على الجهمية (٥٠ ـ ٧٢) في [باب استواء الرب ﷻ على العرش]، وفي الرد على المريسي (١/٤٧٣)، وابن أبي شيبة في العرش (٩ ـ ٣١٩)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/٢٣٤) في [باب ذكر البيان أن الله ﷻ في السماء]، والآجري في الشريعة (٣/١٠٨٧ ـ ٦٦٣) في [باب ذكر السنن التي دلت العقلاء على أن الله ﷻ على عرشه]، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧ ١٤٨ ـ ١٠٧) في [باب الإيمان بأن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه]، وابن منده في كتاب التوحيد (١١٤ ـ ١٩)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٤٣٢ ـ ٦٥٠) في [سياق ما روي في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٣١١ ـ ٢٣٦) في [باب ما جاء في إثبات صفة العلم]، وقوام السنة في الحجة في بيان المحجة (٢/٨٤ ـ ٤٢) في [فصل في بيان أن العرش فوق السماوات وأن الله ﷻ فوق العرش]. وفيه عبد الله بن عَميرة يروي عن الأحنف بن قيس عن العباس ﵁، قال الذهبي في (ميزان الاعتدال: ٢/٤٦٩): "فيه جهالة. قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس". لكن حسن الترمذي الحديث، وصححه الحاكم في (المستدرك: ٢/٣١٦ ـ ٣١٣٧)، والجورقاني في (الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير: ١/٢٠٩ ـ ٧٢)، وابن القيم في (اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢/١٦٣)، واحتج به أئمة كتب الاعتقاد في إثبات فوقية الله تعالى فوق العرش. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مناظرة له (مجموع الفتاوى: ٣/١٩٢): "فقلت: كأنك قد استعددت للطعن في حديث الأوعال: حديث العباس بن عبد المطلب ـ وكانوا قد تعنتوا حتى ظفروا بما تكلم به زكي الدين عبد العظيم من قول البخاري في تأريخه: عبد الله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف ـ فقلت: هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم: فهو مروي من طريقين مشهورين فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر. فقال: أليس مداره على ابن عميرة، وقد قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف؟ فقلت: قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله=

ونذكر هنا مسائل:

* **م الأولى:** الاستواء عند أهل السنة والجماعة هو بمعنى العلو إلا أنه خاص بالعرش، والعلو من صفاته الذاتية، وأما الاستواء فإنه صفة فعلية باعتبار أنه سبحانه استوى على العرش بعد أن لم يكن مستوياً عليه، وهو صفة ذاتية بعد فعله باعتبار أنه لا ينفكُّ عن ذاته بل لا يزال مستوياً عليه، قال الإمام أحمد: "الاستواء: هو العلو والارتفاع، ولم يزل الله تعالى عالياً رفيعاً قبل أن يخلق عرشه فهو فوق كل شيء، والعالي على كل شيء، وإنما خص الله العرش لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء، والعرش أفضل الأشياء وأرفعها فامتدح الله نفسه بأنه على العرش"(١). وأشار ابن القيم في "نونيته" إلى أربع معان للاستواء عند السلف: علا، وارتفع، وصعد، واستقر(٢)، والثلاثة الأول بمعنى واحد.

* **م الثانية:** أن العرش لغة: السرير الخاص بالملك، وفي الشرع: العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن ﷻ، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وصفه الله بأنه عظيم، وكريم، ومجيد، وصح عن النبي ﷺ أنه سقف الجنة ففي البخاري: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»(٣)، وأن له قوائم: كما روى

= العدل عن العدل موصولاً إلى النبي ﷺ، قلت: والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف لم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره ـ كإمام الأئمة ابن خزيمة ـ ما ثبت به الإسناد: كانت معرفته وإثباته مقدمًا على نفي غيره وعدم معرفته".

(١) العقيدة رواية أبي بكر الخلال (ص: ١٠٨).

(٢) الكافية الشافية (ص: ٨٧).

(٣) صحيح البخاري (٩/١٢٥ ـ ٧٤٢٣)، كتاب التوحيد، [باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾].

الشيخان قال ﷺ: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ»(١). ومع ذلك فالعرش وسائر المخلوقات محتاجون لله وممسكة بقدرة الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهو سبحانه غنى عن العرش وعن سائر المخلوقات لا يفتقر إلى شيء من مخلوقاته، بل هو الحامل بقدرته العرش وحملة العرش"(٢).

* م **الثالثة:** سئل الإمام مالك: يا أبَا عبدِ الله! ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيْف استوى؟ فقال: "الاسْتِواءُ غيْرُ مجهولٍ، والكيْفُ غيْرُ معْقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤالُ عنْه بدعةٌ، ثُمّ أَمَرَ بالرَّجُلِ فأُخْرِجَ"(٣)، فتبينت من هذا أمور أجمع عليها أهل السنة:

(أولها): أن الاستواء معلوم غير مجهول تفسيره ومعناه عند أهل السنة على ما تقدم.

(ثانيها): أن الكيفية غير معقولة؛ لأن الله أخبرنا أنه استوى على العرش، ولم يخبرنا كيف استوى.

(ثالثها): أن السؤال عن كيفية الصفات للرب ﷻ من البدع المحدثة

(١) صحيح البخاري (٤/١٥٣ ـ ٣٣٩٨)، [بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾]، ومسلم (٤/١٨٤٤ ـ ٢٣٧٣)، كتاب الفضائل.
(٢) مجموع الفتاوى (١/٣٦٧).
(٣) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٦٦)، والصابوني في عقيدة السلف (ص: ٢٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٤٤١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٥ ـ ٨٦٧).

الضالة ؛ لأنه لم يكن من هدي السلف ، وهم أعلم الناس وأتقاهم لله ، واكتفوا بقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

(رابعها): أن من دار بين الناس ليثير الشبه والبدع وجاء بما لم يأت به السلف ، فيجب أن يزجر ويعزر كما فعل مالك ، وكما فعل عمر رضي الله عنه مع صبيغ(١).

※ ***م الرابعة:*** تأول المعطلة الاستواء بالاستيلاء فراراً من إثبات العلو بزعم التشبيه ، ومنهم من فسّره بالعلم ، أي فاستوى على العرش يعني حاز العلم ، ويرد عليهم بأمور:

١ ـ ما ذكره أهل السنة هو ظاهر الكتاب والسنة ، بل تمدح الله به في كتابه ، وأجمع السلف على أن الله مستوٍ على العرش استواء حقيقياً يليق بجلاله ، وقد صح عن الأوزاعي أنه قال: "كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله عز وجل فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته"(٢).

٢ ـ لا يلزم من إثبات العلو لله سبحانه تشبيهاً بالمخلوق ؛ لأن الله أثبت له سمعاً وبصراً ، وجعل للخلق سمعاً وبصراً ، لكنه قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ

(١) روى الدارمي (١/٢٥٢ ـ ١٤٦) ، وأبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (٤/٢٤٢): "عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ صُبَيْغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ صُبَيْغٌ ، فَأَخَذَ عُرْجُونًا فَضَرَبَهُ ، وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ ، فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! حسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كنت أَجِدهُ فِي رَأْسِي".

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٣٠٤) ، وقد تقدم الكلام عليه موسعاً في (ص: ٢٩).

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ثم إذا أثبتوا صفات لله كالعلم والعظمة للخالق والمخلوق مع عدم المماثلة لزمهم إدخال العلو والاستواء.

٣ ـ أنه لا يعرف في لغة العرب تفسير الاستواء بالاستيلاء ولا بالعلم، إلا في بيت شاعر واحد نصراني أطلق الاستواء على الاستيلاء، فلا يؤخذ قوله ويترك قول السلف وأهل اللسان قاطبة.

٤ ـ أنه لو نزلنا نصوص القرآن والسنة الواردة في الاستواء على الاستيلاء للزم منه لوازم فاسدة يزيد على ما حذروا منه من وجهين:

أحدهما: أنه لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد، فإذا غلب أحدهما قيل: استولى، وكذا على تفسير العلم، فهل يقال: كان قبل ذلك جاهلاً حتى حاز على العلم؟.

ثانيهما: إن تفسير الاستواء بالاستيلاء يعني أن الله تعالى مستو على كل شيء من الشجر والحشوش والمزابل؛ لأنه مستولٍ عليها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٥ ـ أبطل فرسان التوحيد هذا التأويل، فشيخ الإسلام ابن تيمية أفرد مصنفاً أبطل فيه تفسير الاستواء بالاستيلاء من عشرين وجهاً، وكذا فعل تلميذه ابن القيم في "النونية"، وزاد في "الصواعق المرسلة" بإبطاله من أربعين وجهاً.

٦ ـ أن كبار الفلاسفة أقروا بصحة طريقة القرآن والسنة على فهم السلف الصالح فلقد قال الفخر الرازي في كتاب (أقسام اللذات) بعد مباحث ذكرها:

"لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن: اقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"(١).

ويقول ابن القيم في نونيته:

"تعبتْ راحلتي وكلتْ مُهجتي ... وبذلتُ مجهوديْ وقد أعياني
فتشتُ فَوقَ وتحتَ ثم أمَامَنا ... ووراءَ ثم يسارَ مع أيمانِ
ما دلَّني أحدٌ عليه هناكمُ ... كلا ولا بَشَرٌ إليه هداني
إلا طوائفُ بالحديثِ تمسكتْ ... تُعزَى مذاهبُها إلى القرآنِ
قالوا الذي نبغيه فوقَ عبادِهِ ... فوقَ السماءِ وفوقَ كلِّ مكانِ
وهو الذي حقاً على العرشِ استوى ... لكنه استولى على الأكوانِ"(٢)

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٦٠).
(٢) الكافية الشافية (ص: ٢٦).

❁ قال المصنف:

"ونقر بأن الرحمن (خلق آدم على صورته)، رواه أحمد بن حنبل وابن خزيمة وغيرهما. وروي: (على صورة الرحمن)، رواه الدارقطني وأبو بكر النجاد، وأبو عبد الله بن بطة وغيرهم".

انتقل المصنف رحمه الله بقوله: "ونقر بأن الرحمن خلق آدم على صورته" إلى إثبات صفة الصورة لله عز وجل التي هي من إضافة الصفة إلى الموصوف، فنثبتها لله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل على ما يليق بجلال الله وعظمته لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فصورته سبحانه وتعالى كذاته ونفسه لا تشبه صورة الآدميين، والصورة عند علماء اللغة: الشكل والهيئة والحقيقة والصفة، ويشترك بها كل موجود فكل موجود له صورة خاصة به ولا بد، قال شيخ الإسلام: "ويمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صورة يقوم عليها"[(١)]. وفي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»، قُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا» ـ حتى قال آخره ـ: «فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ»، هذا لفظ البخاري، وفي لفظ مسلم: أن رؤية المؤمنين لربهم في موقف القيامة تحصل مرات: يرون ربهم تبارك وتعالى أول مرة، ثم يأتيهم أخرى في أدنى من الصورة التي رأوه فيها فينكرونه، فيعرفهم إياه بعلامة الساق، «فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»، فيسجد المؤمنون دون المنافقين، قال

(١) تلبيس الجهمية (٦/٥٢٥).

فيه: «ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ»(١).
وفي هذه الصفة مسائل:

* **م الأولى:** قال المصنف: **"رواه أحمد بن حنبل وابن خزيمة وغيرهما. وروي: (على صورة الرحمن)، رواه الدارقطني وأبو بكر النجاد، وأبو عبد الله بن بطة وغيرهم"**. فاستدل المصنف لإثبات هذه الصفة بلفظين:

ـ **الأول**: لفظ «صُوْرَتِهِ»، الذي رواه الشيخان وأحمد ـ وليس البخاري فقط ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا»(٢)، ولمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»(٣).

ـ **الثاني**: لفظ «صُورَةِ الرَّحْمَنِ»، رواه أئمة السنة في كتب الاعتقاد، فرواه ابن أبي عاصم في "السنة"، والآجري في "الشريعة"، وابن خزيمة في "التوحيد"، والبيهقي في "الأسماء والصفات"(٤): من طرق عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر به، وأعله ابن خزيمة بثلاث علل: أن الثوري قد خالف الأعمش فأرسله فلم يقل عن ابن عمر. وتدليس الأعمش

(١) رواه البخاري (٩/١٢٩ ـ ٧٤٣٩)، في كتاب التوحيد، [باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾]، ومسلم (١/١٦٧ ـ ١٨٣)، كتاب الإيمان.
(٢) رواه البخاري (٨/٥٠ ـ ٦٢٢٧)، كتاب الاستئذان، [باب بدء السلام]، ومسلم (٤/٢١٨٣ ـ ٢٨٤١)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.
(٣) انظر: مسلم (٤/٢٠١٧ ـ ٢٦١٢)، كتاب البر والصلة والآداب.
(٤) انظر السنة لابن أبي عاصم (١/٢٢٨ ـ ٥١٧)، ولعبد الله بن أحمد (١/٢٦٨ ـ ٤٩٨)، والتوحيد لابن خزيمة (١/٨٥ ـ ٧)، والشريعة للآجري (٣/١١٥٢ ـ ٧٢٥)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/٦٤ ـ ٦٤٠).

وحبيب بن أبي ثابت إذ لم يصرحا بالسماع. لكن الصواب أنه صحيح من وجهين:

❊ **الوجه الأول**: أن أئمة الحديث والسنة صححوه، كالإمام أحمد في رواية الكوسج، وإسحاق بن راهويه في رواية حرب[١]. ووافقهما شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]، وكذا الحافظين: الذهبي وابن حجر[٣]. وتلقاه علماء السنة بالقبول فاستدلوا به في نبذ معتقدهم أو مصنفاتهم في الاعتقاد كما فعل ابن أبي يعلى هنا.

ـ فقد جاء فيما أملاه الإمام أحمد على محمد بن عوف الطائي من عقيدة أهل السنة والجماعة: "أَنَّ آدَم ﷺ خلِقَ على صُورَةِ الرَّحْمَن، كما جاء

(١) انظر: مسائل الكوسج (٢/٥٣٥ ـ ٣٢٩٠)، وتلبيس الجهمية (٦/٤١٣، ٤١٨)، وميزان الاعتدال (٢/٤٢٠)، وفتح الباري (٥/١٨٣)، ففيها: "قال حرب الكرماني في (كتاب السنة) سمعت إسحاق بن راهويه يقول: صح أن الله خلق آدم على صورة الرحمن. وقال إسحاق الكوسج سمعت أحمد يقول: هو حديث صحيح".

(٢) توسع شيخ الإسلام في الرد على من ضعف أو تأول حديث (صورة الرحمن) في كتابه بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٦/٣٥٥ ـ ٥٨٩)، في: "فصل: قال الرازي الفصل الأول في إثبات الصورة".

(٣) نقل الذهبي في (ميزان الاعتدال: ٢/٤٢٠) إنكار من أنكر على ابن عجلان رواية حديث الصورة فبين الذهبي أنه جاء من طرق كثيرة ولم ينفرد به، ثم قال: "قلت: وهو مخرج في الصحاح. وأبو الزناد فعمدة في الدين، وابن عجلان صدوق من علماء المدينة وأجلائهم ومفتيهم، وغيره أحفظ منه. أما معنى حديث الصورة فنرد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء". ورد ابن حجر على من ضعف هذه الرواية ثم قال (فتح الباري: ٥/١٨٣): "فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه أو من تأويله على ما يليق بالرحمن ﷻ". قلت: تأويله هو طريق الجهمية.

الخبر عن رسول الله ﷺ، رواه ابن عمر، عن رسول الله ﷺ"[(١)].

ـ وسئل الإمام أحمد عن الحديث الذي روي عن النبي ﷺ: (إن الله خلق آدم على صورته): على صورة آدم؟ فقال: "فأين الذي يروى عن النبي ﷺ: (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن)؟! "[(٢)].

ـ وبوب الآجري في كتابه (الشريعة) على هذا الحديث [باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم على صورته بلا كيف]، ثم قال: "هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها: كيف؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم، والتصديق، وترك النظر، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين"[(٣)].

ـ وعقد الهروي في كتابه "الأربعين في دلائل التوحيد" باباً بعنوان: (إثبات الصورة له ﷻ)، وروى تحته حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً)[(٤)].

* **الوجه الثاني**: أن أئمة السنة ضللوا من تأول هذا الحديث بناء على قاعدة التعطيل سواء كان بلفظ "صورة الرحمن"، أو "على صورته":

ـ قال أبو بكر المروذي: "سمعت أبا عبد الله، وذكر له بعض المحدثين، قال: خلقه على صورته، قال: على صورة الطين، فقال: هذا كلام الجهمية"[(٥)].

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة (١/٣١٣).
(٢) انظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى (١/٩٢).
(٣) الشريعة (٣/١١٥٣).
(٤) الأربعين في دلائل التوحيد للهروي (ص: ٦٣).
(٥) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/٢٦٤)، كتاب إبطال التأويلات لأبي يعلى (ص: ٨٩)، تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام (٦/٤١٣)، ميزان الاعتدال للذهبي (١/٦٠٣).

ـ وقال أبو طالب: "سمعت أبا عبد الله، يقول: من قال: إن الله تعالى خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟"[(١)].

ـ وذكر الكوسج أنه سأل إسحاق بن راهويه فقال: «خلق آدم على صورته ـ يعني صورة رب العالمين ـ»، قال إسحاق: "لا ينكره إلا مبتدعٌ، أو ضعيف الرأي"[(٢)].

ـ وقال عبد الله بن أحمد: "حدثني أبي قال: سمعت الحميدي، وحدثنا سفيان بهذا الحديث يقول: هذا الحق، وهذا الحق، ويتكلم به وابن عيينة ساكت، قال أبي: ما ينكر قوله كأنه أعجبه" في رواية المروذي: "فقال: من لا يقول بهذا فهو كذا وكذا ـ يعني من الشتم ـ وسفيان ساكت لا يرد عليه شيئاً"[(٣)].

❊ **الوجه الثالث**: صفة الصورة المذكورة في حديث «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» لم يردها المعطلة كالجهمية ونحوهم كغيرها من الصفات، بل توقف فيها بعض علماء السنة، وعدت من زلاتهم، فمن ذلك:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفةٌ الضمير عائداً إلى غير الله تعالى، حتى نُقِل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم، كأبي ثور، وابن خزيمة، وأبي

---

(١) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٢٦٦/٧)، إبطال التأويلات لأبي يعلى (٧٥/١).

(٢) انظر: مسائل الكوسج (٥٣٥/٢ ـ ٣٢٩٠)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٢٦٦/٧).

(٣) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد السنة (٤٦٤/٢)، بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤١٥/٦).

الشيخ الأصبهاني، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة"[١].

وقال أبو الحسن الكرجي الشافعي في كتابه الذي سماه "الفصول في الأصول": "فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة فغير مقبول، وإن صدر ذلك التأويل عن إمام معروف غير مجهول، نحو ما ينسب إلى أبي بكر محمد بن خزيمة تأويل الحديث (خلق الله آدم على صورته) "[٢].

وكذا أبو عاصم العبادي الهروي الفقيه الشافعي في كتابه "الفقهاء": ذكر عن كل واحد منهم مسألة تفرد بها، فذكر الإمام ابن خزيمة، وأنه تفرد بتأويل هذا الحديث: (خلق الله آدم على صورته) "[٣].

وذكر الحافظ أبو موسى المديني ـ فيما جمعه من مناقب الإمام الملقب بقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي صاحب كتاب "الترغيب والترهيب" ـ أنه قال: سمعته يقول: أخطأ محمد بن خزيمة في حديث الصورة، ولا يطعن عليه بذلك بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب. قال أبو موسى: أشار بذلك أنه قلّ من إمام إلا وله زلة، فإذا تترك ذلك الإمام لأجل زلته ترك كثير من الأئمة"[٤].

وقال الذهبي في ترجمة ابن خزيمة: "وكتابه في (التوحيد) مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة، فليعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلف فما خاضوا في التأويل بل آمنوا وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله

(١) بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٣٧٦).
(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٤٠٤).
(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٤٠٤)
(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٤٠٩).

ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده ـ مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق ـ أهدرناه وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه"[١].

ـ فعلماء السنة هؤلاء الذين تأولوا حديث الصورة ليس مرادهم نفي الصورة عن الله ﷻ على قاعدة التأويل فهم من أهل الإثبات السلفي، بل للإشكال في تعارض معنى قوله ﷺ «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» مع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] بفهمهم، وإلا فالإمام ابن خزيمة أورد في كتابه "التوحيد" أحاديث الصورة محتجاً بها على الجهمية، كحديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: "ثُمَّ يَتَبَدَّى اللهُ لَنَا فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ، الَّتِي رَأَيْنَاهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ"[٢] وغيره، لكن كان الواجب أن يسلكوا قاعدة أهل السنة في جميع الصفات فهي مطردة لا خلل فيها ولا قصور: (إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل)؛ كما فعل الحافظ ابن قتيبة حين قرر اطراد هذه القاعدة السلفية حين قال: "إن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين"[٣].

❊ **الوجه الرابع**: أنه لو لم يثبت بهذا اللفظ «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ»، فقد اتفقت الأمة على ثبوته في الصحيحين وغيرهما بلفظ «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» كما تقدم، والضمير يعود فيه إلى الرحمن بإجماع السلف، قال شيخ الإسلام: "هذا الحديث لم يكن بين السلف في القرون

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٧٤).
(٢) كتاب التوحيد (١/٣٧٧).
(٣) تأويل مختلف الحديث (٢٦١).

الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله ، فإنه مستفيض من طرق متعددة من عدة من الصحابة ، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك"[(١)].

* م الثانية: المخالفون للسلف في عودة الضمير في قوله ﷺ «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» إلى الله تعالى اختلفوا إلى ما يعود بعد تضعيفهم للفظ «صُورَةِ الرَّحْمَنِ» على ثلاثة أقوال:

ـ **(القول الأول)**: أن الضمير في «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» يعود إلى آدم ، دفعاً لتوهم من يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى غير التي أهبط منها ، واستدلوا بقول النبي ﷺ «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا». لكن هذا معنى لا يليق بنسبته للنبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم ، فمن أين يأتي التوهم حتى يدفع ، أما الحديث المذكور فلا علاقة لأوله بآخره فكأنه قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» فتم الكلام ، ثم قال ابتدأ: «طوله ستون ذراعاً» إخباراً عن آدم بذلك. ولذا أنكر الإمام أحمد هذا التأويل كما تقدم ، حيث قال: "من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي ، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلق"[(٢)].

ـ **(القول الثاني)**: أن الضمير في قوله: «عَلَى صُورَتِهِ» يعود على الله ﷻ ، لكنه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه كما في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣] ، وهذا جعله شيخنا ابن عثيمين وجهاً محتملاً[(٣)]. وهذا

(١) بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٣٥٦).

(٢) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/٢٦٦)، إبطال التأويلات لأبي يعلى (١/٧٥).

(٣) وكنت ناقشته في هذا الوجه رحمه الله قديماً قبل ما يقارب ثلاثين عامًا في هذا الوجه مورداً تجهيم الإمام أحمد لقائله ، فاحتدّ عليه على غير العادة.

القول في الحقيقة أبعد عن الصواب من الأول، إذ لا معنى له البتة من حيث النظر، ولا اختصاص لآدم بذلك على غيره، ويغني في رده رد القول الأول. لذا قال شيخنا ابن عثيمين بعدُ وذكره: "ما دمنا نجد أن لظاهر اللفظ مساغاً في اللغة العربية وإمكاناً في العقل، فالواجب حمل الكلام عليه ونحن وجدنا أن الصورة لا يلزم منها مماثلة الصورة الأخرى، وحينئذ يكون الأسلم أن نحمله على ظاهره"[(١)].

ـ **(القول الثالث)**: أن الضمير يعود إلى المضروب، فحين ضرب رجلٌ آخر قال النبي ﷺ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»، أي على صورة هذا الرجل المضروب، وهذا باطل من حيث المعنى والمبنى، أما من حيث المعنى: فإن ظاهره أن الله خلق آدم على صورة المضروب الذي خلق بعده بقرون متطاولة، وهذا محال. وأما من حيث المبنى، فلو كان الصواب عودته على المضروب لقال: (فليجتنب الوجه، فإنه الله خلقه على صورة آدم).

❊ ولا شك أن القول الصحيح هو مذهب السلف من إثبات صفة الصورة لله، وأن الضمير في قوله ﷺ «فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» عائد إلى الله تعالى لأمور:

١ ـ أن هذا هو ظاهر الأحاديث، وكل من خالف فقد تأول وتكلف، وقد أيد ذلك لفظ: «فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ»، وقد صححه من المعول عليهم في الصناعة الحديثية.

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/١١٠).

٢ ـ أن هذا الذي عليه السلف من لدن الصحابة إلى نهاية القرن الثالث حتى ظهرت شبهة الجهمية المعطلة كما تقدم قريباً.

٣ ـ أنه المتوافق مع قواعد أهل السنة في باب صفات الله بإثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. لذا قال الحافظ ابن قتيبة: "والذي عندي ـ والله تعالى أعلم ـ أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حدّ"(١).

* م الثالثة: أن جمهور أهل السنة والجماعة الذين يرجعون الضمير إلى الله في قوله ﷺ «فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» مجمعون على أن من شبه الله بخلقه فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] على قاعدتهم المتفق عليها "إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل"، لكنهم اختلفوا في معنى قوله ﷺ «خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» على أقوال:

ـ **(القول الأول)**: معنى الصورة أي الصفة، أي خلقه على صفاته، أي أن الله خلق آدم على صفته سميعًا بصيرًا، ذا وجه وذا عين وذا يد وذا قدم، متكلماً إذا شاء، وكذا صفات الرب ﷻ، لكن ليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر، بل لله صفاته ﷻ التي تليق بجلاله وعظمته، وللعبد صفاته التي تليق به، فصفات الله سبحانه كاملة لا يعتريها نقص ولا زوال ولا فناء

(١) تأويل مختلف الحديث (٢٦١).

كما قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، قال ابن القيم: "حديث الصورة وقوله (خلق آدم على صورة الرحمن) لم يرد به تشبيه الرب وتمثيله بالمخلوق، وإنما أراد به تحقيق الوجه وإثبات السمع والبصر والكلام صفة ومحلًّا"[(١)]. وهذا هو ما قرره الشيخ ابن باز[(٢)]، وكذا شيخنا ابن عثيمين في "شرح الواسطية"[(٣)]. لكن يشكل على هذا أن الإنسان لا يختص بكثير من هذه الصفات، مثل الوجه والعين واليد والقدم، وكذا السمع والبصر، وتخصيصه دون غيره ربما اقتضى التشبيه.

ـ **(القول الثاني)**: ليس المراد بالصورة الصفة، وإلا لقال: خلقه متصفاً بصفاته، بل المراد إثبات الصورة نفسها كما هو ظاهر النص، لكن ليس المراد مماثلة الصورة بالصورة، كما في قوله ﷺ في المتفق عليه: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً»[(٤)]، فالموافقة في الصورة لم يلزم منها أن تكون هذه الزمرة مماثلة للقمر من كل وجه، بل الصورة كالصورة بالوضاءة والحسن والجمال واستدارة الوجه مع اختلاف الخلق والصفات والحجم. وهو ظاهر كلام أكثر العلماء المصنفين في كتب الاعتقاد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لفظ الصورة في الحديث كسائر ما ورد من الأسماء والصفات، التي قد يسمى المخلوق بها، على وجه التقييد، وإذا أطلقت على الله اختصت به، مثل

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٥٣٩). وانظر: فتح الباري لابن حجر (٣/١١).
(٢) مجموع فتاوى الشيخ (٢٢٦/٤).
(٣) شرح العقيدة الواسطية (١١٠/١).
(٤) رواه البخاري (١١٨/٤ ـ ٣٢٤٦)، كتاب بدء الخلق، [باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة]، ومسلم (٢١٧٨/٤ ـ ٢٨٣٤)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

العليم والقدير والرحيم والسميع والبصير"[١].

ـ **(القول الثالث)**: الإيمان بأن الله خلق آدم على صورته بلا كيف، مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء، ولا يماثله أحد في كماله وصفاته. قال الإمام أحمد: "فغير ممتنع الأخذ بظاهره من غير تفسير ولا تأويل"[٢]، وقال الآجري: "ولا يقال فيها كيف؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر"[٣]. وقال الذهبي: "أما معنى حديث الصورة فنرد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف، مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء"[٤].

(١) نقض التأسيس (٣/٣٩٦).
(٢) انظر: إبطال التأويلات (ص: ٧٩).
(٣) الشريعة (٢/١٠٦).
(٤) ميزان الاعتدال (٢/٤٢٠).

❁ قال المصنف:

"ونقرّ بأن لله إصبعاً، روى عبد الله، قال: (جاء حبر من أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقال له: إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، قال: فلقد: رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه تعجباً مما قال، وتصديقاً له، ثم قال رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧])، أخرجه هبة الله الطبري والبخاري ومسلم وأبو عيسى الترمذي، ولفظه: أخبرني المبارك بن عبد الجبار الصيرفي في حلقة والدي ﵀ بجامع المنصور بإسناده عن عبد الله، قال: (جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه حتى بدت نواجذه، وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وفي لفظ آخر قال: (فضحك النبي صلى الله عليه تعجباً وتصديقاً).

في قول المصنف ﵀: "**ونقرّ بأن لله إصبعاً**" إثبات صفة الأصابع، وهي من الصفات الذاتية الخبرية كالكف واليد، لكن المصنف ذكره باللفظ المختصر بذكر أربعة أصابع، واللفظ الآخر الأتم، جاء بذكر خمس أصابع بلفظ: «أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ

عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]». متفق عليه إلا أن مسلمًا قال في هذه الرواية: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ»(١)، ولهما بلفظ: «ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ»(٢)، وللبخاري: «ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ: أَنَا المَلِكُ»(٣). وقد رواه غير واحد من الصحابة.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ»(٤)، بوب عليها ابن خزيمة في كتاب "التوحيد"، فقال: [باب إثبات الأصابع لله عز وجل](٥). فنثبت صفة الأصابع لله تعالى بدلالة السنة وإجماع السلف على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته، على القاعدة السنية السلفية: من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل. وقد تأول رد المعطلة هذا

---

(١) رواه البخاري (٦/١٢٦ ـ ٤٨١١)، [باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٤/٢١٤٧ ـ ٢٧٨٦)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) رواه البخاري (٩/١٤٨ ـ ٧٥١٣)، كتاب التوحيد، [باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة]، ومسلم (٤/٢١٤٧ ـ ٢٧٨٦)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) صحيح البخاري (٩/١٣٤ ـ ٧٤٥١)، كتاب التوحيد، [باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾].

(٤) صحيح مسلم (٤/٢٠٤٥ ـ ٢٦٥٤)، كتاب القدر.

(٥) التوحيد (١/١٨٧).

الحديث من وجهين:

* **التأويل الأول:** أن ذلك من تحريف اليهود المجسمة، وأن ضحك النبي ﷺ من كلام الحبر ليس دليلاً على تصديقه لليهودي، بل هو دليل الكراهة والغضب والاستنكار، والجواب أن ذلك من تجسيم اليهود من أبطل الباطل من أوجه:

١ ـ أن النبي ﷺ أقر العالم اليهودي على إثبات الأصابع لله حين ضحك وتعجب، ولو كان ما ذكره باطلاً ما كان النبي ﷺ ليقره على باطل، بل لبادر بالإنكار عليه، كما أنكر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

٢ ـ أن النبي ﷺ أيد مقولة اليهودي حين تلا تصديقاً لذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

٣ ـ أن وصف النبي ﷺ بالضحك حتى تبدو نواجذه عند وصف الله بالباطل الذي ليس من صفاته بدل النكير والغضب، منافٍ للإيمان والتصديق برسالة محمّد ﷺ، لذا قال الحافظ ابن خزيمة: "لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته"(١).

٤ ـ أن أصحاب رسول الله ﷺ أعلم بالله ورسوله من هؤلاء المعطلة، حين فهموا ذلك من رسول الله، حتى قال ابن مسعود: "فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ

(١) التوحيد (١/١٧٨).

حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ".

٥ ـ أنه ثبت ذكر الأصابع لله عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة يصف بها ربه تعالى مثل الحديث المتقدم عند مسلم: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ».

* **التأويل الثاني**: أنه ليس المراد بالأصابع الصفة لله؛ لأن في ذلك تشبيهاً بالخلق، ولكن المراد خلقٌ يخلقه الله ليُحمّله ما تحمله الأصابع، أو المراد بالفضل والنعمة، أو التمثيل لإظهار قدرة الله تعالى على خلقه. فالرد عليهم من وجوه:

١ ـ أن رسوله ﷺ أثبت الأصابع لربه، وهو أنصح الخلق وأفصحهم، وأعلمهم بمدلولات الألفاظ والمعاني، وأجمع على ذلك السلف دون اعتقاد المماثلة والمشابهة للمخلوقين.

٢ ـ أنه لا يلزم مماثلة أصابع الله سبحانه للمخلوقين؛ لأن الله أثبت له سمعاً وبصراً وخلق للخلق سمعاً وبصراً، لكنه قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣ ـ ونحتج عليهم بما يثبتون من الصفات كالعلم والعظمة الذي أثبته الله لخلقه، فإذا أثبتوا العلم للخالق والمخلوق مع عدم المماثلة لزمهم إدخال سائر الصفات.

٤ ـ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»، والقاعدة في إضافة الذوات أنه إن كان لا يقوم المضاف بنفسه

كمثل إضافة الإصبع لله تعالى، فيكون من إضافة الصفة إلى الموصوف.

٥ ـ فيما ذكره النبي ﷺ أو أقره في إثبات صفة الأصابع لله تعالى ما ينفي تأويلهم المخالف للنقل واللغة، بل أدى إلى وقوعهم في شر مما فروا منه، من وجهين:

١ ـ تقدم أن الله ﷻ يضع مخلوقاته على أصابعه: «ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ»، وللبخاري: «ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ: أَنَا المَلِكُ»، فهل يعقل أن المخلوق هو الذي يقول: "أنا الملك"، بل لازم هذا القول بتعدد الآلهة، وهذا ـ والله أعلم ـ هو السر بتنزيه الرب نفسه ﷻ عمن يشرك به بقوله: ﴿سُبْحَانَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

٢ ـ روى أحمد وغيره عن مُعَاذٍ رضي الله عنه في رؤية النبي ﷺ لربه في منامه في أحسن صورة، قال: «رَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي"[(١)]، فتأولوا أثر الأنامل هنا بأثر العناية، وهذا يدل على بعد أهل التعطيل عن موافقة العقل والنقل، لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فقول القائل (وضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي): نص لا يحتمل التأويل، والتعبير بمثل هذا اللفظ عن مجرد الاعتناء، أمر يُعلم بطلانه بالضرورة من اللغة، وهو من غث كلام القرامطة والسوفسطائية"[(٢)].

(١) سيأتي الكلام عليه عند قول المصنف في بيان فضائل النبي ﷺ: "وأن الله وضع يده بين كتفيه فوجد بردها بين ثدييه فعلم علم الأولين والآخرين"، في المسألة السادسة. وقد ثبت ذكر الأصابع للرحمن في الأحاديث التي قبله بلا شك.

(٢) تلبيس الجهمية (٧/٣٨٨).

❁ قال المصنف:

"وروى البخاري في "صحيحه" بإسناده في تفسير سورة (ن) عن أبي سعيد، قال: سمعت النبي صلى الله عليه يقول: (يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً).

أراد المصنف بإيراد الحديث "**يكشف ربنا عن ساقه**" إثبات صفة الساق لله تعالى، وهي من الصفات الذاتية كاليد والوجه والقدم على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته، على القاعدة السنية السلفية من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، وما ذكره المصنف: حديث متفق عليه، واللفظ لفظ البخاري، وأشار لتخريج البخاري للحديث كتفسير لقوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، حيث قال البخاري في كتاب التفسير: [بَابُ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، فذكر حديث أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ»[(١)]. وذكره في موطن آخر بلفظ: «فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ»[(٢)]، فقد استدل البخاري رحمه الله وجمهور السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم بالكتاب والسنة على إثبات صفة الساق لله تعالى، ولكن

(١) صحيح البخاري (٦/١٥٩ ـ ٤٩١٩)، كتاب تفسير القرآن.

(٢) صحيح البخاري (٩/١٢٩ ـ ٧٤٣٩)، كتاب التوحيد، [باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾].

وجد المعطلة عبارات وردت عن بعض السلف في الآية، واختلاف في رواية الحديث، استندوا عليها لرد صفة الساق، وعدم ثبوتها لله تعالى في القرآن والسنة، فنذكر شبهتهم في قبول الحديث ثم في معنى الآية، والجواب عليه:

* **الشبهة الأولى في الحديث:** قالوا: جاء في أكثر الروايات في حديث أبي سعيد عن النَّبِيِّ ﷺ يقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقٍ» على التنكير موافقة للقرآن، وهي رواية مسلم في صحيحه[(١)]. لذا نقل الحافظ ابن حجر: أن الإسماعيلي أخرجها بلفظ التنكير "ساق" ثم قال: "هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة، لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين تعالى الله عن ذلك"[(٢)]. ونرد على شبهتهم في هذا الحديث من أوجه:

١ ـ أن حديث أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ» احتج به البخاري إمام الصنعة وخرجه في كتاب التفسير تفسيراً للآية فقال: [بابُ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾][(٣)]، وخرجه كذلك أئمة السنة والدين كعبد الله بن أحمد والدارمي وابن منده في الرد على الجهمية[(٤)]، ولذا قال الحافظ أبو إسحاق ابن شاقلا لأحد المعطلة وأورد عليه هذا الحديث بلفظ «سَاقِهِ»: "هذه الأحاديث تلقاها العلماء بالقبول، فليس لأحد أن يمنعها ولا يتأولها ولا يسقطها، لأن

(١) صحيح مسلم (١/١٦٧ ـ ١٨٣)، كتاب الإيمان.
(٢) فتح الباري (٨/٦٦٤).
(٣) تقدم أن البخاري ذكره في كتاب التفسير [باب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾]، ثم أسند حديث (٤٩١٩) أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ: يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ".
(٤) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/٥٢١)، الرد على الجهمية لابن منده (ص: ١٥)، وانظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (١/٢٥٢).

الرسول ﷺ لو كان لها معنى عنده غير ظاهرها لبينه، ولكان الصحابة حين سمعوا ذلك من الرسول ﷺ سألوه عن معنى غير ظاهرها. فلما سكتوا وجب علينا أن نسكت حيث سكتوا ونقبل طوعاً ما قبلوا"[(١)].

٢ ـ لم يتفرد أبو سعيد الخدري رضي الله عنه بالحديث بهذا اللفظ، بل جاء من طريقين:

※ **(الطريق الأول)** عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَهُ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَلَامَةً إِذَا رَأَيْنَاهَا عَرَفْنَاهَا، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا هِيَ؟ فَيَقُولُونَ: يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ». رواه عبد الله بن أحمد في "السنة"، والطبراني في "المعجم الكبير"، والدارقطني في "رؤية الله"، والبيهقي في "الأسماء والصفات"[(٢)]، من طريقين عنه، وهو صحيح؛ صحححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم[(٣)]، والذهبي في كتاب "الأربعين في صفات رب العالمين"[(٤)]، ونقل المروذي أن

(١) انظر: طبقات الحنابلة (٢/١٣٥).

(٢) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (٢/٥٢٠ ـ ١٢٠٣) [الآيات التي يحتج بها على الجهمية من القرآن]، والمعجم الكبير للطبراني (٩/٣٥٧ ـ ٩٧٦٣)، وكتاب رؤية الله للدارقطني (٢٦٤ ـ ١٦٢، ١٦٧)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٨٥ ـ ٧٥٠)، [باب ما ذكر في الساق].

(٣) المستدرك (٢/٤٠٨ ـ ٣٤٢٤)، [تفسير سورة مريم]، لكن رواه بلفظ: "يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ".

(٤) ذكره في [الباب العاشر في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾]، فقال (ص: ١١٩ ـ ١١٦، ١١٧، ١١٨): "وعن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن ابن مسعود. ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن ساقه جل ذكره. وروي عن شعبة عن إبراهيم النخعي قال: كان ابن مسعود يقول: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: يكشف الرحمن عن ساقه. ثم أورده من طريق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود ثم قال (ص: ١٢٢): "وهو حديث صحيح".

الإمام أحمد استحسنه[١].

※ **(الطريق الثاني)**: عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: إِذَا تَعَرَّفَ إِلَيْنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهِ، فَيَقَعُونَ سُجُودًا، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾». رواه الدارمي، وابن منده في "الرد على الجهمية"، وأبو الشيخ في "العظمة"[٢]، وإسناده قوي، لذا قال العلامة الألباني: "وهذا إسناد جيد رجاله ثقات رجال الصحيح، إلا أن ابن إسحاق إنما أخرج له مسلم متابعة[٣] ". قلت: خرجه ابن منده وأبو الشيخ من طرق غير طريق ابن إسحاق.

٣ ـ أن لفظ "ساقه" و"ساق" لا فرق بينهما، فكلاهما يدل على صفة الله تعالى، لذا لما رجح العلامة الألباني لفظ "ساق" مُنَكَّراً لكثرة رواتها في حديث أبي سعيد ﵁ خاصة، قال: "فإنه لا فرق بينهما عندي من حيث الدراية؛ لأن سياق الحديث يدل على أن المعنى هو ساق الله ﵎، وأصرح الروايات في ذلك رواية هشام عند الحاكم بلفظ: «هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللهِ مِنْ آيَةٍ تَعْرِفُونَهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمُ السَّاقُ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»[٤]. قلت: فهذا صريح

(١) انظر: إبطال التأويلات لابن أبي يعلى (ص: ١٥٧).

(٢) انظر: سنن الدارمي (٣/١٨٤٨ ـ ٢٨٤٥)، [باب: في سجود المؤمنين يوم القيامة]، كتاب الرقاق، وكتاب الرد على الجهمية لابن منده (١٧ ـ ٨)، [قول الله جل وعز ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ وما ثبت عن النبي ﷺ في ذلك]، والعظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/٨٢١ ـ ٣٨٦)، [صفة إسرافيل ﵇].

(٣) لهذا النقل والذي يليه عن الشيخ انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/١٢٨، ١٢٩ ـ ٥٨٣).

(٤) المستدرك على الصحيحين (٤/٦٢٦ ـ ٨٧٣٦)، كتاب العلم.

ـ أو كالصريح ـ بأن المعنى إنما هو ساق ذي الجلالة ﷻ".

* **الشبهة الثانية في الآية:** قالوا: جاء لفظ الساق مُنكّراً في قوله تعالى ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ دون إضافة إلى الله كسائر الصفات المضافة إلى الله إضافة تشعر بمشاركة بين الخالق والمخلوق في الصفة؛ لذا فسرها بعض الصحابة رضي الله عنهم بغير تفسيركم:

(الأول): ما روى الطبري، وابن منده في "الرد على الجهمية"، والحاكم، والبيهقي في "الأسماء والصفات" وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الآية ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾، فقال: "عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَنْ سَاقْ"(١).

(الثاني): ما روى الطبري وأبو يعلى والبيهقي في "الأسماء والصفات" عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه مَرْفُوعًا فِي قَوْلِهِ ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾، قَالَ: "عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ، فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا"(٢).

ويرد على شبهتهم في الآية من أوجه:

١ ـ أن أقوال الصحابة حجة ولا شك ما لم يخالفها أقوال صحابة آخرين، وإذا صح حديث ابن عباس رضي الله عنهما فإنه لم يوافقه غيره من الصحابة في

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٥٥٤)، والرد على الجهمية لابن منده (١٦ ـ ٤)، [قول الله جل وعز ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ وما ثبت عن النبي ﷺ في ذلك]، والمستدرك للحاكم (٢/٥٤٢ ـ ٣٨٤٥)، [تفسير سورة ن والقلم]، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٨٣ ـ ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨)، [باب ما ذكر في الساق].

(٢) انظر: تفسير الطبري جامع البيان (٢٣/٥٥٩)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٨٧ ـ ٧٥٢)، [باب ما ذكر في الساق]، ومسند أبي يعلى الموصلي (١٣/٢٦٩ ـ ٧٢٨٣).

تفسير الآية بغير الصفة، إلا ما جاء عن أبي موسى ﷺ وهو غير ثابت كما قال البيهقي وابن حجر[(١)]، لذا بوب الحافظ ابن منده عليه، فقال: [قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾، وَمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ، واخْتِلَافُ الصَّحَابَةِ]، فأسند عن ابن مسعود ﷺ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾، قَالَ: «عَنْ سَاقَيْهِ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: "هَكَذَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَيَكْشِفُ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الشِّينِ". حتى قال: قَالَ أَبُو حَاتِمٍ السِّخْتِيَانِيُّ: وَقَرَأَ الأَخْفَشُ: «نَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ» بِالنُّونِ عَلَى مَعْنَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ"[(٢)]. فلا بد عندئذ أن نبحث عن دليل آخر يؤيد أي التفسيرين أولى، فوجدناه في قول النبي ﷺ. ولذا قال الحافظ أبو إسحاق ابن شاقلا لأحد المعطلة، وقد أورد عليه تفسير ابن عباس ﷺ: "إنما نذكر ما جاء عن الصحابة إذا لم نجد عن النبي ﷺ"[(٣)].

٢ ـ أنه ثبت عن النبي ﷺ في حديث أبي سعيد، وحديث ابن مسعود، وحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ فسر الآية بأن الرب ﷻ هو الذي يكشف عن ساقه سبحانه كما تقدم في رواية أبي سعيد ﷺ عند البخاري وبوب عليه في تفسير الآية، وتأمل رواية ابن مسعود ﷺ عند الدارقطني في كتاب "الرؤية"، والطبراني في "الكبير"، وعبد الله بن أحمد في «السنة»،

---

(١) قال البيهقي بعده: "تفرد به روح بن جناح وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها، وموالي عمر بن عبد العزيز فيهم كثرة". وقال ابن حجر (فتح الباري: ٨/٦٦٤): "فيه ضعف". قلت: فيه ضعيف تفرد عن مبهم.

(٢) انظر كتابه الرد على الجهمية (١٦ ـ ٣).

(٣) طبقات الحنابلة (٢/١٣٥).

قال: «هَلْ تَعْرِفُونَهُ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَلَامَةً إِذَا رَأَيْنَاهَا عَرَفْنَاهَا، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا هِيَ؟ فَيَقُولُونَ: يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ». وتأمل رواية أبي هريرة ﷺ عند الدارمي: «فَيَقُولُونَ: نَنْتَظِرُ إِلَهَنَا، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: إِذَا تَعَرَّفَ إِلَيْنَا، عَرَفْنَاهُ، فَيَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهِ، فَيَقَعُونَ سُجُودًا». فهذا من أوضح الواضحات أن الله جعل كشف ساقه تعالى علامة يتعرف المؤمنون عليه بها يوم القيامة، لا أن تكون علامة التعرف عليه والسجود له أن يكشف لهم عن شدة وهول وكرب، جل الله تعالى أن يفسر كلامه بهذا، ورحم الله العلامة الشوكاني حين ذكر أنه إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ثم قال: "وقد أغنانا الله ﷻ في تفسير هذه الآية بما صح عن النبي ﷺ كما عرفت، وذلك لا يستلزم تجسيماً ولا تشبيهاً، فليس كمثله شيء:

دَعُوا كُلَّ قَوْلٍ عِنْدَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ ... فَمَا آمِنٌ فِي دِينِهِ كَمُخَاطِرِ"[1]

ولذا فالصواب أن الآية من آيات الصفات المفسرة بالسنة؛ فالساق وإن جاءت فيها مجردة عن الإضافة المخصصة، فقد جاءت السنة مبينة بأن المراد ساق الرحمن. فيُسلُك في إثبات الساق مسلك السلف في سائر الصفات مثل صفة اليد والوجه، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل.

٣ ـ أما تفسير ابن عباس ﷺ فيوجه بعد رده بما صح عن النبي ﷺ، وما عليه جمهور السلف والخلف بثلاث توجيهات:

❊ **(التوجيه الأول)**: أن ابن عباس ﷺ ـ وهو حبر هذه الأمة ـ لم

(١) فتح القدير (٥/٣٣١).

يبلغه قول النبي ﷺ وكبار أصحابه، وكان من طريقه رضي الله عنه إذا لم يجد عنهم معنى للقرآن أن يطلب تفسيره باللغة، والعرب تضرب المثل بالساق لشدة الأمر، يقولون: قامت الحرب على ساق، ولم يقصد ابن عباس رضي الله عنهما نفي الصفة كما سيأتي في صفة العين حين فسر قوله جل جلاله ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] قال: على مرأى منا. وثبت أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، قال: "بعين الله تبارك وتعالى"، فهذا ليس تعطيلاً، بل تفسير باللازم مع إثبات الصفة كما هو جارٍ عندهم، وقد أشار لهذا أبو يعلى في كتابه "إبطال التأويلات لأخبار الصفات"، حين ذكر بأن ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فيحتمل أن يكون تفسيراً منه على مقتضى اللغة، ولم يقصد بذلك تفسيره في صفات الله تعالى في موجب الشرع[(١)]. فيكون تفسير ابن عباس رضي الله عنهما ليس قائماً على أصول النفاة وساق تعطيلهم كما قال الإسماعيلي آنفاً بأنها توهم التشبيه، حاشا ابن عباس رضي الله عنهما أن ينتحله المعطلة، بل إنه لما لم يسمع فيها النص فسرها بمقتضى اللغة مع إثباته لصفات الله على الوجه الذي يليق به، ومما يدل على ذلك قوله رضي الله عنه ـ كما جاء في "مستدرك" الحاكم، و"الأسماء والصفات" للبيهقي ـ حين سئل عن هذه الآية فقال: «إِذَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ»[(٢)] فذكر التفسير، فهو صريح في أنه لم يثبت عنده شيء عن النبي ﷺ، ومن ثم فقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولم يتنازع الصحابة والتابعون في ما يذكر من آيات الصفات إلا في هذه الآية"[(٣)].

---

(١) إبطال التأويلات (ص: ١٦٠).

(٢) انظر: المستدرك للحاكم (٢/٥٤٢ ـ ٣٨٤٥)، [تفسير سورة ن والقلم]، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٨٣ ـ ٧٤٦)، [باب ما ذكر في الساق].

(٣) تلبيس الجهمية (٥/٤٧٢).

يكون مبنياً على عدم بلوغ النص لمن خالف منهم رضي الله عنهم.

❊ **(التوجيه الثاني)**: أن احتجاج المعطلة المتأخرين بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما للساق في هذه الآية خاصة بأنه كناية عن الأمر العظيم لا يصح هنا ولا يقبل ـ وإن صح لغة ـ بعد ثبوت قوله ﷺ: «فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ»، لأنه لو ثبت ذلك في اللغة في أحد وجوهها، فلا يجوز تفسيرها بذلك بالآية؛ فهل يعقل أن يفسر الحديث كما تقدم: بأن الله لما يسأل عباده المؤمنين كيف يعرفونه؟ فيقولون «بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَلَامَةً إِذَا رَأَيْنَاهَا عَرَفْنَاهَا»، فيكشف لهم عن شدة وهول وكرب فيسجدون، جل الله تعالى أن يفسر كلامه بهذا؛ لأن هذا سيكون حتماً تحريفاً للكلم عن مواضعه ورداً لتفسير النبي ﷺ لكلام الله تعالى، وقد أشار شيخ الإسلام إلى أن الآية تدل على إثبات الساق لله من وجهين:

١ ـ أن الله أخبر أنه ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢]، والسجود لا يصلح إلا لله، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه.

٢ ـ حَمْلُ ذلك على الشدة لا يصحّ؛ لأن المعروف في استعمال الشدة، أن يقال: كشف الله الشدة أي أزالها، كما قال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ [الزخرف: ٥٠].. وأما لفظ الآية ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، فيراد به الإظهار والإبانة فهناك تحدث الشدة ولا يزيلها[(١)].

(١) تلبيس الجهمية (٥/٤٧٣).

۞ قال المصنف:

" وروى البخاري بإسناده عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه: (الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره، وقد أضله في أرض فلاة).

أراد المصنف بإيراد الحديث «**الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم**» إثبات صفة الفرح لله تعالى، وما ذكره لفظ البخاري مختصراً، ولفظ مسلم عن أنس رضي الله عنه: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[(١)]. والحديث بنحوه رواه جمع من الصحابة في الصحيح كابن مسعود وأبي هريرة والنعمان بن بشير والبراء رضي الله عنهم[(٢)]. فصفة الفرح لله ـ كالضحك والرضا والغضب والسخط ـ من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، وهي ثابتة لله بدلالة السنة وإجماع السلف على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته، على القاعدة السنية السلفية: من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

وقد رد المعطلة صفة الفرح فتأولوه بلازمه، وهو قبول التوبة وإرادة الثواب

(١) رواه البخاري (٨/٦٨ ـ ٦٣٠٩)، [باب التوبة]، كتاب الدعوات، ومسلم (٤/٢١٠٤ ـ ٢٧٤٧)، كتاب التوبة.

(٢) انظر: جامع الأصول (٢/٥٠٨)، حرف التاء، [الكتاب الرابع: في التوبة]، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (١٣/٥٥٨ ـ ٣٢٥٥)، [باب التوبة: الاستغفار، كتاب الرقائق].

والعطاء، ويرد عليهم بأمور:

١ ـ أن رسوله ﷺ أثبت الفرح لربه، وهو أنصح الخلق وأفصحهم، وأعلمهم بمدلولات الألفاظ والمعاني، وأجمع على ذلك السلف دون اعتقاد المماثلة والمشابهة للمخلوقين.

٢ ـ أنه لا يلزم مماثلة فرح الله سبحانه بفرح المخلوقين؛ لأن الله قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فأثبت له سمعاً وبصراً مع نفي المماثلة، فكذلك الفرح. فإذا كان الفرح في المخلوق فرح سرور وطرب أو أشر وبطر لحدوث شيء يسره لا يعلمه، فالله ﷻ منزه عن ذلك، ففرحه سببه كمال رحمته وإحسانه التي يحب من عباده أن يتعرضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

٣ ـ ونحتج عليهم بما يثبتون من الصفات كالعلم والعظمة الذي أثبته الله لخلقه، فإذا أثبتوا العلم للخالق والمخلوق مع عدم المماثلة لزمهم إدخال سائر الصفات. فكما أننا نقول: لله ذات لا تماثل ذواتنا؛ فله صفات لا تماثل صفاتنا كالفرح.

٤ ـ أن في كلام رسول الله ﷺ ما يرد تعطيلهم لصفات الله، من أنه ﷺ أراد وصف ربه تعالى بالصفة حقيقة على الوجه الذي يليق به لا بلازمها كما تزعم المعطلة، ففي لفظ البخاري الذي ذكره المصنف «اللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ»، فقوله ﷺ «اللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ» أفعل تفضيل تدل على المشاركة في أصل الصفة حقيقة لا مجازاً، وإلا فهل يعقل أن يكون المعنى بناء على تعطيلهم:

أن الله يريد إثابة أو قبول توبة العبد أكثر من إرادة العبد إثابة أو قبول توبة من وجد بعيره في فلاة، فهذا لا يخرج عما تأولوه بفهمهم الفاسد في صفتي الرضا والحب أنها إرادة الثواب في قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، فالمعنى عندهم: يثيبهم ويثيبونه، فما هذا إلا كما قال شيخ الإسلام آنفاً عند ذكر صفة الإصبع: بأنه تعبير يُعلم بطلانه بالضرورة من اللغة، وهو من غث كلام القرامطة والسوفسطائية(١).

٥ ـ عند تأمل حديث البراء رضي الله عنه عند مسلم يُعلم عظم جناية المعطلة على الوحيين: حين يسأل ﷺ أصحابه عن فرح مثل هذا الرجل فيقول: «كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ؟» فيجيبون: «شَدِيدًا»، فيقول ﷺ: «أَمَا وَاللهِ! لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ»(٢).

---

(١) تلبيس الجهمية (٧/٣٨٨).

(٢) رواه مسلم (٤/٢١٠٤ ـ ٢٧٤٦)، في كتاب التوبة.

❁ قال المصنف:

" وروى البخاري بإسناده عن عبد الله، قال: (ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه، فقال: إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور ـ وأشار بيده إلى عينه ـ، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية).

أراد المصنف بإيراد الحديث "إن الله ليس بأعور" إثبات صفة العين لله ﷻ، وهي من الصفات الذاتية التي نثبتها لله على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته، على القاعدة السنية السلفية: من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ أي: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، وما ذكره المصنف متفق عليه، واللفظ لفظ البخاري: عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ ـ وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»[(١)]، ورويناه من حديث أنس رضي الله عنه بنحوه[(٢)]، ووجه الاستدلال: أن تنزيه النبي ﷺ ربه تعالى عن العور يدل على إثبات العينين لله تعالى وسلامتهما؛ فإن العور هو ذهاب إحدى العينين، قال الإمام الدارمي في رده على الجهمي: "ففي تأويل قول

(١) صحيح البخاري (٩/١٢١ ـ ٧٤٠٧)، [باب قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾]، كتاب التوحيد، ومسلم (١/١٥٥ ـ ١٦٩)، كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخاري (٩/٦٠ ـ ٧١٣١)، [باب ذكر الدجال]، كتاب الفتن، ومسلم (٤/٢٢٤٨ ـ ٢٩٣٣)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، بلفظ: "وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ". وجاء عن جماعة من الصحابة في غير "الصحيحين"، انظر: جامع الأصول (١٠/٣٥٥) [الفصل الثاني: في الدَّجال].

رسول الله ﷺ «إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» بيان أنه سبحانه بصير ذو عينين خلاف الأعور"[(١)]. وفي هذه الصفة مسائل:

* م **الأولى:** ما ذكره المصنف استدلال على صفة العين بالسنة وحدها، لكن إثبات صفة العينين الحقيقيتين لله تعالى ثابتة عند أهل السنة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف على ذلك، فقد بوب البخاري على هذا الحديث، فقال: [بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، «تُغَذَّى»، وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]]، وقد استدل البخاري بالآيتين والحديث على إثبات العين لله تعالى[(٢)]، وقد استند البخاري إلى تفسير ابن عباس رضي الله عنهما حين قال في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، قال: "بعين الله تبارك وتعالى"، رواه الطبري واختاره[(٣)]، قال ابن خزيمة بعد سياق هذه الآيات: "فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما أثبته الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبَّتَه في محكم تنزيله"[(٤)].

* م **الثانية:** لفظة العين جاءت في النصوص القرآنية بلفظ الإفراد كقوله تعالى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وجاءت بلفظ الجمع كقوله تعالى ﴿تَجْرِي

(١) النقض على المريسي (٣٢٧/١).
(٢) البخاري (١٢١/٩ ـ ٧٤٠٧) في كتاب التوحيد.
(٣) في تفسيره جامع البيان (٣٠٨/١٥ ـ ٣٠٩) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾. وكذا رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٢٠٢٦/٦ ـ ١٠٨٤٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١١٦/٢ ـ ٦٨٢).
(٤) التوحيد (٩٧/١).

بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، ولم تأت في القرآن بلفظ التثنية، ولكن جاءت على التثنية في الحديث الذي ذكره المصنف في صفة الدجال: «إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» كما تقدم. ولا منافاة بين ذكر العين مفردة أو جمعاً مع كونهما اثنتين حقيقة لأمرين:

١ ـ أن الإفراد في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ لا ينافي التثنية؛ لأن المفرد المضاف يعم فيتناول الاثنين.

٢ ـ ولأن اللفظ إذا أضيف إلى مفرد ذُكِر مفرداً مشاكلة للفظ، كما قال تعالى: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]. وإذا أضيفت إلى ضمير جَمْع جُمِع إرادة للتعظيم كقوله تعالى ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١].

قال ابن القيم ـ وذكر لفظ الإفراد ـ: "ليس إلا كما يقول القائل: أفعل هذا على عيني، وأجيئك على عيني، وأحمله على عيني، ولا يريد به أن له عينًا واحدة، فلو فهم أحد هذا من ظاهر كلام المخلوق لَعُدَّ أخرقٌ"[(١)].

* **م الثالثة:** أن المعتزلة أولت صفة العين بالعلم، فنفوا عن الله العين والبصر، وأولها الأشاعرة بالرؤية أو بالحفظ على أنها صفات فعل، لذا تناقضوا فأثبتوا صفة البصر لدلالة العقل على ذلك ونفوا صفة العينين لله ﷻ، وقالوا: إن بعض السلف أولوا قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، قال: تجري بمرأى منا، وأهل السنة أعملوا النصوص فأثبتوا لله العينين التي يبصر بهما دون مماثلة للمخلوقين تعالى عن ذلك، ويرد على المعطلة بأمور:

(١) الصواعق المرسلة (١/٢٥٥).

١ ـ أن الله تعالى وصف نفسه بصفة العين، وهو أعلم بنفسه إذ يقول ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ووصفه النبي ﷺ بذلك وهو أنصح الخلق وأفصحهم، وأعلمهم بمدلولات الألفاظ والمعاني، ودفع عن ربه توهم النقص بالعور، فكيف بمن استنقصه تعالى بنفي صفة العينين، لذا قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]، ثم أجمع على إثبات العينين الحقيقتين السلف دون اعتقاد المماثلة والمشابهة للمخلوقين.

٢ ـ أنه لا يلزم مماثلة عين الله سبحانه لعين المخلوقين؛ لأن الله قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فأثبت له سمعاً وبصراً مع نفي المماثلة، فكذلك العين، فالإنسان عينه مخلوقة لا ترى إلا بحدود طاقته وربما فقد عينه وبصره، أما الله فعينه كذاته لا تماثل أعين المخلوقين؛ لم يسبقها عدم ولا يلحقها فناء، بل يبصر بعينيه سبحانه وتعالى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء ـ أي السوداء ـ في الليلة الظلماء، كما قال تعالى مكبتاً للمعاندين: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

٣ ـ ونحتج عليهم بما يثبتون من الصفات كالعلم والعظمة الذي أثبته الله لخلقه، فإذا أثبت المعتزلة العلم للخالق والمخلوق، والأشاعرة البصر مع عدم المماثلة، لزمهم إدخال صفة العين. فكما أننا نقول: لله ذات لا تماثل ذواتنا؛ فله صفات لا تماثل صفاتنا.

٤ ـ أما قولهم: إنه ورد أن بعض السلف فسر قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] قال: تجري بمرأى منا، فهذا ليس تعطيلاً منهم؛ بل تفسير باللازم

مع إثبات الصفة كما هو جار عندهم؛ لذا فهم يقولون: تجري بمرأى منا، مع إقرارهم بصفة العين، ولو أن هذا القول كان من شخص ينكر العين لقيل: هذا تحريف، وقد تقدم لنا ـ في المسألة الأولى قريبًا ـ تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، قال: "بعين الله تبارك وتعالى".

٥ ـ أن في كلام رسول الله ﷺ ما يرد تعطيلهم لصفات الله، من أنه ﷺ أراد وصف ربه تعالى بصفة العين حقيقة على الوجه الذي يليق به لا كما تزعم المعطلة من وجهين:

أ ـ أن الله تمدح بصفة عينه في غير ما آية، وأنه يرى بها ويبصر كما يليق بجلاله كما قال لموسى وهارون عليهما السلام مطمئناً لهما ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وأثبت ذلك النبي ﷺ فيما ذكره المصنف بقوله: «إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ ـ»، فهذا نص صريح يدل على أن النبي ﷺ أراد إثبات صفة العين حقيقة لله تعالى، وأن الدجال أعور العين بخلاف الرب جل وعلا فلا يخفى عليكم أنه ليس كذلك، ولو كان مراده ﷺ كما قال أهل التعطيل لقال ﷺ: ولكن ربكم ليس له عين أصلاً. ولذا تقدم قول ابن خزيمة: "غير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبته في محكم تنزيله"(١).

ب ـ روى أبوداود بإسناد قوي على شرط مسلم ـ كما قال الحافظ ابن حجر(٢) ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]،

(١) التوحيد (١/٩٧).

(٢) فتح الباري (١٣/٣٧٣).

فقَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ»، قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِئُ: يَعْنِي: إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَعْنِي: أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا. قَالَ أَبُو دَاوُدَ بعده: "وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ"(١).

ومراده الرد على الجهمية المنكرين للعين والبصر، والأشاعرة المنكرين للعين حقيقة وأن بصره علمه بالمبصرات، بل هذا الحديث يبين أنه سبحانه يبصر حقيقة بعينيه الحقيقيتين على ما يليق بربوبيته وعظمته ﷻ، لذا قال ابن القيم: "وإنما فعل ذلك ﷺ رفعاً لتوهم متوهم أن السمع والبصر غير العينين المعلومتين"(٢).

والعجب هنا أن البيهقي ـ وهو ممن يؤول كثيراً من الصفات ـ اضطر لمخالفة أصحابه في صفة العين حين ذكر أن هذه الإشارة لمحلي السمع والبصر جاءت لتحقيق وإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى، ثم قال: "أفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر لا على معنى أنه عليم؛ إذ لو كان بمعنى العلم، لأشار في تحقيقه إلى القلب، لأنه محل العلوم منا"(٣).

(١) رواه أبو داود (٤/٢٣٣ ـ ٤٧٢٨)، كتاب السنة، [باب في الجهمية].
(٢) مختصر الصواعق (ص: ٦٧).
(٣) الأسماء والصفات (١/٤٦٣).

قال المصنف:

"إن اعتقد معتقد في هذه الصفات ونظائرها مما وردت به الآثار الصحيحة التشبيه في الجسم، والنوع، والشكل والطول فهو كافر، وإن تأولها على مقتضى اللغة وعلى المجاز فهو جهمي، وإن أمرَّها كما جاءت من غير تأويل، ولا تفسير، ولا تجسيم، ولا تشبيه، كما فعلت الصحابة والتابعون فهو الواجب عليه".

لم يستوف المصنف صفات الله التي ذكرت في النصوص كصفة العجب لله والغضب والرضا والعلو وغيرها؛ وإنما ذكر أمثلة للصفات الذاتية والصفات الفعلية، فيجري مجراها كل ما عداها؛ لأنه ليس مقصود المؤلف الحصر، وإنما المراد القاعدة في الباب كما ذكر هنا، فذكر انقسام الناس مع صفات الله تبارك وتعالى إلى ثلاثة أقسام تقدمت مفصلة فيما مضى:

* **القسم الأول:** المشبهة الذين قال عنهم المصنف: "**إن اعتقد معتقد في هذه الصفات ونظائرها مما وردت به الآثار الصحيحة التشبيه في الجسم، والنوع، والشكل والطول فهو كافر**": وهؤلاء المشبهة، وهم طائفة من غلاة الشيعة يقال لهم البيانية ينسبون إلى بيان بن سمعان، والجواليقية نسبة إلى هشام بن سالم الجواليقي، كل هؤلاء يشبهون الله بخلقه، ويقول أحدهم: لله يد كيدي، واستواء كاستوائي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، لا نعرف في الواقع إلا ذلك، وهذا كفر بإجماع الأمة؛ لأنه تكذيب للقرآن في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، فالند: الشريك، والسَّمِيُّ: المثل

والنظير والشبيه، فالمثل والشبه والند منفيٌّ عن الله تعالى، فليس له مثيل ولا شبيه ولا سميٌّ ولا ندٌّ، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، قال نعيم بن حماد الخزاعي: "من شبّه الله بشيء من خلقه فقد كفر"(١). ولهذا يقول علماء أهل السنة: المشبه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً، والموحد يعبد إلهاً واحدا فرداً صمداً، ولهذا قال ابن القيم في "الكافية الشافية":

"لسنا نشبه وصفه بصفاتنا إن المشبه عابد الأوثان"(٢)

وأما قول المصنف: "**إن اعتقد معتقد في هذه الصفات ونظائرها مما وردت به الآثار الصحيحة التشبيه في الجسم، والنوع، والشكل والطول ـ فهو كافر**"، فهو مخالف لطريق السلف بأن النفي يكون مجملاً والإثبات مفصلاً، لكنه أراد رحمه الله الرد على طوائف من المشبهة الذين يصفون الله بأوصاف تشمئز منها آذان المؤمنين ذكرها البغدادي في "كتاب الفرق"، كقول هشام بن الحكم إن طول معبوده ـ تعالى الله ـ سبعة أشبار بشبر نفسه.

* **القسم الثاني**: هم المعطلة الذين قال عنهم المصنف: "**وإن تأولها على مقتضى اللغة وعلى المجاز، فهو جهمي**"، وفي ذكره للجهمية هنا تنبيهان:

١ ـ في قوله: "**وإن تأولها على مقتضى اللغة وعلى المجاز فهو جهمي**"، أي من حملها على المجاز على طريقة أهل البدع بتحريف أسماء الله وصفاته تعالى، بالبحث عن أي وجه من أوجه اللغة، ولو كان بعيداً بقصد تعطيل

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/٥٨٧).
(٢) الكافية الشافية (ص: ٢٠٢).

الصفة، المهم أن يخرج الكلام عن ظاهره بأي معنى من المعاني؛ لأن ظاهر النصوص عندهم ضلال، ولا بد من تأويلٍ، مثل ما ذكره بعضهم في قوله ﷺ: «يَضَعُ الجَبَّارُ قَدَمَه»، قال: الجبار هو الرجل الكافر من قوله: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، أو ملك يخلقه الله يضع قدمه في النار[(١)]. مع أنه في السنة تفسيرها كما روى الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه: «حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ»[(٢)]، ولهما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «فَيَضَعُ الرَّبُّ تبارك وتعالى قَدَمَهُ عَلَيْهَا»[(٣)]، لذا لما سئل الإمام مالك عن استواء الله تعالى على عرشه، قال: "الاسْتِواءُ غيْرُ مجهولٍ، والكيْفُ غيْرُ معْقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤالُ عنْه بدعةٌ"[(٤)]. وقدمنا أننا نأخذ من هذا أموراً أجمع عليها أهل السنة:

(أحدها): أن الاستواء معلوم معناه عند السلف في اللغة أنه العلو.

(ثانيها): أن الكيفية مجهولة لأن الله لم يخبرنا كيف استوى.

(ثالثها): أن السؤال عن كيفية الصفات لله تعالى من البدع؛ فالسلف آمنوا بالصفة على حقيقتها اللائقة بالله اكتفاء بقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) انظر: غرائب التفسير لبرهان الدين الكرماني (١١٣٣/٢)، وتفسير الثعلبي (١٠٤/٩).

(٢) رواه البخاري (١٣٤/٨ ـ ٦٦٦١)، [باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته]، كتاب الأيمان والنذور، ومسلم (٢١٨٨/٤ ـ ٢٨٤٨)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) رواه البخاري (١٣٨/٦ ـ ٤٨٤٩)، كتاب تفسير القرآن، [باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾]، ومسلم (٢١٨٧/٤ ـ ٢٨٤٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. ولفظ مسلم: "حتَّى يَضَعَ اللهُ تبارك وتعالى رِجْلَهُ".

(٤) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٦٦)، والصابوني في عقيدة السلف (ص: ٢٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤٤١/٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٠٥/٢ ـ ٨٦٧).

٢ ـ أن مراد المصنف بقوله: "**فهو جهمي**"، ما ذكره بعض السلف بإطلاق التجهم على عموم المعطلة على اختلاف طوائفهم، وإلا فإن الجهمية لا يتأولون على مقتضى اللغة والمجاز، بل يردون كل صفات الله بلا استثناء، ويردون كل اسم لله يشاركه غيره في أصله كالحي والعليم والقدير بزعم نفي التشبيه، ولذا يسمون النفاة، أما الذين يثبتون بعض الصفات ويتأولون باقيها على مقتضى اللغة والمجاز، فهم ممن يسمون المثبتة، وهم الأشاعرة ومن نحا نحوهم كالكرامية والكلابية، وهم يدخلون في التجهم بالعموم لكون إثباتهم في الحقيقة يؤول إلى كلام الجهمية بنفي الصفات، فالاستواء على سبيل المثال: رده الجهمية والمعتزلة، وتأوله الأشاعرة بالاستيلاء فراراً من إثبات العلو بزعم التشبيه، ومنهم من فسّره بالعلم، وهم في الحقيقة جميعاً نفوا صفة الفعل لله التي تمدَّح الله بها وأثبتها في كتابه على ما يليق بجلاله، كما تقدم عند قول المصنف: "**ونقر بأن الله على العرش استوى، كذلك نطق به القرآن**".

* **القسم الثالث:** وهم أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح الذين قال عنهم المصنف: "**وإن أمرَّها كما جاءت، من غير تأويل، ولا تفسير، ولا تجسيم، ولا تشبيه، كما فعلت الصحابة والتابعون فهو الواجب عليه**"، أي أن أهل السنة وسط بين الطائفتين السابقتين المشبهة والمعطلة، يثبتون ما أثبته الله، وينفون ما نفاه الله ورسوله؛ لأن الله تعالى لما أثبت صفتي السمع والبصر على الحقيقة باللغة العربية المبينة بقوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ قطعاً لمادة التعطيل لصفاته، قال قبلها قطعاً لمادة التشبيه والتمثيل التي قد تطرأ على الذهن: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾، و"شيء" نكرة في سياق النفي، فتعم أي نوع

من أنواع المماثلة، ومما مر معنا في دراسة أسماء الله وصفاته نستطيع أن نختصر الأصول المأخوذة من الكتاب والسنة التي تدل على وسطية أهل السنة بين الفرق، وأن من ضل عنها فإنما ضل بسبب الإعراض عنها:

الأصل الأول: إبقاء دلالة كلام الله ورسوله في أسماء الله وصفاته على ما هي عليه في اللسان العربي حقيقة دون تحريف، لأن الأصل في الكلام الحقيقة فلا يعدل عنها إلا بدليل صحيح. مع قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله سبحانه، وكل من حاول إدراك ذلك خرج إلى ضرب من التشبيه.

الأصل الثاني: القطع بأنه ليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه لصفاته بصفات خلقه، بل تثبت من غير تكييف ولا تمثيل، كما في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

الأصل الثالث: إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه ﷺ لا يتجاوزون الكتاب والسنة، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، على حد قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الأصل الرابع: أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، لأن كل اسم لله عند أهل السنة متضمن لصفة ولا بد، لأن هذه الأسماء تدل على أمرين: على الذات المقدسة، وعلى الصفات الدالة على المعنى القائم بالذات. وبعض هذه الأسماء تزيد على الدلالة على الذات وعلى الصفة بالدلالة على

مقتضى لها وأثر خارج الذات.

الأصل الخامس: الاعتصام بالألفاظ الشرعية الواردة في هذا الباب نفيًا وإثباتًا، والتوقف في الألفاظ التي لم يرد نص بذكرها نفيًا ولا إثباتًا كلفظ الجسم، والحيز والجهة، والمكان ونحو ذلك، والاستفصال عن مراد من أطلقها؛ فإن كان المعنى الذي أراده صحيحًا قبل وعبر عنه باللفظ الشرعي، وإن كان باطلاً لم يقبل.

الأصل السادس: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، وللغفلة عن هذا الأصل ضل من أثبت بعض الصفات ونفى البعض الآخر؛ إذ لا فرق بين ما نفاه وما أثبته والقول فيهما واحد، وكذلك القول في الأسماء.

الأصل السابع: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فإذا أثبت المخالف لله ذاتاً موجودة حقيقة تليق بجلاله بلا كيفية تعلم، فكذلك يجب أن يثبت له وجود كل صفة دل عليها الكتاب والسنة حقيقة على وجه يليق بجلاله بلا كيفية تعلم.

❊ لكن ينبغي هنا أن ننبه على ثلاثة ألفاظ مجملة في سياق كلام المصنف تتميز بها طريقة أهل السنة عن طريقة غيرهم:

ـ **(الإجمال الأول)**: قول المصنف: "**وإن تأولها على مقتضى اللغة.. فهو جهمي**" تقدم قريباً أن التأويل المذموم على مقتضى اللغة هو الأخذ بمعنى لغوي بعيد يخالف الظاهر المعروف من اللغة كما فهمه السلف، أما أهل السنة والجماعة فمن القواعد المقررة عندهم أن الظاهر من النص ما يتبادر إلى

الذهن من المعاني، وأنه لا يخرج عن هذا الظاهر إلا بدليل، فالنزول صفة فعل معروف معناه في اللغة كما قال الإمام مالك، واليد صفة ذاتية معروف معناها في اللسان العربي المبين الذي أنزل الله به القرآن، كما قال تعالى في وصفه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، أي على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي. وأهل البدع قد يستغلون مثل هذه العبارة المجملة التي ذكرها المصنف بقوله "**وإن تأولها على مقتضى اللغة.. فهو جهمي**"، فينسبون مذهب التفويض للسلف الصالح، وهو بأن يثبت ما جاء من صفات الله تعالى على ظاهرها، لكن لا يثبت لها معنى على أي وجه في اللغة، لا ظاهراً ولا بعيداً، بل يفوض علم معانيها إلى الله، وهذا مذهب باطل فاسد، فإن السلف إنما يفوضون علم الكيفية دون علم المعنى، لذا لما سئل أبو زرعة الرَّازي عن تفسير: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، غضب، وقال: "تفسيره كما تقرأ، هو على عرشه، وعلمه في كلِّ مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله"[(١)]، فلم يفوض رَحِمَهُ اللَّهُ معنى الاستواء كما زعموا، بل أثبت معناه وهو العلو للرب تعالى، ولعن من لم يقر بهذا المعنى. قال ابن القيم عن صفات الله: "اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها، مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، أعني فهم أصل المعنى"[(٢)]. وقال الذهبي: "أنها بينة واضحة في اللغة، لا يبتغى بها مضايق التأويل والتحريف"[(٣)]. ولذا فحقيقة التفويض أن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون معاني ما وصف الله به نفسه، والقرآن الذي أنزله

(١) انظر: كتاب العلو للذهبي (١٨٧).
(٢) مختصر الصواعق (١/١٥).
(٣) العلو للعلي الغفار (٢٥١).

الله تعالى قرآنا عربياً لا معاني له، لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن مذهب التفويض: "من شر أقوال أهل البدع والإلحاد"[(١)].

ـ ومن باب إحسان الظن بالمصنف فإننا نحمل كلامه هنا على المعنى الذي أراده السلف بذم من حمل الصفات على معنى باطل بعيدٍ عن اللغة، لا ما قصده المفوضة من تفويض المعنى وعدم حمله على الحقيقة، وهو الظن به؛ لأنه قرن ذلك بالمجاز في قوله "**وإن تأولها على مقتضى اللغة وعلى المجاز**"، ولما سبق من طريقة سياقه لصفات الله تعالى على طريقة السلف، مع أنه ذكر في آخر كتابه هذا أنه يحكي فيه عقيدته وعقيدة أبيه أبي يعلى الفراء حين قال: "**فهذا اعتقادي وما أدين به لربي، وهو الذي مضى عليه والدي** ﵀"، ووالده أبو يعلى الفراء عده شيخ الإسلام من المفوضة، فقد قال: "ومنهم من يقول: بل تجرى على ظاهرها، وتحمل على ظاهرها، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله. فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وقالوا ـ مع هذا ـ إنها تحمل على ظاهرها. وهذا ما أنكره ابن عقيل على شيخه القاضي أبي يعلى في كتاب (ذم التأويل) "[(٢)]. وقال: "ولهذا كان هؤلاء تارة يختارون طريقة أهل التأويل، كما فعله ابن فورك وأمثاله في الكلام على مشكل الآثار. وتارة يفوضون معانيها، ويقولون: تجري على ظواهرها، كما فعله القاضي أبو يعلى وأمثاله في ذلك"[(٣)].

ـ **(الإجمال الثاني)**: قول المصنف "**ولا تفسير**"، جرى هذا التعبير

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٠٥).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/١٦).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/٣٥).

على لسان كثير من السلف كالأوزاعي، والثوري، ومالك بن أنس، والليث ابن سعد، قالوا: "أمروها كما جاءت بلا تفسير"[(١)]، فزعم بعض أهل الأهواء: أن هذا تفويض للمعنى عند السلف، وهذا من الباطل؛ لأنه ليس مقصود الأئمة الذين استعملوا هذا التعبير نفي معناها على مقتضى اللغة العربية، لأنه تواتر عنهم أنهم أثبتوا المعنى، فالمعنى عندهم معلوم لكن الكيف هو المجهول كما قال الإمام مالك نفسه، وإنما يحمل قول من قال: "بلا تفسير" على نوعين مبتدعين من التفسير:

أحدهما: تفسيرها على رأي الجهمية بالتأويل والتعطيل.

ثانيهما: تفسير كنه وكيفية الصفة، ولذا جاء عن الحسن بن محمد الشيباني أنه لما أثبت صفات الله بلا تفسير قال: "فمن فسر شيئاً منها، وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وفارق الجماعة؛ لأنه وصف الرب بصفة لا شيء"[(٢)]. وسئل أبو عبيد عن الكرسي موضع القدمين وضحك الرب تعالى وأشباهه، فقال: "وهي عندنا حق لا شك فيها، ولكن إذا قيل: كيف يضع قدمه؟ وكيف يضحك؟ قلنا: لا يُفسَّر هذا، ولا سمعنا أحداً يفسره"[(٣)]. وذكر الترمذي قول الأئمة (أمروها بلا كيف) ثم قال: "فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد هاهنا القوة"[(٤)]. فأطلق هؤلاء

(١) انظر: الشريعة للآجري (١١٤٦/٣).
(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٠٧/١٣).
(٣) انظر: الصفات للدارقطني (ص: ٤٠).
(٤) السنن (٤٢/٣).

الأئمة التفسير المنفي المذموم على السؤال عن الكيفية، أو تأويلها على معنى فاسد.

ـ **(الإجمال الثالث)**: في قول المصنف **"ولا تجسيم"**، فهذا الإطلاق لا يستقيم عند أهل السنة، فهم لم يقولوا: إن الله جسم، ولا إن الله تعالى ليس بجسمٍ، ولا يرتضون إطلاق هذا اللفظ في النفي ولا في الإثبات، وبيان ذلك من أربعة أوجه:

الأول: أن لفظ الجسم لم يرد نفيه ولا إثباته لا في الكتاب ولا في السنة ولا في لسان السلف، ومن أصول أهل السنة إثبات ما أثبت ونفي ما نفي لا يتجاوزن الكتاب والسنة، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، قال عمر بن عبد العزيز: "قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم مُحَسِّر وما دونهم مُقَصِّر، لقد قَصَّر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم"(١). وانظر إلى هذه المناظرة السلفية حين قال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول:

(١) انظر: لمعة الاعتقاد (ص: ٩)، وأسنده أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٣٣٩)، والآجري في الشريعة (٢/٩٣٢).

قد علموها، قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟ قال: بلى وسعهم، قال: فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل، فقال الخليفة ـ وكان حاضرا ـ: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم"[(١)]. قال شيخ الإسلام بعد ذكر القصة: "فكانت هذه الحجج كلها تبين أن هذا القول لو كان من الدين لوجب بيانه، وعدم ذلك مع قيام المقتضى له دليل على أنه ليس من الدين، وإذا لم يكن من الدين كان باطلاً"[(٢)]. وقال أيضًا: "فنثبت ما علمنا ثبوته، وننفي ما علمنا نفيه، ونسكت عما لا نعلم نفيه ولا إثباته"[(٣)].

الثاني: أن لفظ (الجسم) لفظ مجمل يحتمل معاني كثيرة، فمن حيث اللغة هو الجسد والبدن للمخلوقين، لذا يعتقد المشبهة أن الله له (جسم) كأجسامنا وله يد كأيدينا وهذا كفر، وأما عند المتكلمين من الجهمية والمعتزلة، فمعناه المركب من الجواهر المفردة، ولذا نفوا لفظ الجسم خوفاً من الوقوع في تشبيه المشبهين الأولين، أما أهل السنة فلا يثبتونه ولا ينفونه، لكن يستفصلون عن مراد الخصم، فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رد، فإذا كان يقصد بكلمة (جسم) أنه مثل أجسام المخلوقين كما يقصده المشبهة فهذا الكلام باطل؛ لأن الله ليس كمثله شيء، وليس له ندٌّ ولا كفوٌ ﷻ، وإن كان المقصود بالجسم أنه متصف بصفات الكمال، وأن له عيناً ويداً وقدماً،

(١) انظر: لمعة الاعتقاد (ص: ٩). وأسند القصة الخطيب في تاريخ بغداد (١٠/٧٥ ـ ٧٨)، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص: ٤٧٥ ـ ٤٨١). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (التسعينية: ٢/٥١٧): "والقصة مشهورة".

(٢) الفتاوى الكبرى (٦/٤٥٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/٨٨).

وسمعاً وبصراً، ويتكلم ويغضب ويرضى، فنثبت هذه الصفات ـ دون لفظ الجسم ـ، ولو وافقت اسم أعضاء وصفات المخلوقات؛ لأن القرآن والسنة نطقا بذلك، يقول شيخ الإسلام: "الألفاظ التي تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين، مثل لفظ (الجسم) و(الجوهر) و(المتحيز) و(الجهة)، ونحو ذلك؛ فلا تطلق نفيًا ولا إثباتًا، حتى ينظر في مقصود قائلها؛ فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنى صحيحًا موافقًا لما أخبر به الرسول ﷺ صوب المعنى الذي قصده بلفظه؛ ولكن ينبغي أن يعبر عنه بألفاظ النصوص، ولا يعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد بها"(١). وتقدم نحو هذا عند قول المصنف عن كلام الله: "**لا جسم ولا جوهر ولا عرض**".

الثالث: أن أهل البدع يستعملون هذه الألفاظ بالنفي في صفات الله من باب التشغيب على أهل السنة ليتوصلوا بهذه الألفاظ لنفي ما أثبته الله ﷻ لنفسه أو أثبته النبي ﷺ لربه تعالى، فإذا أثبت السلفيون صفات الله سبحانه كاليد والعين والقدم، قالوا مجسم والمجسم كافر، فجميع صفات الله تستلزم الجسمية عند المعتزلة والجهمية لذا فهم ينفون جميع هذه الصفات؛ بحجة أنه لو قامت به الصفات لكان جسماً. وأما الأشاعرة ـ ومن نحا نحوهم كالماتريدية ـ فبعض الصفات عندهم تستلزم الجسمية فينفونها كاليد والعين، وبعضها لا يستلزم ذلك كبعض صفات الفعل فيثبتونها. أما أهل السنة ـ وإن لم يثبتوا لفظ الجسم ـ فيثبتون أن لله نفساً وذاتاً تقوم بها جميع صفاته كما تقدم لنا عند قول المصنف: "**ونقر بأن لله نفساً لا كالنفوس**"، وتقدم هناك

(١) منهاج السنة (٢/٥٥٤).

قول الإمام الدارمي: "والنفس تجمع الصفات كلها، فإذا نفيت النفس نفيت الصفات، وإذا نفيت الصفات كان لا شيء"(١). ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً سوء قصد المتكلمين من هذه الألفاظ: "فالسلف والأئمة لم يكرهوا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولَّدة، كلفظ الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك؛ بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه، لاشتمال هذه الألفاظ على معانٍ مجملة في النفي والإثبات، كما قال الإمام أحمد في وصفه لأهل البدع، فقال: (هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويلبسون على جهال الناس بما يتكلمون به من المتشابه). إذا عرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات، ووزنت بالكتاب والسنة، بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة، وينفى الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة، كان ذلك هو الحق، بخلاف ما سلكه أهل الأهواء من التكلم بهذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا في الوسائل والمسائل، من غير بيان التفصيل والتقسيم الذي هو الصراط المستقيم"(٢).

الرابع: أن من خالف الكتاب والسنة والسلف الصالح فأثبت أو نفى لفظ (الجسم) فأهل السنة يبدعونه، إذا تبين من مراده أنه يريد بالإثبات التشبيه، أو يريد بالنفي التعطيل، أما من نفاه مع إثباته لصفات الله على الوجه اللائق كالمصنف فلا يبدعونه لكن يردون قوله ويبينون خطأه. قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وذكر لفظ الجسم والجوهر: "وقد تبين لكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت، من أثبت بدَّعوه، ومن نفى

(١) النقض على المريسي (٢/٨٤٨).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٠٧).

بدَّعوه، فالذي يقول: ليس بجسم ولا... ولا... هم: الجهمية والمعتزلة، والذين يثبتون ذلك: هو هشام وأصحابه[(١)]، والسلف بريئون من الجميع: من أثبت بدَّعوه، ومن نفى بدَّعوه"[(٢)].

---

(١) هو هشام بن سالم الجواليقي من المشبهة، وسيأتي ذكره وأصحابه عند قول المصنف: "كالمشبهة والمجسمة"

(٢) مؤلفات الشيخ (١٣٢/٦).

❁ قال المصنف:

"ويجب الإيمان بالقدر: خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره من الله، قضى قضاءه على عباده، وقدر قدره عليهم، لا أحد يعدو منهم مشيئة الله ﷻ، ولا يجاوز قضاءه، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليهم لا محالة، وهو عدل من ربنا ﷻ، فأراد الطاعة، وشاءها، ورضيها، وأحبها، وأمر بها. ولم يأمر بالمعصية، ولا أحبها ولا رضيها، بل قضى بها، وقدّرها، وشاءها، وأرادها. والمقتول يموت بأجله".

انتقل المصنف رحمه الله بعد ذكر ما يتعلق بالأسماء والصفات إلى الإيمان بالقضاء والقدر، ومرتبته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة؛ لما روى مسلم عنْ عُمَر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لجبريل حين قال: ما الإيمان؟ قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[١]. وفيه مسائل:

❊ **م الأولى:** قوله: **"ويجب الإيمان بالقدر... قضى قضاءه"**، والقدر في اللغة بمعنى: التقدير؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، وشرعاً التقدير: أي ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه. وأما القضاء؛ فهو في اللغة: الحكم. وشرعاً هو ما يفعله الله تعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقًا. قال العلماء: القضاء والقدر متباينان إن

(١) صحيح مسلم (١/٣٦ ـ ٨)، كتاب الإيمان.

اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا؛ يعني: إن اجتمعا افترقا، وإن افترقا اجتمعا.

* **م الثانية:** في قوله: "**قضى قضاءه على عباده، وقدر قدره عليهم، لا أحد يعدو منهم مشيئة الله ﷻ، ولا يجاوز قضاءه**"، دليل على أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يتم إلا بأربعة أمور فصلها أهل السنة، وهي: العلم، والكتابة، والمشيئة: والخلق:

(الأول): الإيمان بأن الله علم كل ما سيكون في كونه جملة وتفصيلاً بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، الذي لا يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]، وقوله ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]. وفي السنن والمسند عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، قَالَ: قال ﷺ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرُ، قَالَ: فَكَتَبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ». قال الترمذي بعده: "حسن صحيح غريب"[(١)]. وحسنة علي بن المديني[(٢)]، فكتب القلم ما علمه الله

---

(١) رواه أحمد (٣٧/٣٧٨ ـ ٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٤/٢٢٥ ـ ٤٧٠٠)، [باب في القدر]، كتاب السنة، والترمذي (٥/٤٢٤ ـ ٣٣١٩)، [باب سورة ن]، كتاب تفسير القرآن، وابن وهب في كتاب القدر (١٢١ ـ ٢٦)، [باب أن أول ما خلق الله القلم]، وابن أبي عاصم في السنة (١/٤٨ ـ ١٠٢) [باب ذكر القلم أنه أول ما خلق الله تعالى]، والفريابي في كتاب القدر (٢٣٥ ـ ٤٢٥) [باب ما روي في الأهواء وتكذيب أهل القدر]، والآجري في الشريعة (١/٥١٦ ـ ١٨١)، [باب ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله تعالى]، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٢/٢٤٣ ـ ٣٥٧)، [سياق ما ورد في كتاب الله من الآيات مما فسر أو دل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق]، والبيهقي في كتاب القضاء والقدر (ص١١٢ ـ ١١)، [باب ذكر البيان أن الله ﷻ كتب المقادير كلها في الذكر].

(٢) قال عبد الحق في الأحكام الوسطى (٤/٣٠٧): "وإسناده حسن، ذكر ذلك علي بن=

بعلمه السابق الأزلي ماذا يكون إلى يوم القيامة.

(الثاني): أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء على مقتضى علمه؛ لقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، أي: نخلق الخليقة، وقوله ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وفي صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قال: قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[(١)]. وهاتان المرتبتان العلم والكتابة، ينكرها غلاة القدرية قديماً في عهد الصحابة رضي الله عنهم، كما في حديث جبريل الآنف، فيقولون: إن الأمر أنف، أي إن الله لا يعلم أفعال العبد إلا بعد وجودها، وأنها لم تكتب، أما متأخروهم فأقروا بالعلم والكتابة، وأنكروا المشيئة والخلق.

(الثالث): وهي ما أشار إليها المصنف بقوله "**لا أحد يعدو منهم مشيئة الله** عز وجل"، أي لا يكون شيء في السموات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء، برحمته ويضل من يشاء بحكمته لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون، وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق، ولما كتبه في اللوح المحفوظ؛ لقوله تعالى لمريم: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]،

= المديني". وسيأتي الكلام عليه بتوسع (ص: ٢٣٨). وله شواهد من حديث ابن عباس وحديث ابن عمر وحديث أبي هريرة وحديث علي رضي الله عنهم. وانظر لتخريجها والكلام على أسانيدها كتاب: أنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري (٢٢٨٧/٣).

(١) صحيح مسلم (٢٠٤٤/٤ ـ ٢٦٥٣)، كتاب القدر.

وقال تعالى: ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

(الرابع): أن كل شيء في السموات والأرض مخلوق لله تعالى لا خالق غيره ولا رب سواه؛ لقوله تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، فالله سبحانه خالق للعباد وأفعالهم، أما هم فواضح، وأما أفعالهم: فلأن أفعال العباد من كسبهم الصادرة بنية وقدرة، والله خالقهم وكسبهم ونياتهم وقدرتهم. فهي من نسبة المُسَبَّب إلى السبب؛ لأن المباشر حقيقية هم العباد، فلذلك نُسِبَ الفعل إليهم كسباً وتحصيلاً، ونُسِبَ إلى الله خلقًا وتقديرًا.

※ **م الثالثة:** في قول المصنف "**فأراد الطاعة، وشاءها، ورضيها، وأحبها، وأمر بها. ولم يأمر بالمعصية، ولا أحبها، ولا رضيها، بل قضى بها، وقدّرها، وشاءها، وأرادها**"، إشارة إلى ما ذكره أهل السنة من انقسام إرادة الله إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية:

١ ـ فالإرادة الشرعية بمعنى المحبة: التي قال عنها المصنف: "**فأراد الطاعة، وشاءها، ورضيها، وأحبها، وأمر بها**"، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وهذه الإرادة الشرعية لا تكون إلا فيما أحبه ورضيه وأمر به، لكن لا يتعين فيها وقوع مقتضاها، فقد يصلي وقد لا يصلي.

٢ ـ الإرادة الكونية بمعنى المشيئة: التي قال عنها المصنف: "**ولم يأمر بالمعصية، ولا أحبها، ولا رضيها، بل قضى بها، وقدّرها، وشاءها، وأرادها**"، ومن أدلة هذه الإرادة؛ قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وهذا النوع من الإرادة لا تستلزم المحبة، بل تشمل ما يحبه الله وما يسخطه، ويتعين وقوع مقتضاها، كما قال تعالى عن الشرك الواقع لا محالة: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام: ١٠٧]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وبذلك يعلم أن المعاصي مرادة لله بالإرادة الكونية، غير مرادة بالإرادة الشرعية.

* **م الرابعة:** في قول المصنف "**واقعون فيما قدر عليهم لا محالة، وهو عدل من ربنا ﷻ**"، تقرير بأن ما قدره الله على الناس بالكتابة التابعة لعلمه الأزلي الخاضعة لمشيئته لا بد أن تحصل لهم، مع أن الناس لهم الاختيار والمشيئة ضمن ذلك، قال تعالى ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وخالف في هذا الأصل طائفتان:

ـ **(الطائفة الأولى)**: القدرية من المعتزلة وغيرهم الذين قالوا: إن العباد فاعلون حقيقة، والله لم يخلق أفعالهم ولا شاءها؛ لذا فهم مكذبون بمرتبتي المشيئة والخلق. وقد جاء في بعض الأحاديث تسميتهم بمجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يقولون: إن للحوادث خالقين واحد للخير، وآخر للشر، والقدرية شابهوهم بإثبات حوادث لم يخلقها الله، فكأنهم أثبتوا خالقاً غير الله لأفعال العباد.

ـ **(الطائفة الثانية)**: الجبرية من الجهمية وغيرهم الذين قالوا: إن العباد ليسوا فاعلين حقيقة، لكن أضيف الفعل إليهم من باب التجوز، وإلا فالفاعل حقيقة هو الله. فسلبوا العبد قدرته واختياره، وقالوا: إنه مجبر على عمله؛ لأنه مكتوب عليه. وهذا القول لازمه من أبطل الباطل، وهو نسبة الفواحش إلى الله تعالى عن ذلك علواً كثيراً.

ويُرَدُّ على ضلال الطائفتين بقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، فقوله تعالى ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾: رد على الجبرية. وفي قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: رد على القدرية.

❊ **م الرابعة:** قال المصنف: "**والمقتول يموت بأجله**"، وهذا رد على المعتزلة حين قالوا: المقتول مات بغير أجله، فلو لم يقتل لعاش إلى وقت أطول، فأهل السنة والجماعة يقولون: سواء مات على فراشه، أو قتل في الجهاد أو بحادث سيارة أو سقط عليه جدار، كلٌّ مات بأجله، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر جَمْع خلق الجنين في بطن أمه ثم قَالَ ﷺ: «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»[(١)]. زاد مسلم من حديث حذيفة ابن أسيد رضي الله عنه: «ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٤/١١١ ـ ٣٢٠٨)، باب ذكر الملائكة، كتاب بدء الخلق، ومسلم (٤/٢٠٣٦ ـ ٢٦٤٣)، كتاب القدر.

(٢) مسلم (٤/٢٠٣٧ ـ ٢٦٤٥)، كتاب القدر.

❁ قال المصنف:

"ثم الإيمان بعذاب القبر وبمنكر ونكير، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، قال أصحاب التفسير: عذاب القبر. وقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: (كيف بك وملكا القبر، فتانان أسودان أزرقان، أعينهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، يطآن في أشعارهما ويحفران بأنيابهما، في يدهما مرزبة لو ضرب بها الثقلان لماتوا، قال عمر رضي الله عنه على أي حالة أنا يومئذ؟ قال: على حالتك اليوم قال: إذن أكفيكهما يا رسول الله). وروى البخاري بإسناده عن أم خالد، قالت: (سمعت النبي ﷺ يتعوذ من عذاب القبر)، وقال النبي ﷺ: (لو نجا أحد من ضمة القبر ـ أو ضغطة القبر ـ لنجا سعد بن معاذ).

انتقل المصنف إلى نوع آخر مما يجب على المسلم أن يؤمن به، وهو الإيمان بما أخبر الكتاب والسنة عنه بعد موت الإنسان ودفنه في قبره، وهذا مما لا يعرف إلا من طريق الوحي، وفيه مسائل:

❋ م الأولى: قول المصنف: "**ثم الإيمان بعذاب القبر**"، والمقصود عذابه ونعيمه كذلك؛ لأن المؤمن ينعم، والكافر والمنافق يعذبان، وكذا قد يعذب بعض عصاة المسلمين، والإيمان بذلك كما قال المصنف من أصول أهل السنة، لثبوته بظاهر القرآن وصريح السنة، وإجماع أهل السنة والجماعة:

ـ **فأما من القرآن**: فقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]،

وقوله تعالى عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، استدل البخاري بالآيتين الأوليين على أن المراد بهما عذاب القبر فذكرهما تحت [بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ القَبْرِ][(١)].

وقال ابن حزم وذكر الآية الأولى ﴿عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾: "وهذا قبل القيامة بلا شك وأثر الموت، وهذا عذاب القبر"[(٢)]. وقال الطبري عن الثانية ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾: "إنهم لما هلكوا وغرقهم الله، جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كلّ يوم مرتين ـ غُدُوًّا وَعَشِيًّا ـ إلى أن تقوم الساعة"[(٣)]. وقال ابن القيم عن الثالثة ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾: "فهذه الإذاقة هي في البرزخ. وأولها حين الوفاة، فإنه معطوف على قوله: ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾، وهو من القول المحذوف مقوله لدلالة الكلام عليه، كنظائره، وكلاهما واقع وقت الوفاة"[(٤)].

❊ وأما من صحيح السنة فما ذكره المصنف حين قال: "**وروى البخاري بإسناده عن أم خالد، قالت: «سمعت النبي ﷺ يتعوذ من عذاب القبر»**، فقد رواه في [بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ][(٥)]، وحديث عذاب القبر من المتواتر في السنة، فقد جاء فقط في الصحيحين أو أحدهما، من طريق جماعة من

(١) انظر: صحيح البخاري (٢/٩٨)، كِتَابُ الجَنَائِزِ، [بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ القَبْرِ].
(٢) الفصل في الملل (٤/٥٦).
(٣) تفسيره جامع البيان (٢١/٣٩٥).
(٤) مفتاح دار السعادة (١/٤٣).
(٥) صحيح البخاري (٢/٩٩ ـ ١٣٧٦)، كتاب الجنائز.

الصحابة: كعلي بن أبي طالب، وأبي أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي بكرة، وأبي رافع، وابن عباس، وعائشة، وأختها أسماء رضي الله عنهم(١).

فمن ذلك ما روى الشيخان عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ المَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ القُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: (صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ البَهَائِمُ كُلُّهَا)، فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»(٢).

ولهما عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ)»(٣). ولمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال ﷺ «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ.. وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»(٤).

ولهما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ ﷺ عن قبرين مَرَّ بهما: «يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ

(١) انظر: جامع الأصول (١١/١٦٤)، الباب الثالث: فيما بعد الموت، [الفصل الأول: في عذاب القبر]. ونظم المتناثر في الحديث المتواتر للكتاني (١٢٥ ـ ١١٣)، [عذاب القبر ونعيمه].

(٢) صحيح البخاري (٨/٧٨ ـ ٦٣٦٦)، كتاب الدعوات، [باب التعوذ من عذاب القبر]، ومسلم (١/٤١١ ـ ٥٨٦)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) صحيح البخاري (١/١٦٦ ـ ٨٣٢)، كتاب الأذان، [باب الدعاء قبل السلام]، ومسلم (١/٤١٢ ـ ٥٨٩)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة. وهو عندهما عن أبي هريرة رضي الله عنه دون تقييده بالصلاة.

(٤) صحيح مسلم (١/٤١٢ ـ ٥٨٨)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، ولم يقل مسلم: «ثُمَّ قَالَ: بَلَى»[(١)].

يقول ابن أبي العز الحنفي: "وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته"[(٢)].

* **م الثانية:** قول المصنف: "**قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾** [طه: ١٢٤]، **قال أصحاب التفسير: عذاب القبر**" ما ذكره المصنف عن أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ جاء مرفوعاً إلى النبي ﷺ:

١ ـ فقد روى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾، قَالَ: «عَذَابُ الْقَبْرِ». صححه ابن حبان والحاكم[(٣)]، وروي بلفظ آخر صححه الحاكم أيضاً: «ويضيق عَلَيْهِ قَبره حَتَّى تخْتَلف أضلاعه، فَذَلِك قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾»[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري (١/٥٣ ـ ٢١٦)، [باب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله]، كتاب الوضوء، ومسلم (١/٢٤٠ ـ ٢٩٢)، كتاب الطهارة. والمعنى: إنهما لا يعذبان في أمر كبير يشق الاحتراز منه، لكنه كبير في الإثم.

(٢) شرح الطحاوية (٣٩٥).

(٣) انظر صحيح ابن حبان (٧/٣٨٨ ـ ٣١١٩)، كتاب الجنائز، [ذكر الخبر المدحض قول من أنكر عذاب القبر]، والمستدرك للحاكم (١/٥٣٧ ـ ١٤٠٥)، كتاب الجنائز، وكتاب إثبات عذاب القبر للبيهقي (٥٩ ـ ٥٧)، [باب ما يكون على من أعرض عن ذكر الله تعالى من العذاب في القبر].

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/٥٦ ـ ١٢٠٦٢)، [في نفس المؤمن كيف تخرج ونفس الكافر]، كتاب الجنائز، وأبو بكر الخلال في السنة (٤/٦٤ ـ ١١٧٦)، [باب مناكحة=

٢ ـ ورواه أبو سعيد الخدري ﷺ بمثله، إلا أن لفظ «عَذَابُ الْقَبْرِ» جاء مرفوعاً[(١)]، وجاء لفظ «يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ فِيهِ» موقوفاً وهو أصح[(٢)]. لكن ثبتت أدلة عذاب القبر بما هو أصح وأصرح من هذا كما تقدم في المسألة السابقة.

* م الثالثة: قول المصنف: "**وبمنكر ونكير**" يبين المصنف أن من دخل قبره يأتيه ملكان يسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وهذا أول دخوله القبر، وقبل العذاب أو النعيم، وقد جاء في السنة من وجهين:

الأول: بتسميته أحدهما المنكر والآخر النكير، وقد جاء مرفوعاً وموقوفاً:

ـ أما المرفوع: فحديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوِ الإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالآخَرُ: النَّكِيرُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ ﷺ...» الحديث، صححه ابن حبان، وقال الترمذي: "حسن غريب"[(٣)]. وهذا الحديث هو العمدة في هذا

= المرجئة]، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/١٠٥ ـ ٢٦٣٠)، والحاكم في المستدرك (١/٥٣٥ ـ ١٤٠٣)، كتاب الجنائز، والبيهقي في كتاب الاعتقاد (ص: ٢٢٢)، [باب الإيمان بعذاب القبر]. إلا أنه جاء في بعضها موقوفاً على أبي هريرة ﷺ، لكن الرفع أكثر.

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٤١٣ ـ ٣٤٣٩)، [تفسير سورة طه]، والبيهقي في كتاب إثبات عذاب القبر (٥٩ ـ ٥٩)، [باب ما يكون على من أعرض عن ذكر الله تعالى من العذاب في القبر].

(٢) رواه الطبري في تفسيره جامع البيان (١٨/٣٩٣)، وعبد الرزاق الصنعاني في المصنف (٣/٥٨٤ ـ ٦٧٤١)، [باب فتنة القبر]، كتاب الجنائز، والبيهقي في كتاب عذاب القبر (٦٠ ـ ٦٠)، [باب ما يكون على من أعرض عن ذكر الله تعالى من العذاب في القبر]. قال ابن كثير في (تفسيره: ٥/٣٢٣): "الموقوف أصح".

(٣) رواه الترمذي (٣/٣٧٥ ـ ١٠٧١) [باب ما جاء في عذاب القبر]، أبواب الجنائز، وابن أبي=

الباب، ولذا قال المروذي: "سمعت أبا عبد الله يقول: "نؤمن بعذاب القبر، وبمنكر ونكير"[(١)]. فإذا ثبت الحديث بذكر هذين الاسمين، فيجب الإيمان بذلك لدخوله بالأمر بالإيمان بالملائكة على وجه الإجمال والتفصيل

ـ وأما الموقوف: فحديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «اسْمُ الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ يَأْتِيَانِ فِي الْقَبْرِ: مُنْكَرٌ ونَكِيرٌ، وَكَانَ اسْمُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَهُمَا فِي السَّمَاءِ: عَزْرًا وعُزَيْرًا». والحديث رواه الطبراني في المعجم الأوسط[(٢)]، ثم قال: "لم يرو هذا الحديث عن عبد الله بن كيسان إلا عيسى، تفرد به يعقوب"، وحسن إسناده الهيثمي والسيوطي[(٣)]، وهو تساهل؛ لأن فيه عبد الله بن كيسان ضعيف، قال البخاري: "منكر الحديث"[(٤)]. وسيأتي ما يشهد للمرفوع من المراسيل فيما سيذكره المؤلف بعده.

الثاني: أنه ثبت عند الشيخين ذكر الملكين دون تسمية لهما، من حديث

= عاصم في السنة (٢/٤١٦ ـ ٨٦٤)، [باب في القبر وعذاب القبر]، وابن حبان في صحيحه (٧/٣٨٦ ـ ٣١١٧)، [ذكر الإخبار عن اسم الملكين اللذين يسألان الناس في قبورهم]، فصل في أحوال الميت في قبره، والآجري في الشريعة (٣/١٢٨٨ ـ ٨٥٨)، [باب ذكر الإيمان والتصديق بمسألة منكر ونكير]، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦/١٢٠٦ ـ ٢١٣٩)، [سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن المسلمين إذا دلوا في حفرتهم يسألهم منكر ونكير]، والبيهقي في كتاب إثبات عذاب القبر (٥٧ ـ ٥٦)، [باب ما يكون على المنافقين من العذاب في القبر].

(١) نقله ابن القيم في كتاب الروح (ص: ٥٧).

(٢) المعجم الأوسط (٣/١٣٠ ـ ٢٧٠٣).

(٣) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٣/٥٤ ـ ٤٢٨٠)، والحبائك في أخبار الملائك للسيوطي (ص: ٨٧)، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور له (١٢٦ ـ ١٦).

(٤) انظر: ميزان الاعتدال (٢/٤٧٥).

أنس ﷺ قال: قال ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»(١).

* **م الرابعة:** قول المصنف: "**وقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ: (كيف بك وملكا القبر، فتانان أسودان أزرقان...)** ألخ. هذا اللفظ الذي ذكره المصنف جاء من طرق كثيرة عن الصحابة:

١ ـ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ: رواه ابن أبي داود في كتاب "البعث"، وقوام السنة في "الحجة في بيان المحجة"، والبيهقي في كتاب "إثبات عذاب القبر"، وفي كتاب "الاعتقاد" له(٢). قال البيهقي بعده في الاعتقاد: "غريب بهذا الإسناد تفرد به مفضل". قلت: مُفَضَّل بن صالح، قال عنه البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث. وراويه عن عمر ﷺ أبو شهر مجهول، لذا ذكر الذهبي في كتاب "ميزان الاعتدال" هذا الحديث في مناكيره، ثم قال:

(١) رواه البخاري (٢/٩٨ ـ ١٣٧٤)، [باب ما جاء في عذاب القبر]، كتاب الجنائز، ومسلم (٤/٢٢٠٠ ـ ٢٨٧٠)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) انظر: كتاب البعث لابن أبي داود (١٨ ـ ٧)، وكتاب إثبات عذاب القبر للبيهقي (٨٢ ـ ١٠٥) [باب تخويف أهل الإيمان بعذاب القبر]، وكتاب الاعتقاد للبيهقي (ص: ٢٢٢)، والحجة في بيان المحجة لقوام السنة (١/٥١٤ ـ ٣٢٤، ٣٢٥) [في الرد على من ينكر عذاب القبر ومنكرًا ونكيرًا].

"أبو شهم، ويقال: أبو شمر، فيه جهالة"، ثم أعاده في ترجمة أبي شهر فقال: "أبو شهر، عن عمر، وعنه ابن أبي خالد بخبر منكر: في منكر ونكير"(١).

٢ ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: رواه الطبراني في "المعجم الأوسط"(٢). لكن قال فيه: "أعينهما مثل قدور النحاس، وأنيابهما مثل صياصي البقر، وأصواتهما مثل الرعد". قال الطبراني بعده: "لم يرو هذا الحديث عن أبي أمامة بن سهل ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان إلا موسى بن جبير، تفرد به ابن لهيعة". قلت: ابن لهيعة ضعيف(٣)، ورواه عن موسى بن جبير، وقد ذكره ابن حبان في "ثقاته"، وقال: "يخطئ ويخالف". قال العلامة المعلمي: "وذِكْرُ ابن حبان للرجل في "ثقاته"، وإخراجه له في "صحيحه" لا يخرجه عن جهالة الحال، فأما إذا زاد ابن حبان فغمزه بنحو قوله هنا: "يخطىء ويخالف"، فقد خرج عن أن يكون مجهول الحال إلى دائرة الضعف"(٤).

٣ ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: رواه البيهقي في كتاب "إثبات عذاب القبر"(٥). وفيه محمد بن عمر الواقدي متهم متروك(٦).

٤ ـ من قول أبي الدرداء رضي الله عنه موقوفًا: رواه عبد الرزاق الصنعاني في "المصنف"(٧)، قال فيه: عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: أخبرني

(١) ميزان الاعتدال (٤/١٦٧، ٥٣٧). وانظر: تهذيب الكمال (٢٨/٤٠٩).
(٢) انظر: المعجم الأوسط للطبراني (٥/٤٤ ـ ٤٦٢٩).
(٣) انظر: ميزان الاعتدال (٢/٤٧٥).
(٤) انظر: الثقات لابن حبان (٧/٤٥١)، وحاشية الفوائد المجموعة للمعلمي (ص: ٤٩٢).
(٥) انظر: كتاب إثبات عذاب القبر للبيهقي (٨١ ـ ١٠٤) [باب تخويف أهل الإيمان بعذاب القبر].
(٦) انظر: ميزان الاعتدال (٣/٦٦٢).
(٧) انظر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٣/٥٨٤ ـ ٦٧٤٠).

محمد بن قيس، قال: أتى رجل أبا الدرداء رضي الله عنه.. "، فذكره من قوله ولم يذكر فيه عمر رضي الله عنه. وفيه علتان: الأولى: أن محمد بن قيس المدني لم يسمع من أحد الصحابة(١). الثانية: أنه رواه عبد الرزاق عن معمر بن راشد. وابن أبي زمنين في "السنة"(٢) من طريق محمد بن مسلم الطائفي، كلاهما عن عمرو ابن دينار عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً بلفظ المصنف هنا، وهو الصحيح.

٥ ـ من حديث عطاء بن يسار مرسلاً: رواه الحارث بن أسامة في "مسنده"، والآجري في كتاب "الشريعة"، والبيهقي في كتاب "إثبات عذاب القبر"(٣)، بإسناد صحيح إلى التابعي الثقة عطاء بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه، فذكر نحوه باختلاف يسير، قال الحافظان ابن حجر والبوصيري بعد أن بيّنا إرساله: "رجاله ثقات"(٤). وقد صحح البيهقي من الحديث هذا الوجه المرسل، فقال بعد ذكر الحديث من طريق عمر رضي الله عنه: "هذا وقد رويناه من وجه آخر، عن ابن عباس، ومن وجه آخر صحيح عن عطاء بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً في قصة عمر"(٥).

* وبهذا يتبين أن المحفوظ من لفظ هذا الحديث الذي ذكره المصنف

(١) انظر: تهذيب الكمال للمزي (٢٦/٣٢٣)، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص: ٥٠٣).
(٢) انظر: مصنف عبد الرزاق (٣/٥٨٢ ـ ٦٧٣٨)، باب فتنة القبر، كتاب الجنائز، وأصول السنة لابن أبي زمنين (١٥١ ـ ٨٠)، باب في الإيمان بسؤال الملكين.
(٣) انظر: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (١/٣٧٩ ـ ٢٨١)، والشريعة للآجري (٣/١٢٩١ ـ ٨٦١)، [باب ذكر الإيمان والتصديق بمسألة منكر ونكير]، وكتاب إثبات عذاب القبر للبيهقي (٨١ ـ ١٠٣)، [باب تخويف أهل الإيمان بعذاب القبر].
(٤) انظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر (١٨/٤٧١ ـ ٤٥٣١)، وإتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري (٢/٤٩٢ ـ ١٩٥٥).
(٥) كتاب الاعتقاد (ص: ٢٢٣).

هنا هو الوجه المرسل من الطريقين اللذين مضيا: مرسل عمرو بن دينار، ومرسل عطاء بن يسار، وهما يعضدان ما تقدم في المسألة السابقة من تسمية المنكر والنكير.

* **م الخامسة:** قول المصنف، "**وقال النبي ﷺ: (لو نجا أحد من ضمة القبر أو ضغطة القبر لنجا سعد بن معاذ)**" جاء الحديث بلفظ "ضغطة القبر" من حديث عائشة رضي الله عنها: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»، رواه أحمد وغيره، وصححه ابن حبان، وقال الحافظ العراقي: "إسناد جيد"[(١)]، وله شواهد بنحوه من حديث: عبد الله بن عمر، وحديث عبد الله بن عباس، وحديث جابر بن عبد الله، وحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٣٢٧/٤٠ ـ ٢٤٢٨٣)، وعلي بن الجعد في مسنده (٢٣٣ ـ ١٥٤٨)، والحارث ابن اسامة في مسنده (بغية الباحث: ٣٧٧/١ ـ ٢٧٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٤٨/١ ـ ٢٧٣)، [باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ في اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ]، وابن حبان في صحيحه (٣٧٩/٧ ـ ٣١١٢)، [ذكر البيان بأن ضغطة القبر لا ينجو منها أحد]، والبيهقي في كتاب إثبات عذاب القبر (٨٢ ـ ١٠٦، ١٠٧)، [باب تخويف أهل الإيمان بعذاب القبر]. رووه من طريق نافع عن صفية امرأة ابن عمر عن عائشة، ومنهم من جعله عن نافع عن عائشة، والصواب الذي رواه جماعة من الثقات الأول، انظر: علل الدارقطني (٤٤٢/١٤ ـ ٣٧٩١)، المغني عن حمل الأسفار للعراقي (ص: ١٨٨٨)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة الألباني (٢٦٨/٤ ـ ١٦٩٥).

(٢) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤٦/٣)، [باب في ضغطة القبر]، وإتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٤٩٢/٢)، [باب السؤال في القبر وما جاء في ضمة القبر وضغطته]. وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور للسيوطي (ص: ١١١)، [بَاب ضمة الْقَبْر لكل أحد].

* **م السابعة:** قول المصنف "**ثم الإيمان بعذاب القبر**"، إشارة إلى طوائف من أهل البدع أنكروا عذاب القبر كسائر أبواب المعتقد، وقد أنكر عذاب القبر أكثر الخوارج والمعتزلة، وتبعهم على ذلك الملاحدة والزنادقة، ومنهم ـ كما ذكر ابن القيم(١) ـ من جعل عذاب القبر بين النفختين، والمسألة في القبر. ومنهم من أثبته لأصحاب التخليد من الكفار دون المؤمنين على أصولهم في التكفير. ويرد عليهم بأمور:

١ ـ أن عذاب القبر ثابت بطريق متواتر في كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ، وجعله السلف من القطعيات، فلا يكذب به بعد ذلك إلا من تولى وأعرض عن ذكر ربه، لذا نقل المروذي عن الإمام أحمد أنه قال: "عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال أو مضل"(٢).

٢ ـ أن في إنكارهم عذاب القبر بحجة أنه لا يدركها العقل ردًّا لكثير مما أخبر به الله ورسوله من أخبار الغيب التي حجبها عن إدراك العقول، ليتميز من آمن بالغيب من غيره، فهذه الملائكة كما قال الله تعالى تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم، والمسلمون معهم، لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم، وهذا الرجل يرى في منامه أنه يعذب ويضرب، ويستيقظ ويرى أثر ذلك في نفسه وربما في بدنه، وأهله حوله لا يشعرون بشيء.

٣ ـ أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثة، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، فأحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وأحكام البرزخ على

(١) انظر: كتاب الروح (ص: ٥٧).
(٢) نقله ابن القيم في كتاب الروح (ص: ٥٧).

الأرواح ، والأبدان تبع لها . فكما تبعت الأرواحُ الأبدانَ في الدنيا ألماً ولذة ، فكذلك في القبر تبعت الأبدانُ الأرواحَ ألماً ولذة عكس دار الدنيا ، فإذا كان يوم المعاد صار الحكم على الأرواح والأجساد بادياً ظاهراً .

❁ قال المصنف:

"ثم من بعد ذلك الإيمان بالصيحة للنشور، بصوت إسرافيل للقيام من القبور، فتلزم القلب أنك ميت ومضغوط في القبر، ومساءل في قبرك".

قال المصنف: "**ثم من بعد ذلك الإيمان بالصيحة للنشور، بصوت إسرافيل للقيام من القبور**"، أي يجب على المسلم أن يعتقد أنه بعد القبر، تكون صيحة النشور المذكورة في القرآن كما في قوله تعالى ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤١ - ٤٢]، الصَّيْحَةَ هي النفخ بالصور، وبالحق، أي بالبعث الذي لا شك فيه، وذلك يوم الخروجِ، أي من القبور، وفيه ثلاث مسائل:

❊ **م الأولى:** قال المفسرون: المنادي في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾، هو إسرافيل عليه السلام الذي ينفخ في الصور، وهو أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش، وجاء ذكر نافخ الصور عن النبي ﷺ في غير ما حديث، منها:

- حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ»، وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، وصححه ابن حبان والحاكم وحسنة الترمذي[1].

---

(١) رواه أحمد (١٨/٢٢٨ - ١١٦٩٦)، والترمذي في سننه (٥/٣٧٢ - ٣٢٤٣)، [باب: ومن سورة الزمر]، [أبواب تفسير القرآن]، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٢/٣٣٩ - ١٠٨٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٣/٣٧٨ - ٥٣٤٣)، [باب بيان مشكل ما روي=

ـ وحديث أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّوْرِ مُذْ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحوَ الْعَرْشِ، مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ». رواه الحاكم، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". فعلق الذهبي عليه قائلاً: "قلت: صحيح على شرط مسلم". وحسنه الحافظ في "الفتح"[(١)].

* م الثانية: أن المراد بالنفخ للبعث في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، النفخ المعروف، وهو دفع ريح الفم في الشيء، وأما الصور فقد جاء في صحيح البخاري عن مجاهد أنه قال: "الصور كهيئة البوق"[(٢)]، وقيل: إن الصور جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيا، أي أن المراد عندهم نفس إحياء النفوس للبعث لا نفخ مخصوص[(٣)].

= عن رسول الله ﷺ مما يدل على الصور الذي ذكره الله في كتابه، ما هو؟]، وابن حبان في صحيحه (١٠٥/٣ ـ ٨٢٣)، [ذكر الأمر لمن انتظر النفخ في الصور أن يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل]، والحاكم في المستدرك (٦٠٣/٤ ـ ٨٦٧٨)، من طرق عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد ﵁. لكن إسناد أحمد والترمذي من طريق عطية العوفي، وفيه ضعف. وللحديث شواهد: من حديث زيد بن أرقم، ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث ابن عباس، ومن حديث البراء بن عازب، ومن حديث أنس، ومن حديث جابر ﵃، انظر: أنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري (٤٠٧٥/٦).

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٦٠٣/٤ ـ ٨٦٧٦)، كتاب العلم، وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٨٤٣/٣ ـ ٣٩١)، [صفة إسرافيل ﵇، وما وكل به]، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٣٣/٦ ـ ٢١٨٥)، [سياق ما روي عن النبي ﷺ في الصور والحشر والنشر]. وانظر: فتح الباري لابن حجر (٣٦٨/١١). وللحديث شاهد عن ابن عباس ﵄ أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة (٨٤٣/٣ ـ ٣٩٢).

(٢) ذكره معلقًا (١٠٨/٨) في كِتَابُ الرِّقَاقِ، [بَابُ نَفْخِ الصُّورِ].

(٣) نقله الطبري في تفسيره جامع البيان (٤٦٣/١١).

والصحيح أن الصور قرن كما جاء في أحاديث مرفوعة، منها ما رواه عَبْدُ اللهِ ابْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما: «أَنَّ أعْرَابِياً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: قَرْن يُنْفَخ فِيهِ»، صححه ابن حبان والحاكم، وحسنه الترمذي وابن حجر(١).

* م الثالثة: دل على النفخ في الصور الكتاب والسنة وإجماع الأمة:

ـ فأما القرآن: فقال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]

ـ ومن السنة: ما روى مسلم عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وذكر بقاء شرار الناس، ثم قال: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ـ أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللهُ ـ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ

(١) رواه أحمد (١١/٥٣ ـ ٦٥٠٧)، وأبو داود (٤/٢٣٦ ـ ٤٧٤٢)، [باب في ذكر البعث والصور]، في كتاب السنَّة، والترمذي (٤/٦٢٠ ـ ٢٤٣٠)، [باب ما جاء في شأن الصور]، أبواب صفة القيامة، والنسائي في الكبرى (١٠/١٦٦ ـ ١١٢٥٠)، [باب قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾]، كتاب التفسير، وابن حبان في صحيحه (١٦/٣٠٣ ـ ٧٣١٢)، [ذكر الإخبار عن وصف الصور الذي ينفخ فيه يوم القيامة]، والحاكم في المستدرك (٢/٥٥٠ ـ ٣٨٧٠)، [تفسير سورة المدثر]، كتاب التفسير. وانظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٤/١٥٥). وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا خرجه ابن أبي داود في البعث (٤٣ ـ ٤٢)، وابن منده في الإيمان (٢/٧٩٤ ـ ٨١١)، والبيهقي في كتاب البعث والنشور (٣٣٦ ـ ٦٠٩)، بسند لا بأس به. ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا خرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/٣٥٣ ـ ٩٧٥٥)، ومسدد في مسنده كما في (المطالب العالية: ١٨/٤٩٩ ـ ٤٥٤٠) وقال الحافظ ابن حجر بعده: "صحيح موقوف".

قِيَامٌ يَنْظُرُونَ»[(١)].

وذكر جمهور الأمة أن النفخات ثلاث:

ـ **(الأولى)**: نفخة الفزع التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧]، وهي المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [ص: ١٥]، أي رجوع ومردّ. وفيها اضطراب نظام العالم والناس، كما يقول الله: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات: ٦ ـ ٧]، ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾ [الواقعة: ٤]، فترج الأرض بأهلها رجًّا، وتدك الجبال وتكون سراباً، وتكون السماء كالمهل، ويخسف بنور الشمس والقمر ويكوران، وتنتثر النجوم، فتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان. قال ابن كثير وذكرها: "وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء، فيفزع من في السموات ومن في الأرض"[(٢)].

ـ **(الثانية)**: نفخة الصعق التي قال الله عنها: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، قال ابن كثير: "وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله"[(٣)].

وذكر العلماء أن بين نفختي الصعق والبعث مدة؛ لما روى الشيخان،

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٥٨ ـ ٢٩٤٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة. والليت صفحة العنق وهي جانبه.

(٢) تفسيره (٦/٢١٦).

(٣) تفسيره (٧/١١٦).

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عنه ﷺ قال: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ... ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

ـ (الثالثة): نفخة البعث والنشور التي تخرج بها الأرواح إلى أجسادها، وقال تعالى عنها: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو الآنف قريباً ذكر صعقة الموت ثم نبات الأجساد ثم قال ﷺ بعده: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]». فتخرج الأرواح إلى أجسادها.

* وقد ذهب بعض العلماء: إلى أنها نفختان فقط، واعتبروا نفخة الفزع هي نفخة الصعق لأن الأمرين لازمان لها أي: فزعوا فزعاً ماتوا منه، والراجح ما ذكرنا.

---

(١) رواه البخاري (٦/١٦٥ ـ ٤٩٣٥)، [باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٤/٢٢٧٠ ـ ٢٩٥٥)، كتاب الفتن وأشراط الساعة.

❁ قال المصنف:

"ومبعوث من بعد الموت فريضة لازمة، من أنكر ذلك فهو كافر، ثم الإيمان بالبعث".

ذكر المصنف الإيمان بالبعث، وفيه مسائل:

※ م الأولى: في قول المصنف: "ومبعوث من بعد الموت فريضة لازمة" دليل على وجوب اعتقاد ما ثبت ثبوتاً قطعياً بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين أنه بعد النفخ في الصور النفخة الثالثة يكون البعث: وهو إحياءُ الموتى وبعثهم للحساب كما في قوله تعالى عنها: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]، أي يخرجون من القبور للحشر كما قال تبارك تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، ثم يجمع الله جميع الخلق في صعيد واحد، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]، وقال: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو، قال: قال ﷺ: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]»[(١)]. وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾» [الأنبياء: ١٠٤][(٢)].

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٥٨ ـ ٢٩٤٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة.
(٢) رواه البخاري (٦/٥٥ ـ ٤٦٢٥)، [باب: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾]،=

* م **الثانية:** في قول المصنف: "**من أنكر ذلك فهو كافر**": بيان أنه يجب على المسلم في البعث والحشر أن يعتقد أصلين:

ـ (الأصل الأول): وجوب الإيمان بما دل عليه القرآن والسنة والإجماع من البعث يوم القيامة، وأن الذي لا يؤمن بذلك كافر؛ لأنه مكذب لأوضح عقيدة في القرآن والسنة بعد إثبات التوحيد، وهي المعاد والحساب، ولذا أجمع الناس على إثبات البعث والمعاد حتى اليهود والنصارى، قال ابن حزم: "اتفق جميع أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيامة، وعلى تكفير من أنكر ذلك"[(١)]. وقال ابن القيم: "معاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى"[(٢)].

ـ (الأصل الثاني): وجوب الإيمان بأن البعث يكون بالروح والجسد الأول بعينه، لا غيره لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]. وقوله ﷻ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤]، فقد بين الله أنه وعد وعداً حقاً عليه: أن يعيد الخلق كما أنشأه أول مرة، حتى القلفة التي تزال بالختان بعد ولادة المولود، يعيده الله بها تحقيقاً لوعده، كما تقدم قريباً في الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]». قال

= كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٤/٢١٩٤ ـ ٢٨٦٠)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(١) الفصل في الملل (٤/٦٦).

(٢) الروح (٥٢).

القرطبي: "وعند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها، بلا خلاف بينهم"(١).

* **م الثالثة:** قد خالف أهلَ الإسلام ومن وافقهم في هذا الأصل طائفتان:

(الأول): طائفة اعتقدت أن الله يبعث الأرواح في أجسام غير الأجسام.

(الثانية): طائفة من الفلاسفة الملاحدة أكفر وأضل زعموا أن معاد الأبدان من باب التخييل وإنما البعث للأرواح، لذا قال السفاريني: "أما البعث فالمراد به المعاد الجسماني فإنه المتبادر عند الإطلاق، إذ هو الذي يجب اعتقاده، ويكفر منكره"(٢). وقال الهراس: "ومنكر البعث الجسماني ـ كالفلاسفة والنصارى ـ كافر، وأما من أقره، ولكنه زعم أن الله يبعث الأرواح في أجسام غير الأجسام التي كانت في الدنيا؛ فهو مبتدع وفاسق"(٣).

* **م الرابعة:** أن الحشر والبعث لا يقتصر على الإنس والجان، بل يحشر الله تعالى جميع الخلائق حتى الدواب، والطير، والحشرات للحساب والقصاص، بقدرته تعالى:

ـ أما من القرآن: فكما قال تعالى: ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾ [التكوير: ٥].

ـ وأما من السنة:

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ٤٨٧).
(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/١٥٧).
(٣) شرح الواسطية (٦٤).

ففي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قال، قَالَ ﷺ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»(١).

وروى عبد الرزاق والطبري وابن أبي حاتم في التفسير بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إِنَّ اللهَ يَحْشُرُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مِنْ دَابَّةٍ وَطَائِرٍ وَالإِنْسَانَ، ثُمَّ يَقُولُ لِلْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَالدَّوَابِّ كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠]"(٢)، وبنحوه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفاً كذلك(٣).

(١) رواه مسلم (٤/١٩٩٧ ـ ٢٥٨٢)، كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) رواه عبد الرزاق في التفسير (٢/٤٦ ـ ٧٨٦)، (٣/٣٨٦ ـ ٣٤٧٣)، والطبري في تفسيره جامع البيان (٢٤/١٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٨٦ ـ ٧٢٦٢)، كلهم في [تفسير سورة عم]، من طرق عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال العلامة الألباني (السلسلة الصحيحة: ٤/٦٠٦ ـ ١٩٦٦): "وهذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات رجال مسلم غير ابن ثور وهو محمد الصنعاني، وهو وإن كان موقوفًا فإنه شاهد قوي للمرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي". قلت: خرجه الألباني من تفسير ابن جرير من طريق ابن ثور، وفاته متابعتان لابن ثور، حيث رواه عبد الرزاق عن معمر، وابن أبي حاتم من طريق كثير بن هشام، كلاهما عن جعفر بن برقان به. وأما المرفوع فرواه ابن جرير الطبري (تفسيره: ٢٤/٤١٨)، والبيهقي في كتاب البعث والنشور (٣٣٦ ـ ٦٠٩)، [حَدِيثُ الصُّورِ]، من طريق إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ مرفوعاً، لكنه ضعيف جداً؛ فإسماعيل بن رافع، قال الدارقطني وغيره (كما في ميزان الاعتدال: ١/٢٢٧): "متروك الحديث"، والرجل الأنصاري الراوي عن أبي هريرة مبهم مجهول.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان (٢٤/١٨٠) من طريقين عن عوف، عن أبي المغيرة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال العلامة الألباني (السلسلة الصحيحة: ٤/٦٠٦ ـ ١٩٦٦): "وإسناد جيد، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي المغيرة هذا وهو القواس لا يسمى، قال الذهبي في الميزان: لينه سليمان التميمي. وقال ابن المديني: لا أعلم أحدًا روى=

وروى ابن أبي حاتم في "التفسير" في قوله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وقوله ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٢]، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "يحْشر كل شَيْء، حَتَّى إِن الذُّبَاب ليحشر"[(١)].

ولذا سمي يوم الجمع كما في قوله تعالى ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧]، لاجتماع الخلق في صعيد واحد، قال تعالى عن البشر: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "فهم في ضيق مقامهم فيها، كضيق سهام اجتمعت في كنانتها، فالسعيد يومئذ من يجد لقدمه مقاماً"[(٢)].

= عنه غير عوف. قلت: لكن قال ابن معين: إنه ثقة كما في الجرح والتعديل (٤/٢/٤٣٩) وذكره ابن حبان في الثقات، فثبت الإسناد، والحمد لله على توفيقه".

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/١٣٢٣ ـ ٧٤٨١)، قَوْلُهُ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، وفي (٨/٢٦٧١ ـ ١٥٠٢٥)، قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾[الأنعام: ٢٢]، من طريق حَنْظَلَةَ الْقَاصِّ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما. وعزاه السيوطي في (الدر المنثور: ٨/٤٢٩) لابن المنذر.

(٢) ذكره السفاريني في (لوامع الأنوار: ٥٨٩) وعزاه لمكي في التفسير، وجاء مرفوعًا كما ذكر القرطبي (التذكرة بأحوال الموتى: ٥٨٩) أن الحافظ أبا نصر عبد الله الوائلي السجستاني خرج كتاب "الإنابة" من حديث ابن وهب قال: حدثني عبد الرحمن بن ميسرة، عن ابن هانئ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾، ثم قال رسول الله ﷺ: (كيف بكم إذا جمعكم الله ﷻ كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم)؟ "، وقال: "قال الوائلي غريب جيد الإسناد".

قال المصنف:

"ثم الإيمان بالبعث والصراط، وشعار المؤمنين يومئذٍ: سلّم سلّم. والصراط جاء في الحديث (أنه أحدّ من السيف وأدق من الشعر).

انتقل المصنف رحمه الله إلى ذكر الصراط في قوله: "**ثم الإيمان بالبعث والصراط**"، ويتضمن الإيمان بالصراط مسائل:

* م **الأولى**: الصراط في اللغة: الطريق الواضح الواسع المستقيم، وسمي صراطاً لأن الناس يسلكونه بسهولة. وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون، فهو قنطرة بين الجنة والنار. قال المصنف: "**والصراط جاء في الحديث (أنه أحدّ من السيف وأدق من الشعر)**. اختلف العلماء في كيفيته:

ـ **(القول الأول)**: منهم من قال: طريق واسع يمر الناس عليه على قدر أعمالهم؛ لأنه المدلول اللغوي لكلمة الصراط؛ ولأن رسول الله ﷺ أخبر بأنه «يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ»، متفق عليه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، واللفظ للبخاري[(١)]. والدحض هو: الزلق لا تثبت عليه قدم، ومزلة: ما تزل به الأقدام، والكلوب: حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم.

(١) رواه البخاري (٩/١٢٩ ـ ٧٤٣٩)، [باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾]، كتاب التوحيد، ومسلم (١/١٦٧ ـ ١٨٣)، كتاب التوحيد.

والخطاف: بالضم هو الحديدة المعوجة يختطف بها الشيء. والحسكة: شوكة صلبة معروفة، والمفلطحة: العريضة، والعقيفاء: المعوجة. قالوا: والدحض والمزلة لا يكونان في طريق دقيق جداً، لأن الضيق لا يكون دحضًا ومزلة.

ـ **(القول الثاني)**: ما ذكره المصنف: أنه صراط دقيق جدًّا وحادٌّ كالموسى وهو الأقوى أثرًا؛ وذلك لما ذكره المصنف، وجاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ الذي رواه مسلم بلاغًا: قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ»(١). وجاء عند أحمد من حديث عائشة ﵂ متصلاً، وفيه ابن لهيعة ضعيف(٢). وعند البيهقي في "الشعب" عن أنس ﷺ متصلاً وضعفه؛ لأن فيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف تركه بعضهم(٣)، لكن أصح منها

(١) ذكره مسلم (١/١٦٧ ـ ١٨٣)، كتاب الإيمان، في أثناء ذكره حديث الشفاعة الطويل.

(٢) رواه أحمد (٤١/٣٠٢ ـ ٢٤٧٩٣)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد: ١٠/٣٥٩ ـ ١٨٤٣٩): "رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح". وقال الحافظ السخاوي في (الأجوبة المرضية: ٣/٩٠٧): "ولابن أبي الدنيا من حديث رجل من كندة عنها مرفوعاً في حديث: (أن الصراط يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف، ويسجر حتى يكون مثل الجمرة) ".

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/٥٦٤ ـ ٣٦١)، [باب في أن دار المؤمنين ومآبهم الجنة ودار الكافرين ومآبهم النار]، وقال: "هذا إسناد ضعيف"، ثم قال البيهقي بعده: "وروي عن زياد النميري، عن أنس مرفوعًا (الصراط كحد الشفرة أو كحد السيف)، وهي أيضًا رواية ضعيفة". وانظر: ميزان الاعتدال (٤/٤١٨) ترجمة الرقاشي. قلت: وفي الباب أحاديث مرفوعة ضعيفة جداً: كحديث أبي أمامة ﷺ عند الطبراني في المعجم الكبير (٨/٢٢٥ ـ ٧٨٩٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٨٦): "وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك". وحديث أبي هريرة ﷺ، رواه ابن منيع في مسنده (كما في المطالب: ١٨/٥١٢ ـ ٤٥٤٥)، والبيهقي في كتاب البعث (٣٣٦ ـ ٦٠٩)، [حَدِيثُ الصُّورِ]، وفي إسناد ابن منيع: أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي ضعيف (تهذيب الكمال: ٣٢٥)، وفي إسناد البيهقي: إسماعيل بن رافع متروك مع إبهام الراوي عن أبي هريرة، وقد تقدم ذكره قريباً.

ما رواه أبو بكر ابن أبي شيبة والآجري، عن سلمان رضي الله عنه موقوفاً بإسناد على شرط مسلم، قال: «يُوضَعُ الصِّرَاطُ، وَلَهُ حَدٌّ كَحَدِّ الْمُوسَى فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: رَبَّنَا مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا، فَيَقُولُ: أُجِيزَ عَلَيْهِ مَنْ شِئْتُ»، ورواه الحاكم مرفوعاً والموقوف أصح، لكن قال السخاوي: "وحكمه الرفع"(١).

ـ وردوا على قول من منع الجمع بين الدقة والمزلة بمجيء الجمع بينهما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «فَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ»، وصححه الحاكم وابن منده والذهبي، وعلق الذهبي عليه في "تلخيص المستدرك"، فقال: "ما أنكره حديثًا على جودة إسناده"، وقال ابن القيم: "هذا حديث كبير حسن". قلت: هذه اللفظة ثابتة عن ابن مسعود رفعاً ووقفاً(٢). وبهذا ثبت أن الصراط: (كحد السيف

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٩/٧ ـ ٣٤١٩٥)، [كتاب ذكر النار]، والآجري في الشريعة (١٣٢٨/٣ ـ ٨٩٤)، [كتاب الإيمان بالميزان أنه حق توزن به الحسنات والسيئات]، من طريق معاذ العنبري والحسن بن موسى، كلاهما عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان موقوفاً، وخالفهما هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة عند الحاكم في المستدرك (٦٢٩/٤ ـ ٨٧٣٩)، [كتاب العلم]، فرواه مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وقال على شرط مسلم، قال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦١٩/٢ ـ ٩٤١): " وفيه نظر، فإن هدبة بن خالد وإن كان من شيوخ مسلم، فإن الراوي عنه المسيب بن زهير لم أر من وثقه، وقد ترجم له الخطيب (١٤٩/١٣) وكناه أبا مسلم التاجر، وذكر أنه روى عنه جماعة، وأنه توفي سنة (٢٨٥)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا. وقد رواه الآجري في الشريعة (٣٨٢) عن عبيد الله بن معاذ، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حماد ابن سلمة به موقوفا على سلمان. وإسناده صحيح، وله حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي". وانظر: الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية (٩٠٦/٣).

(٢) جاء من طريقين عن ابن مسعود رضي الله عنه: **(الأول)** رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٥٤ ـ ٢٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٥٢٠/٢ ـ ١٢٠٣)، [الآيات التي يحتج بها على=

مدحضة مزلة) بمرفوع ابن مسعود ﷺ، وبلاغ أبي سعيد ﷺ المتقدم عند مسلم، وبموقوف سلمان ﷺ الصحيح الذي له حكم الرفع.

= الجهمية من القرآن]، وأبو نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٢٩٧ ـ ٢٧٨)، [امتياز المنافقين يوم القيامة من المؤمنين بالسجود]، والطبراني في المعجم الكبير (٩/٣٥٨ ـ ٩٧٦٣)، والدارقطني في كتاب رؤية الله (٢٦٤ ـ ١٦٢) (٢٦٦ ـ ١٦٣)، [ذكر الرواية عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ]، وابن منده في الإيمان (٢/٨١٩ ـ ٨٤٤)، [ذكر وجوب الإيمان برؤية الله ﷻ]، والبيهقي في كتاب البعث (٢٥٢ ـ ٤٣٤)، [باب آخر من يدخل الجنة]، والحاكم في المستدرك (٤/٦٣٢ ـ ٨٧٥١)، [كتاب العلم]، رووه من وجهين: من طريق أبي خالد يزيد بن عبد الرحمن الدالاني، ومن طريق أبي عبد الرحيم خالد بن أبي يزيد عن زيد بن أبي أنيسة، كلاهما (الدالاني، وبن أبي أنيسة) عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله ﷺ، إلا أن لفظ الدالاني: «فيمر وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٍ»، ولفظ زيد بن أبي أنيسة: «وَالرَّبُّ ﷻ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَمُرَّ فِي النَّارِ، فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٍ». **(الثاني)** رواه ابن عدي في الكامل (٦/٤٥٤) في ترجمة أبي طيبة، والدارقطني في رؤية الله (٢٥٨ ـ ١٦٠)، [ذكر الرواية عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ]، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٣/٥٣٧ ـ ٨٤٢)، والسهمي في تاريخ جرجان (ص: ٣٥٠)، من طريق أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبيه ابن مسعود بلفظ: «وَمَضَى النُّورُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَبَقِيَ أَثَرُهُ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ»، فأسقط فيه مسروقاً. وانظر حادي الأرواح لابن القيم (ص: ٣٠٦). قلت: الحديث صحيح، فالإسناد الأول فيه الدلاني (ميزان الاعتدال: ٤/٤٣٢) صدوق مختلف فيه، وفي الطريق الثاني خالد بن أبي يزيد يرويه عن ابن أبي أنيسة وهو ثقة (تهذيب الكمال: ٨/٢١٧). لكن الأخير فيه أبو طيبة (ميزان الاعتدال: ٣/٣١٢) ضعيف، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، بينهما مسروق. قلت: ويعضده ما روى الطبراني في المعجم الكبير (٩/٢٠٣ ـ ٨٩٩٢) من طريق عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن ابن مسعود ﷺ موقوفاً وله حكم الرفع: "يُوضَعُ الصِّرَاطُ عَلَى سَوَاءِ جَهَنَّمَ مِثْلَ حَدِّ السَّيْفِ الْمُرْهَفِ، مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ". قال المنذري في الترغيب (٤/٢٣٠): "إسناده حسن"، فثبت أن الصراط أحد من السيف مدحضة مزلة، ثبتنا الله والمسلمين عليه حتى نمر كالبرق.

* **م الثانية:** في قول المصنف: "**ثم الإيمان بالبعث والصراط**": أي أنه يجب على المسلم التصديق بهذا الجسر الذي ينصب على متن جهنم، لدلالة القرآن والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة عليه، أما دلالته في القرآن، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، وفي "الصحيحين" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، فَيَلِجَ النَّارَ، إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ»(١). واللفظ للبخاري، وقال بعده: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾. وفي مسلم عن أُمِّ مُبَشِّرٍ: أنَّ النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا، قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]»(٢)، ومن ثم فَسَّر ابن مسعود وغيره الورود بالمرور على الصراط، وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن يُنَجَّوْنَ منها. والصواب الأول(٣).

* **م الثالثة:** قال المصنف: "**وشعار المؤمنين يومئذٍ: سلّم سلّم**"، هذا يشعر بخطورة المرور على الصراط، وأنه لا يجوزه إلا أهل الإيمان دون غيرهم، وفي هذه المسألة ثلاثة أصول:

ـ **(الأصل الأول)**: أنه لا يمر على الصراط إلا المؤمنون بالله ورسوله

---

(١) صحيح البخاري (٢/٧٣ ـ ١٢٥١)، [باب فضل من مات له ولد فاحتسب]، كتاب الجنائز، ومسلم (٤/٢٠٢٨ ـ ٢٦٣٢)، كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح مسلم (٤/١٩٤٢ ـ ٢٤٩٦)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

(٣) انظر: تفسير الطبري جامع البيان (١٨/٢٣٠ ـ ٢٣٢)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٥٣٥).

من أتباع الرسل، لذا فالناس في هذا الموقف ثلاثة أقسام:

* **القسم الأول**: المشركون الكفار، وهؤلاء قسمان:

١ ـ الذين كانوا يعبدون غير الله من الأصنام والشمس والقمر، فهؤلاء يتبعون آلهتهم فيردون النار، كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه الطويل في ذكر الحشر، قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ»، رواه الشيخان واللفظ للبخاري[(١)]، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقوله عن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].

٢ ـ اليهود والنصارى الذين يشركون بالله بعبادة الأنبياء والصالحين فهؤلاء لا يقدمهم من عبدوهم دون رضاهم؛ لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، بل يردون وحدهم، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه الآنف: «حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ:

---

(١) رواه البخاري (٩/١٢٩ ـ ٧٤٣٩) في كتاب التوحيد، [باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾]، ومسلم (١/١٦٧ ـ ١٨٣)، كتب الإيمان.

كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ».

❊ **القسم الثاني**: المنافقون الذين يبقون مع المؤمنين لكونهم لم يعبدوا غير الله لكنهم أبطنوا الكفر، فهؤلاء قال فيهم ﷺ في الحديث الآنف عن أبي سعيد رضي الله عنه: «فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»، ثم يمشون جميعاً فتلقى عليهم ظلمة شديدة، فيعطون نوراً يمشون به، فيطفأ نور المنافقين، فينادون المؤمنين أن ينتظروهم ليمشوا بنورهم، فيقال: ارجعوا وراءكم، ويضرب بالسور الذي ذكره الله بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٣ ـ ١٥]، عندئذ يؤخذ بالمنافقين إلى النار.

❊ **القسم الثالث**: عصاة المؤمنين الذين يجوزون على الصراط مع إخوانهم، منهم من يسقط في النار ليطهر من ذنوبه ثم يخرج إلى الجنة، وهم من قال فيهم ﷺ في الحديث الآنف عن أبي سعيد رضي الله عنه: «فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ المُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا

أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا». والمكدوس هو المدفوع من ورائه فسقط، إلا إن القسمين الأولين خالدان في النار، وأما القسم الثالث فخارج لا محالة متى ما شاء الله برحمة منه وفضل.

❊ **القسم الرابع**: هم خلص أهل الإيمان الذين يجوزون الصراط.

ـ **(الأصل الثاني)**: كيفية المرور على الصراط: فالمؤمنون مع نجاتهم جميعاً إلا أنهم متفاوتون في المرور من وجهين:

١ ـ أنهم متفاوتون في سرعة مرورهم على الصراط، مع تفاوتهم في السلامة من خدوش الخطاطيف والكلاليب والحسك حسب أعمالهم الصالحة وتهاونهم في حدود الله، فمنهم ناج، ومنهم المخدوش، كما في حديث أبي سعيد ﵁ الآنف أن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا».

٢ ـ أن سرعتهم بحسب ما يعطيهم الله من النور المرتب على قدر أعمالهم الصالحة: ففي حديث ابن مسعود ﵁: «فَيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ دُونَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ، فَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ

السَّيْفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، قَالَ: فَيُقَالُ: انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ». صححه الحاكم، وابن منده، والذهبي، وابن حجر، والبوصيري[(١)].

(١) الحديث **رواه المنهال بن عمرو**، واختلف عليه فيه: (١) رواية يزيد بن عبد الرحمن الدالاني ويزيد بن أبي أنيسة: خرج حديثهما عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٥٢٠ ـ ١٢٠٣)، وأبو نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٢٩٧ ـ ٢٧٨)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/٥٨٤)، والشاشي في مسنده (١/٤٠٦ ـ ٤١٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/٣٥٨ ـ ٩٧٦٣)، والدارقطني في كتاب رؤية الله (٢٦٤ ـ ١٦٢) (٢٦٦ ـ ١٦٣)، وابن منده في الإيمان (٢/٨١٩ ـ ٨٤٤)، والحاكم في المستدرك (٤/٦٣٢ ـ ٨٧٥١)، والبيهقي في كتاب البعث (٢٥٢ ـ ٤٣٤)، كلهم من طريق (الدالاني، وابن أبي أنيسة) عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن مسروق بن الأجدع، عن ابن مسعود مرفوعاً. قال الدارقطني في العلل (٥/٢٤٤ ـ ٨٥٤): "ورفعه زيد بن أبي أنيسة من أوله إلى آخره، رفعه أبو خالد الدالاني في آخره". **وخالفهما الأعمش**: خرج حديثه أبو نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٣٠٥ ـ ٢٨١)، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات (٢/٧٩٤ ـ ١١٠٤)، والدارقطني في كتاب رؤية الله (٢٦٧ ـ ١٦٤)، من طرق عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة وقيس بن السكن، عن عبد الله رضي الله عنه موقوفاً بنحو حديث الدالاني، ولم يذكر مسروقاً. قال المروزي بعده: "ولم يرفعه". **وخالفهم كذلك جميعاً إدريس الأودي**: روى حديثه الحاكم في المستدرك (٢/٥٢٠ ـ ٧٨٥)، من طريق عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن، عن عبد الله رضي الله عنه. قال الدارقطني في العلل (٥/٢٤٤ ـ ٨٥٤): "عن عبد الله موقوفًا، ولم يذكر فيه أبا عبيدة ولا مسروقًا".

وقد رجح الدارقطني الحديث من الطريق الأول فقال في العلل (٥/٢٤٤ ـ ٨٥٤) "والصحيح حديث أبي خالد الدالاني وزيد بن أبي أنيسة، عن المنهال، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن ابن مسعود مرفوعًا". وصححه الحاكم، وابن منده، والذهبي في الأربعين في الصفات (ص: ١٢٢)، وحسنه في العلو للعلي الغفار (٩١ ـ ٢١٩)، بينما قال في تعليقه على تصحيح الحاكم (٤/٦٣٢ ـ ٨٧٥١): "ما أنكره حديثًا على جودة إسناده". بينما صحح رواية الأعمش عن المنهال بن عمرو موقوفاً، بإسقاط مسروق: ابن حجر في المطالب العالية (١٨/٤٩٢ ـ ٤٥٣٩)، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٨/١٥٦ ـ ٧٦٨٤). والراجح الأول=

ـ **(الأصل الثالث)**: أن أول من يجوز الصراط هو رسول ﷺ ثم أمته: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه، يقول النبي ﷺ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»(١). وفيها أن الأنبياء ومنهم نبينا على جانبي الصراط، ففي مسلم عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما، قال ﷺ: «وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ، يَقُولُ: رَبِّ! سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»(٢).

* وأما قول المصنف "**وشعار المؤمنين يومئذٍ: سلّم سلّم**"، فيدل عليه ما رواه الترمذي واستغربه، والحاكم وصححه عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شِعَارُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»(٣)، لكن هذا مع ضعف إسناده فهو معارض لما تقدم قريباً

= المرفوع على نكارة في بعض متنه؛ لأن المنهال بن عمرو الذي هو مدار غالب الأسانيد وإن كان صدوقًا إلا أنه له أوهام وغرائب (تهذيب الكمال: ٢٨/٥٧٢). وقد تقدم قريباً في ذكر الصراط أنه «كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مَزِلَّةٍ» روايته من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه مرفوعاً، وفيه أبو طيبة هو عيسى بن سليمان الجرجاني ضعيف. وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، بينهما مسروق.

(١) رواه البخاري (٩/١٢٨ ـ ٧٤٣٧)، في كتاب التوحيد، [باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾]، ومسلم (١/١٦٣ ـ ١٨٢)، كتاب الإيمان.

(٢) صحيح مسلم (١/١٨٦ ـ ١٩٥)، كتاب الإيمان.

(٣) رواه الترمذي (٤/٦٢١ ـ ٢٤٣٢)، [باب ما جاء في شأن الصراط]، أبواب صفة القيامة، وعبد بن حميد في المنتخب (١٥١ ـ ٣٩٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٥٣٠ ـ ٣٣٥٧٧)، [باب الشعار]، كتاب السير، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢/٣٢٢)، وابن حبان في المجروحين (٢/٥٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٤٢٤ ـ ١٠٢٥)،=

عن أبي هريرة رضي الله عنه في "الصحيحين"، قال ﷺ: «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». ومع ذلك حاول الحافظ ابن حجر أن يجمع بين هذين الحديثين، فقال: "ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به، بل تنطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلام، فسمي ذلك شعارًا لهم، فبهذا تجتمع الأخبار"(١).

* **م الرابعة**: اتفق أهل القبلة على إثبات الصراط على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم يوصل إلى الجنة، وأنكر هذا طائفة من المعتزلة زعماً منهم أنه لا يمكن عبوره بهذه الصفة، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق مجازي يعبر عن الطريق إلى الجنة والنار، وهذا من أبطل الباطل وردٌّ لما تواتر عن رسول الله ﷺ وأجمع عليه علماء الأمة سلفاً وخلفاً، وليس العبور على الصراط بأعجب من ما أخبر الله عنه من الخلق والموت والبعث، بل في "الصحيحين" سئل النبي ﷺ كيف يحشر الكافر على وجهه كما في قوله تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء: ٩٧]، فقال ﷺ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى

= وابن عدي في الكامل (٤٩٦/٥)، والحاكم في المستدرك (٤٠٧/٢ ـ ٣٤٢٢)، [تفسير سورة مريم]، كتاب تفسير القرآن، والبغوي في شرح السنة (١٤٩/١٥ ـ ٤٣٢٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٤٣٤/٢ ـ ١٥٣١)، كلهم من عبد الرحمن ابن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن المغيرة بن شعبة رفعه، وهو حديث منكر، قال أحمد في "العلل" (٣٥٣/٢): "وهو الذي يحدث عن النعمان بن سعد، عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ أحاديث مناكير ليس هو بذاك في الحديث"، وذكره العقيلي وابن حبان وابن عدي في الضعفاء وأوردوا حديثه هذا كما تقدم، والنعمان مجهول، قال البخاري (التاريخ الكبير (٧٨/٨): "لم يرو عنه إلا عبد الرحمن بن إسحاق".

(١) فتح الباري (٤٥٢/١١).

الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». وفي الترمذي: «أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ»(١).

* م الخامسة: أن من قصر بطاعة الله قصر به ذلك عن المرور على الصراط، ففي أثر ابن مسعود رضي الله عنه عن آخر رجلٍ يمر على الصراط قال: «ثُمَّ يَكُونُ آخِرُهُمْ رَجُلاً يَتَلَبَّطُ عَلَى بَطْنِهِ، قَالَ: فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! لِمَاذَا أَبْطَأْتَ بِي؟ فَيَقُولُ: لَمْ أُبْطِئْ بِكَ إِنَّمَا أَبْطَأَ بِكَ عَمَلُكَ»(٢)، قال ابن رجب وذكره: "من لم يستقم سيره عَلَى هذا الصراط المستقيم في الدُّنْيَا، بل انحرف عنه إما إِلَى

(١) صحيح البخاري (٦/١٠٩ ـ ٤٧٦٠)، [باب قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٤/٢١٦١ ـ ٢٨٠٦)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) رواه بن أبي شيبة في المصنف (٧/٥١١ ـ ٣٧٦٣٧)، [ما ذكر في فتنة الدجال]، كتاب الفتن، وحنبل بن إسحاق في كتاب الفتن (١٥٥ ـ ٤٤)، وهناد في كتاب الزهد (١/١٩٨ ـ ٣٢٢)، [باب الصراط]، والطبري في تفسيره جامع البيان (١٧/٥٢٧)، وأبو نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٣٠٧ ـ ٢٨٢)، [امتياز المنافقين يوم القيامة من المؤمنين بالسجود]، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢/٣١٤) في ترجمة أبي الزعراء، والطبراني في المعجم الكبير (٩/٣٥٤ ـ ٩٧٦١)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٤١ ـ ٨٥١٩)، [كتاب الفتن والملاحم]، والبيهقي في البعث (٣٢٦ ـ ٥٩٨)، [باب دعاء أهل النار بالويل والثبور والزفير والشهيق]، من طريق الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود موقوفاً. وصححه الحاكم، وأعله البخاري فقال (التاريخ الكبير: ٥/٢٢١): "روى عن ابن مسعود رضي الله عنه في الشفاعة: ثم «يقوم نبيكم رابعهم»، والمعروف عن النبي ﷺ: (أنا أول شافع)، ولا يتابع في حديثه». وذكر أبا الزعراء هذا العقيلي وابن عدي في الضعفاء، ومراد البخاري أن في حديث أبي الزعراء بعده: «ثُمَّ يَأْذَنُ اللهُ فِي الشَّفَاعَةِ فَيَكُونُ أَوَّلُ شَافِعٍ جِبْرِيلُ ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللهِ ثُمَّ مُوسَى أَوْ قَالَ عِيسَى، ثُمَّ يَقُومُ نَبِيُّكُمْ ﷺ رَابِعًا». والثابت قوله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ»، خرجه مسلم (١/١٨٨ ـ ١٩٦).

فتنة الشبهات أو إِلَى فتنة الشهوات، كان اختطاف الكلاليب له عَلَى متن جهنم بحسب اختطاف الشبهات أو الشهوات له عن هذا الصراط المستقيم، كما في حديث أبي هريرة: «تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ[(١)]» "[(٢)].

ومما جاء في أثر مراعاة حدود الله وأوامره في المرور على الصراط ما روى مسلم عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما، أنه ﷺ قال: «تُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ»[(٣)]. قال الحافظ ابن حجر: "لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان هناك للأمين والخائن، والمواصل والقاطع، فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل"[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (١/١٦٠ ـ ٨٠٦)، [باب فضل السجود]، كتاب الآذان، ومسلم (١/١٦٣ ـ ١٨٢)، كتاب الإيمان.

(٢) مجموع رسائله (٤/٣٤٦).

(٣) رواه مسلم (١/١٨٦ ـ ١٩٥)، كتاب الإيمان.

(٤) فتح الباري (١١/٤٥٣).

قال المصنف:

"ثم الإيمان بالموازين، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال عبد الله بن مسعود: "يؤتى بالناس إلى الميزان فيتجادلون عنده أشد الجدال". وقال النبي ﷺ: (الميزان بيد الرحمن يخفضه ويرفعه).

انتقل المصنف بقوله: "**ثم الإيمان بالموازين**" إلى ذكر نوع من أنواع تقييم الأعمال في يوم الحساب، وهو الميزان، والميزان في اللغة: هو الذي تقدر به الأشياء خفة وثقلاً، وهو في الشرع: ميزان حقيقي يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد، وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف:

ـ فأما الكتاب: فمنها ما ذكره المؤلف في قوله تبارك تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨ ـ ٩].

وأما السنة فقوله ﷺ في "الصحيحين" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»(١).

(١) صحيح البخاري (٨/٨٦ ـ ٦٤٠٦)، [باب فضل التسبيح]، كتاب الدعوات، ومسلم (٤/٢٠٧٢ ـ ٢٦٩٤)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

ـ ومن السنة ما رواه مسلم عن أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ»[١].

ـ وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزانِ المؤمِنِ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»، صححه الترمذي[٢].

وأما ما ذكره المصنف عن ابن مسعود: "يجاء بِالنَّاسِ يَوْم الْقِيَامَة إِلَى الْمِيزَان فيتجادلون عِنْده أَشد الْجِدَال"، فقد رواه ابن أبي شيبة في "المصنف"، وعبد الله بن أحمد في "السنة"، والدينوري في "المجالسة وجواهر العلم"، وابن المقرئ في "معجمه"، وإسناده قوي، لولا انقطاع فيه[٣].

وأما حديث الميزان بيد الرحمن، فقد رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه، قال: قَالَ ﷺ: «يَدُ اللهِ مَلأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ.

---

(١) صحيح مسلم (١/٢٠٣ ـ ٢٢٣)، كتاب الطهارة.

(٢) رواه أحمد (٤٥/٥٠٩ ـ ٢٧٥١٧) وأبو داود (٤/٢٥٣ ـ ٤٧٩٩)، [باب في حسن الخلق]، كتب الأدب، والترمذي (٤/٣٦٢ ـ ٢٠٠٢)، [باب ما جاء في حسن الخلق]، أبواب البر والصلة. وهو كما قال الترمذي.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٥٩ ـ ٣٤١٩٦)، [ما ذكر فيما أعد لأهل النار وشدته]، كتاب ذكر النار، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/٤٧٢ ـ ١٠٧٧)، [الرد على الجهمية]، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١/٣٠٢ ـ ١٠)، وابن المقرئ في المعجم (٣٩٢ ـ ١٢٧٧)، من طريق شعبة، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن أبي الأحوص، عن عبد الله رضي الله عنه. وفيه شمر بن عطيه ثقه لكن الأعمش مدلس، وقد قال الإمام أحمد في مسائل حرب الكرماني في النكاح (٣/١٢٣٢): "الأعمش لم يسمع من شمر".

وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»، رواه مسلم بلفظ «وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْقَبْضُ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»(١). وفي ذكر الميزان مسائل:

* **م الأولى:** أهل السنة والجماعة يثبتون حقيقة الميزان وأن له لساناً وكفتين:

ـ أما ذكر الكفتين ففيها حديثان:

أحدها: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي وحسنه وصححه ابن حبان والحاكم بذكر صاحب البطاقة التي فيها الشهادتان عنه رضي الله عنه، قال ﷺ: «فتُوضع السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتَ السِّجِلَّاتُ، وثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، قَالَ: فَلَا يَثْقُلُ اسْمَ اللهِ شَيْءٌ»، وهو الأصل في الباب(٢).

(١) رواه البخاري (٩/١٢٢ ـ ٧٤١١)، [باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾]، كتاب التوحيد، ورواه مسلم (٢/٦٩١ ـ ٩٩٣)، كتاب الزكاة.

(٢) رواه أحمد (١١/٥٧٠ ـ ٦٩٩٤)، والترمذي (٥/٢٤ ـ ٢٦٣٩)، [باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله]، أبواب الإيمان، وابن ماجه (٢/١٤٣٧ ـ ٤٣٠٠)، [باب ذكر الحوض]، كتاب الزهد، وابن حبان (١/٤٦١ ـ ٢٢٥)، [ذكر البيان بأن الله جل وعلا بتفضله قد يغفر لمن أحب من عباده ذنوبه]، والطبراني في المعجم الكبير (١٣/١٩ ـ ٣٠)، والحاكم في المستدرك (١/٤٦ ـ ٩)، كتاب الإيمان، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٤٤٨ ـ ٢٧٩)، [فصل: وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال]، من طريق الليث بن سعد، عن عامر ابن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن ابن عمرو رضي الله عنهما رفعه. وتابع الليث على الرفع: عبد الله بن لهيعة، فرواه عن عامر مرفوعاً به خرج حديث أحمد (١١/٦٣٧ ـ ٧٠٦٦)، والترمذي (٥/٢٥) في الموضع السابق، وخالفهما عمرو بن الحارث المصري عن عامر بن يحيى فأوقفه على ابن عمرو خرج حديثه ابن عبد الحكم (ص: ١٦٦)، والحربي في الغريب (٢/٨٦٧). والصواب الرفع، وقد صححه ابن حبان والحاكم وجماعة، ولم يضعفه أحد فيما وقفت عليه.

الثاني: حديث سلمان ﷺ الذي رواه ابن أبي الدنيا واللالكائي بزيادة، قال: «يُوضَعُ الْمِيزَانُ وَلَهُ كِفَّتَانِ، لَوْ وُضِعَ فِي أَحَدِهِمَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَوَسِعَهُ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، قَالَ فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ» وهو على شرط مسلم، إلا أن أكثر الرواة لم يذكروا لفظ الكفتين، قال بعضهم: «وَلَوْ وُضِعَ فِي كِفَّتِهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ لَوَسِعَتْهَا»، وقال بعضهم: «فَلَوْ وُضِعَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ» دون ذكر اللفظين(١).

فثبت عند أهل السنة أن أعمال العباد الحسنة والسيئة توزن في هاتين الكفتين، ويحصي أدق الأعمال فتوضع عليها كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(١) رواه المروزي في زوائد الزهد والرقائق لابن المبارك (١/٤٧٨ ـ ١٣٥٧)، [باب فضل ذكر الله ﷻ]، وابن أبي الدنيا (أسنده في النهاية في الفتن والملاحم: ٢/٣٣، ٢/١٢٩)، والآجري في الشريعة (٣/١٣٢٨ ـ ٨٩٤، ٨٩٥)، [كتاب الإيمان بالميزان]، وابن الأعرابي في معجمه (٢/٨٧٦ ـ ١٨٢٧)، والحاكم في المستدرك (٤/٦٢٩ ـ ٨٧٣٩)، [كتاب العلم]، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٦/١٢٤٤ ـ ٢٢٠٨، ١٢٥١ ـ ٢٢٢١)، [سياق ما روي في أن الإيمان بأن الحسنات والسيئات توزن بالميزان واجب]، وابن أبي زمنين في أصول السنة (١٦٥ ـ ٩٣)، من طريق: ابن مهدي، والقطان، ومعاذ العنبري، وأبي نصر التمار، والأسود بن عامر، وهدبة بن خالد، كلهم عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان. وتفرد أبو نصر التمار وهو ثقة بلفظ «يُوضَعُ الْمِيزَانُ وَلَهُ كِفَّتَانِ» عند اللالكائي وابن أبي الدنيا، لكن عند اللالكائي تصحف اسم (ثابت) إلى (ليث) في الموضعين، ورفعه هدبة وحده فوهم، وصححه الحاكم من طريقه فوهم أيضاً.

ـ أما ما ذكر في لسان الميزان: فقد أخرجه البيهقي في "الشعب" من طريق الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ»، وهو إسناد تالف(١). وروى اللالكائي عن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، قال: "ذُكِرَ الْمِيزَانُ عِنْدَ الْحَسَنِ، فَقَالَ: لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ"(٢). قلت: لم يثبت ذكر اللسان مرفوعاً ولا موقوفاً، لكن عليه إجماع أهل السنة، قال أبو إسحاق الزجاج: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال"(٣).

* **م الثانية:** تعدد الموازين: اختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد:

ـ **(القول الأول)**: أنه متعدد هو بحسب الأمم أو الأفراد أو الأعمال؛

---

(١) أسنده البيهقي في شعب الإيمان (١/٤٤٧ ـ ٢٧٨)، [فصل: وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال]، وأبو الشيخ في تفسيره (كما في الدر المنثور: ٣/٤١٨، والبدور السافرة للسيوطي: ص٢٢٩) إلى الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال ابن أبي زمنين (أصول السنة: ص ١٦٦): "رأيت في تفسير الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قال: هو ميزان له لسان وكفتان". والكلبي متهم بالكذب، بل ثبت عن سفيان الثوري أنه قال (كما في التاريخ الكبير للبخاري: ١/١٠١): " قال: قال لي الكلبي: قال لي أبو صالح: كل شئ حدثتك فهو كذب". وقال ابن حبان (المجروحين: ٢/٢٥٥): "وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، يروي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس".

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦/١٢٤٥ ـ ٢٢١٠)، [سياق ما روي في أن الإيمان بأن الحسنات والسيئات توزن بالميزان واجب].

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٥٣٨).

لأنه ورد في القرآن مجموعًا في سبعة مواضع؛ كقوله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

ـ **(القول الثاني)**: أنه ميزان واحد؛ لأنه ورد في الحديث مفردًا كما تقدم في حديث «ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ». وحديث: «وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ»، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون.

والنصوص وإن كانت محتملة: فالذي يظهر رجحان القول الثاني من وجهين:

أحدهما: تصريح النبي ﷺ بأن الميزان بيد الرحمن، فيظهر منه أنه ميزان عظيم توزن به أعمال الأمم والأفراد، وهو ظاهر ما نقل عن السلف، لحديث سلمان رضي الله عنه الآنف موقوفاً وله حكم الرفع، قَالَ: «يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَوْ وُضِعَ فِي كِفَّتِهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ».

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، فجمع هنا الموازين مع أنها لشخص واحد، مما يدل على أن الجمع لا يراد به التعدد، وإنما باعتبار تعدد الأعمال.

* **م الثالثة:** حقيقة ما يوزن: اختلف أهل العلم في الموزون في ذلك اليوم على أقوال:

ـ **(القول الأول)**: أن الذي يوزن في ذلك اليوم الأعمال نفسها، وأنها تكون أعراضاً فتوضع في الميزان ويدل على ذلك الأحاديث المتقدمة: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ». وحديث: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ

الْمِيزَانَ»، وحديث: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزانِ المؤمِنِ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ».

ـ (القول الثاني): أن الذي يوزن هو العامل نفسه، فقد دلَّت النصوص على أن العباد يوزنون في يوم القيامة، فيثقلون بإيمانهم، لا بضخامة أجسامهم؛ لما روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ ﷺ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»[(١)]، وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال عن ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁: «تَضْحَكُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»، رواه أحمد وغيره وصححه ابن حبان، وهو إسناد حسن، وله شاهدان يرتقي بهما إلى مرتبة الصحة[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٦/٩٣ ـ ٤٧٢٩)، [باب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٤/٢١٤٧ ـ ٢٧٨٥)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) رواه أحمد (٧/٩٨ ـ ٣٩٩١)، والبزار (٥/٢٢١ ـ ١٨٢٧) في البحر الزخار، وأبو يعلى (٩/٢٠٩ ـ ٥٣١٠) في مسنده، وابن حبان في صحيحه (١٥/٥٤٦ ـ ٧٠٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/٧٨ ـ ٨٤٥٢)، وفيه عاصم بن بهدلة صدوق حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. وفي الباب حديث علي ﵁ رواه أحمد (٢/٢٤٣ ـ ٩٢٠)، وابن أبي شيبة (٦/٣٨٤ ـ ٣٢٢٣٢)، [ما ذكر في عبد الله بن مسعود ﵁]، كتاب الفضائل، والطبراني في الكبير (٩/٩٧ ـ ٨٥١٦)، وأبو يعلى في مسنده (١/٢٧٥ ـ ٥٣٥)، وفيه أم موسى سُرّية علي عن علي ﵁، قال الدارقطني (سؤالات البرقاني: ٧٥ ـ ٥٨٥): "حديثُها مستقيم يخرج اعتباراً"، ووثقها العجلي (الثقات: ٢/٤٦٢)، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. قال الهيثمي (مجمع الزوائد: ٩/٢٨٨): "رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة". وروى نحوه عن قرة بن إياس المزني ﵁، روى حديثه ابن الجعد (١٦٨ ـ ١٠٩٢)، والبزار في البحر الزخار (٨/٢٤٥ ـ ٣٣٠٥)، وصححه=

ـ **(القول الثالث)**: أن الذي يوزن صحائف الأعمال، لما تقدم في حديث البطاقة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «فتُوضع السِّجِلَّاتُ فِي كفةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كفةٍ، فَطَاشَتَ السِّجِلَّاتُ، وثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ».

والظاهر أنه لا يمنع أن يكون الوزن للعامل مع عمله وصحف أعماله، لكن الذي يوزن هو الحسنات والسيئات وبه دخول الجنة والنار كما هو ظاهر كثير من الآيات، ولا يمنع أن يكون ذلك حقيقة لصحائف الأعمال التي تثقل وتخف بحسب المكتوب فيها، فيكون وزن الصحائف متضمنًا لوزن الأعمال لا مستقلًّا عنها، فإذا جاء نص بوزن أحدهما قصد به الآخر. أما ما جاء من وزن لصاحب العمل فالمراد به بيان قدره أو ضعته.

❊ **م الرابعة**: أن أهل السنة والجماعة أثبتوا الميزان بلسانه وكفتيه على حقيقته، قال الإمام أحمد: "والميزان حق توزن به الحسنات والسيئات كما يشاء الله أن توزن"[(١)]. وقال أيضًا: "والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء: يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد، كما جاء فِي الأثر، والإيمان به والتصديق، والإعراض عمن رد ذلك وترك

= الحاكم (٣/٣٥٨ ـ ٥٣٨٥)، [ذكر مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]، كتاب معرفة الصحابة، من طريق معاوية بن قرة، عن أبيه به. لكن اختلف فيه، فروي عن معاوية بن قرة مرسلاً دون ذكر أبيه (مسند الطيالسي: ٢/٤٠٣ ـ ١١٧٤)، والصحيح بذكر أبيه كما روى الأكثر غير الطيالسي، وهو مع ذلك مرسل صحابي؛ لأن قرة بن إياس من صغار الصحابة لم يدرك هذه القصة، ومرسل الصحابي حجة. وانظر (إرواء الغليل: ١/١٠٤). فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح.

(١) كتاب السنة (ضمن شذرات البلاتين: ص٤٧)، ورسالة الاصطخري في طبقات الحنابلة (١/٢٧).

مجادلته"[١]. وخالف المعتزلة، فقالوا: نثبته لكن ليس بميزان حقيقي، بل هو مجاز، والمراد به في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ أي العدل، ويرد عليهم بأمور:

١ ـ أن هذا التحريف الباطل تأباه نصوص الوحيين، ففي قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وفي قوله ﷺ عن ساقي ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»، بيان واضح؛ فالله تعالى ذكر مثقال حبة الخردل في الميزان، والنبي ﷺ ذكر ثقل ساقي ابن مسعود رضي الله عنه فيه، ففيه دلالة صريحة على الوزن حقيقة لا مجازاً، ثم هل يصح في لغة العرب أن يقال: إن ساقي ابن مسعود أثقل في العدل من جبل أحد؟.

٢ ـ الميزان في لغة العرب: هو ما يوزن به الأشياء، وهو غير العدل، إذ لو كان بمعنى العدل لما احتاج الشارع لذكر أن له كفتين تخف وتثقل؛ كما في قوله ﷺ «فتُوضع السِّجِلَّاتُ فِي كفةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كفةٍ، فَطَاشَتَ السِّجِلَّاتُ، وثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ»، إذ العدل لا يقال فيه تلك الصفات، فصح أنه ميزان حقيقي يزن الله فيه أعمال العباد.

٣ ـ لو جاز حمل الميزان على العدل، لجاز حمل الصراط على الدين الحق، والشياطين والجن على قوى الشر المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة كما تقول الزنادقة، وهذا ردٌّ لما جاء به الصادق.

(١) فيما سمعه منه عبدوس في رسالته كما في طبقات الحنابلة (٢٤٢/١).

قال المصنف:

"ثم الإيمان بالحوض والشفاعة، وقال النبي ﷺ: (إن لي حوضاً ما بين أيلة وعدن ـ يريد أن قدره ما بين أيلة وعدن ـ أباريقه عدد نجوم السماء)، وقال أنس بن مالك: "من كذّب بالحوض لم يشرب منه"".

يقرر المصنف بقوله: "**ثم الإيمان بالحوض**" ما يجب أن يعتقده المسلم من الإيمان بالحوض، ويتضمن الإيمان به مسائل:

* **م الأولى:** المقصود بالحوض الذي هو مجتمع الماء، وهو هنا حوض للنبي ﷺ ينزل ماؤه من الكوثر في عرصات القيامة، ترد عليه أمته يوم القيامة إكرامًا لنبينا محمد ﷺ وأمته. طوله شهر وعرضه شهر، وزواياه سواء، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، يرده المؤمنون من أمة محمد ﷺ، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، ويصب فيه ميزابان من الجنة؛ كما روى مسلم عن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قال ﷺ: «يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ»[(١)]. وزاد في حديث ثوبان رضي الله عنه: «أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»[(٢)].

ـ وقد دلت عليه السنة التي بلغت حد التواتر، فرواه ما يزيد على خمسين صحابياً، قال الحافظ ابن حجر، وذكر رواة الحوض من الصحابة: "فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفساً، وزاد عليه النووي ثلاثة،

(١) صحيح مسلم (٤/١٧٩٨ ـ ٢٣٠٠)، كتاب الفضائل.
(٢) صحيح مسلم (٤/١٧٩٩ ـ ٢٣٠١)، كتاب الفضائل.

وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكروه سواء فزادت العدة على الخمسين.. وبلغني أن بعض المتأخرين وصلها إلى رواية ثمانين صحابياً"(١).

ـ وقد أجمع السلف أهل السنة على ثبوته، قال الإمام أحمد: "وحوض محمد ﷺ حق ترده أمته"(٢). وقال القاضي عياض: "أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه "(٣).

ـ ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: قَالَ، قَالَ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا». وفي رواية مسلم: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ»(٤). وهو موجود الآن؛ لما روى الشيخان عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ»(٥).

* م الثانية: اختلف العلماء هل الحوض هو الكوثر الذي أعطاه الله لنبيه ﷺ، فقيل: هو الكوثر؛ لما روى مسلم في حديث أنس رضي الله عنه، قَالَ ﷺ

(١) فتح الباري (٤٦٩/١١). وانظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني (ص: ٢٣٦).
(٢) كتاب السنة (ضمن شذرات البلاتين: ص٤٧)، ورسالة الاصطخري في طبقات الحنابلة (٢٧/١).
(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (٥٣/١٥) تحت حديث (٢٢٨٩).
(٤) صحيح البخاري (١١٩/٨ ـ ٦٥٧٩)، [باب في الحوض]، كتاب الرقاق، ومسلم (١٧٩٣/٤ ـ ٢٢٩٢)، كتاب الفضائل. ولفظ مسلم فيه: "وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ".
(٥) صحيح البخاري (٩١/٢ ـ ١٣٤٤)، [باب الصلاة على الشهيد]، كتاب الجنائز، ومسلم (١٧٩٥/٤ ـ ٢٢٩٦)، كتاب الفضائل.

عن الكوثر: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)]. والصواب أن الكوثر هو النهر الذي أعطيه رسول الله ﷺ في الجنة؛ لما روى البخاري ﵀ عَنْ أَنَسٍ ﵁، قَالَ ﷺ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ»[(٢)]. سمي الكوثر لكثرة مائه وعظم خيره. ويمكن أن يكون الميزابان اللذان يشخبان في الجنة في حديثي أبي ذر وثوبان ﵄ الآنفين من الكوثر نهر النبي ﷺ الذي في الجنة. وقد جاء صريحاً في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم عن ابن مسعود ﵁، قَالَ ﷺ: «وَيُفْتَحُ نَهَرٌ مِنَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ»، وفيه عثمان بن عمير ضعيف[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم (١/٣٠٠ ـ ٤٠٠)، كتاب الصلاة. وأصله البخاري (٨/١٢٠ ـ ٦٥٨٢) دون هذا اللفظ.

(٢) صحيح البخاري (٨/١٢٠ ـ ٦٥٨١)، [باب في الحوض]، كتاب الرقاق.

(٣) رواه أحمد (٦/٣٢٨ ـ ٣٧٨٧)، والبزار في البحر الزخار (٤/٣٣٩ ـ ١٥٣٤)، والطبري في تفسيره جامع البيان (١٧/٥٣٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/٨٠ ـ ١٠٠١٧)، من طريق سعيد بن زيد، عن عثمان بن عمير، عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، عن ابن مسعود ﵁ رفعه. ورواه الدارمي مختصراً في سننه (٣/١٨٤٥ ـ ٢٨٤٢)، [باب: في شأن الساعة]، كتاب الرقاق، والحاكم في المستدرك (٢/٣٩٦ ـ ٣٣٨٥)، [تفسير سورة بني إسرائيل]، كتاب التفسير، من طريق الصعق بن حزن، عن علي بن الحكم، عن عثمان بن عمير، عن أبي وائل، عن ابن مسعود به. وفيه علتان: الأولى: عثمان بن عمير متفق على ضعفه وتركه البعض (انظر: ميزان الاعتدال: ٣/٥٠). الثانية: الاختلاف في ذكر الراوي عن ابن مسعود، قال البزار: "وأحسب أن الصعق غلط في هذا الإسناد". وأما الحاكم فكالعادة قال: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وعثمان بن عمير هو أبو اليقظان، فتعقبه الذهبي في الحاشية بقوله: "لا، والله! فعثمان ضعفه الدارقطني، والباقون ثقات".

* م الثالثة: يرد على حوض النبي ﷺ المؤمنون من أمته فمن شرب منه لا يظمأ أبداً، وقد جاءت السنة بذكر قسمين من الناس يُرَدُّون عن الحوض:

(القسم الأول): من ليس من أمته فإنه ﷺ يردهم كما يرد الرجل في الدنيا الإبل الغريبة عن حوضه في الدنيا، ويعرف النبي ﷺ أمته بعلامة لهم ليست لغيرهم، وهي آثار الوضوء، ففي "الصحيحين" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالاً كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الإِبِلِ»(١). زاد مسلم عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ»(٢).

(القسم الثاني): أقوام من أمته أحدثوا بعد النبي ﷺ في دينه من المحدثات والبدع، يعرفهم ﷺ بنور الوضوء، فَيَهمُّ بمناولتهم، ثم يحال بينه وبينهم ويخبر بحالهم، فيقول لهم: سحقاً سحقاً، ففي "الصحيحين" عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ، حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٣). وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه عندهما: «فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي»(٤).

---

(١) صحيح البخاري (١١٢/٣ ـ ٢٣٦٧)، [باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه]، كتاب المساقاة، ومسلم (١٨٠٠/٤ ـ ٢٣٠٢)، كتاب الفضائل.

(٢) صحيح مسلم (٢١٧/١ ـ ٢٤٨)، كتاب الطهارة.

(٣) صحيح البخاري (١٢٠/٨ ـ ٦٥٨٢)، [باب في الحوض]، كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٠٠/٤ ـ ٢٣٠٤)، كتاب الفضائل.

(٤) صحيح البخاري (١٢٠/٨ ـ ٦٥٨٤)، [باب في الحوض]، كتاب الرقاق، ومسلم (١٧٩٣/٤ ـ ٢٢٩٠)، كتاب الفضائل.

ـ قال الحافظ ابن عبد البر: "وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه والله أعلم، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، مثل الخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم يبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع"(١).

※ م الرابعة: اختلف العلماء هل الحوض بعد الصراط أو قبله على أقوال:

(القول الأول): أن الحوض بعد الصراط، وأشار الحافظ ابن حجر إلى أن إيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه، ويستدل لذلك بأمور:

١ ـ ما روى أحمد والترمذي، عَنْ أَنَسٍ ﵁: أنه سأل النبي ﷺ أين يطلبه يوم القيامة؟ فقال: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ، قَالَ: فَإِذَا لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: "فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ، لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». صححه الضياء، وقال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ"، قلت فيه نكارة(٢).

---

(١) التمهيد: (٢٠/٢٦٢).

(٢) رواه أحمد (٢٠/٢١٠ ـ ١٢٨٢٥)، والترمذي (٤/٦٢١ ـ ٢٤٣٣)، [باب ما جاء في شأن=

وبما روى الحاكم في حديث لَقِيطِ بْنِ عَامِرٍ ﵁، وفيه: «أَلَا فَتَسْلِكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ، يَطَأُ أَحَدُكُمُ الْجَمْرَةَ، فَيَقُولُ: حَسِّ. يَقُولُ رَبُّكَ ﷻ: أَوَانُهُ. أَلَا فَتَطَّلِعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ، لَا يَظْمَأُ وَاللهِ نَاهِلُهُ أَبَدًا»[1]. فالأول جعل الحوض بعد الصراط، والثاني نص على أن من تجاوز الجسر اطلع على الحوض.

= الصراط]، أبواب صفة القيامة، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١٢٥١/٦ ـ ٢٢٢٠)، [سياق ما روي في أن الإيمان بالصراط واجب]، والضياء في المختارة (٢٤٦/٧ ـ ٢٦٩١)، من طريق حرب بن ميمون أبي الخطاب البصري، عن النضر بن أنس بن مالك، عن أبيه ﵁. وحرب مختلف فيه، وقد روى له مسلم (١٦١٤/٣ ـ ٧) حديثاً عن النضر بن أنس، واستنكر ابن عدي في ترجمته ثالثاً عن النضر أيضاً، وهو كما قال الذهبي في الميزان (ميزان الاعتدال: ٤٧٠/١): "صدوق يخطئ"، وهو ليس على شرط مسلم، بل أخرج له في المتابعات. ويؤيد عدم الاحتجاج بتفرده أن المتن هنا فيه نكارة ظاهرة، قال ابن كثير في البداية والنهاية (٤٧١/١٩): "ظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط، وكذلك الميزان أيضاً، وهذا لا أعلم به قائلاً".

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٤٨٥/٢ ـ ١١٢٠) في [باب الرد على الجهمية]، وفي زوائد المسند (١٢١/٢٦ ـ ١٦٢٠٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٨٦/١ ـ ٦٣٦)، وابن خزيمة في كتابه التوحيد (٤٦٠/٢)، والطبراني في الكبير (٢١١/١٩ ـ ٤٧٧)، والحاكم في المستدرك (٦٠٥/٤ ـ ٨٦٨٣)، من طريق عبد الرحمن بن عياش السمعي، عن دلهم بن الأسود بن عبد الله العقيلي، عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر، قال دلهم: وحدثنيه أبي: الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً. قلت: ابن عياش ودلهم وأبوه الأسود لا يعرفون، لكن ذكرهم ابن حبان في ثقاته (٣٢/٤، ٢٩١/٦، ٧١/٧)، وفي إسناده بعض الاختلاف، ومع ذلك صحح الحاكم الحديث، ونقل ابن حجر في (تهذيب التهذيب: ٣٤١/١) عن الذهبي أنه قال عن الأسود: "محله الصدق". وقال ابن القيم في (زاد المعاد: ٥٩١/٣): "رواه أئمة أهل السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول، وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد رواته". لكن قال ابن كثير في البداية والنهاية (٩٧/٥): "هذا حديث غريب جدًا، وألفاظه في بعضها نكارة". وقال الحافظ ابن حجر في "تهذيب التهذيب" في ترجمة عاصم بن لقيط (٥٧/٥): "وهو حديث غريب جدًا".

٢ ـ بما أن الصراط جسر جهنم بين الموقف والجنة، فلو كان الحوض قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض.

٣ ـ ظاهر قوله ﷺ «من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا» يدل على أن الشرب منه يقع بعد النجاة من النار؛ لأن ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب بالنار.

(القول الثاني): أن الحوض قبل المرور على الصراط، واستدل لذلك بأمور:

١ ـ ما روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ»[1]. ففي هذا الحديث دلالة صريحة على أنّ الحوض قبل الصراط؛ لأنهم لو مروا على الصراط قبل لكانوا قد نجوا من النار، ولما دفعوا إلى النار.

٢ ـ أنه لو كان الصراط أولاً لما استطاع المرتدون على أعقابهم من الوصول للحوض؛ لسقوطهم في النار، فلما وصلوا للحوض دل على أنهم لم يمروا على الصراط بعد. لذا فهم يردون عن الحوض، ثم يمرون على الصراط فيتهافتون في النار نسأل الله العافية.

٣ ـ أن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما جاء في الأحاديث فناسب تقديم الحوض لحاجتهم إلى الشرب في عرصات القيامة قبل عبور الصراط.

(القول الثالث): أن الحوض قبل الصراط ويمتد إلى ما وراءه، فيرده

(١) صحيح البخاري (٨/١٢١ ـ ٦٥٨٧)، [باب في الحوض]، كتاب الرقاق.

المؤمنون مرتين، مرة قبل الصراط ومرة بعده جمعاً بين الأدلة كما يفيده حديث لقيط رضي الله عنه الآنف قَالَ: «أَلَا فَتَسْلِكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ، يَطَأُ أَحَدُكُمُ الْجَمْرَةَ فَيَقُولُ: حَسِّ. يَقُولُ رَبُّكَ تبارك وتعالى: أَوَانُهُ. أَلَا فَتَطَّلِعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ، لَا يَظْمَأُ وَاللهِ نَاهِلُهُ أَبَدًا»، قال ابن القيم: "إذا كان بهذا الطول والسعة، فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر، فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده، فهذا في حيز الإمكان"(١).

والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الحوض قبل الصراط لأن المؤمنين يردون عليه بعد البعث عطاشاً فيشربون، ويطلب الكفار الماء، ويقولون: عطشنا ربنا فأسقنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراب، فيقال: ألا تردون، فيظنونها ماء فيتساقطون فيها. وأصح حديث في الباب حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو صريح الدلالة على أن الحوض قبل الصراط، والجواب على ما ورد من أحاديث:

ـ أما حديث أنس رضي الله عنه فغريب المتن والسند كما تقدم، لذا قال ابن كثير: "ظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط وكذلك الميزان أيضاً، وهذا لا أعلم به قائلاً، اللهم إلا أن يكون يراد بهذا الحوض حوضًا آخر يكون بعد الجواز على الصراط كما جاء في بعض الأحاديث، ويكون ذلك حوضًا ثانيًا لا يذاد عنه أحد"(٢). ومع ذلك فهو محتمل لعدم إرادة الترتيب، وإنما لبيان المواضع.

ـ وأما حديث لقيط رضي الله عنه فمع لين سنده، فهو يؤيد حديث أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) زاد المعاد (٣/٥٩٦).

(٢) البداية والنهاية (١٩/٤٧١).

بأن الحوض يكون قبل الصراط لا بعده؛ لأن الصراط إنما هو جسر ممدود على جهنم، فمن جازه سلم من النار، ويكون الحديث فيه تقديم وتأخير، ولم يقصد فيه الترتيب.

* **م الخامسة:** أورد المصنف ما يدل على خطورة عدم الإيمان بعقيدة الحوض، وهو أن منكره يمنع من الورود عليه، قال: "**وقال أنس بن مالك: من كذّب بالحوض لم يشرب منه**". وهذا ذكره المؤلف بالمعنى، وإنما جاء عنه ﵁ من وجهين أحدهما مرفوع ضعيف وهو أقرب للفظ المصنف، والآخر موقوف صحيح عنه:

الوجه الأول المرفوع: رواه يزيد بن أبان الرقاشي، عن أنس ﵁، عن النبي ﷺ أنه قال في الحوض: «وَسَيَرِدُهُ أَقْوَامٌ ذَابِلَةٌ شِفَاهُهُمْ، فَلَا يُطْعَمُونَ مِنْهُ قَطْرَةً وَاحِدَةً، مَنْ كَذَّبَ بِهِ الْيَوْمَ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ الشَّرَابَ يَوْمَئِذٍ»، رواه الأوزاعي في "مسنده"، وخيثمة بن سليمان، والبيهقي، وأبو العباس الأصم في حديثه، وابن دحيم والحربي في فوائدهما، ويزيد الرقاشي متفق على ضعفه[(١)].

الوجه الثاني الموقوف: رواه عاصم الأحول عن أنس ﵁ أنه قال: «مَنْ كذَّبَ بالشَّفَاعَةِ فَلا نَصِيبَ لَهُ فِيها، وَمَنْ كَذَّبَ بالحَوْضِ فَلَيْسَ لَهُ فِيْه نَصِيْبٌ»،

(١) رواه الأوزاعي في مسنده (انظر: التذكرة للقرطبي: ص٧١٢)، وخيثمة (انظر: الاعتصام للشاطبي: ١/١١٤)، وأبو العباس الأصم في حديثه (٦٩ ـ ٥٨)، وابن دحيم في فوائده (ح: ١٥١)، والحربي في الفوائد المنتقاة (٦١ ـ ٦١)، والبيهقي (انظر: فتح الباري: ٥٤٣٩/٧). كلهم من طريق يزيد بن أبان الرقاشي، وهو متفق على ضعفه (انظر: ميزان الاعتدال (٤/٤١٨). إلا أن لفظ الحربي: «وَمَنْ كَذَّبَ بِالْحَوْضِ فَلَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْهُ» وراويه فيه عن الرقاشي ضعيف أيضًا.

رواه هناد بن السري في كتاب "الزهد"، ومن طريقه الآجري بذكر الشطر الأول، عن أبي معاوية محمد بن خازم الضرير، عن عاصم الأحول، عن أنس رضي الله عنه. ورجاله ثقات رجال الشيخين، لذا قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" بعد أن أورد الشطر الأول من رواية سعيد بن منصور: "إسناده صحيح"[(١)]. وصح كذلك من وجه آخر من كلام أبي برزة رضي الله عنه بلفظ: «فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللهُ مِنْهُ»، رواه أحمد وأبو داود وغيرهما[(٢)].

(١) رواه هناد بن السري في الزهد (١/١٤٣ ـ ١٨٩)، [باب الشفاعة]، عن أبي معاوية، عن عاصم به، ومن طريقه خرجه الآجري في الشريعة (٣/١٢١١ ـ ٧٧٧)، [باب وجوب الإيمان بالشفاعة] مقتصراً على ذكر الشفاعة، وكذا فعل اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٦/١١٨٢ ـ ٢٠٨٨)، [سياق ما روي عن النبي ﷺ في الشفاعة لأمته]، لكن رواه من طريق ابن المبارك، عن عاصم الأحول به، بذكر الشفاعة فقط. وانظر فتح الباري لابن حجر (١١/٤٣٤) فقد عزاه لسعيد بن منصور.

(٢) رواه أحمد (٣٣/٩ ـ ١٩٧٦٣) (٣٣/٢٣ ـ ١٩٧٧٩) (٣٣/٤٣ ـ ١٩٨٠٧) (٣٣/٤٨ ـ ١٩٨١٤)، وأبو داود (٤/٢٣٨ ـ ٤٧٤٩)، كتاب السنة، [باب في الحوض]، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٢٤ ـ ٧٠٣)، (٢/٣٣٤ ـ ٧٢٠)، [باب في ذكر حوض النبي ﷺ]، والبزار (٩/٢٩٨ ـ ٣٨٥١) (٦/٤٠٩ ـ ٢٤٣٥)، والبيهقي في البعث والنشور (١٢٧ ـ ١٥٤)، [باب ما جاء في حوض النبي ﷺ]، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/٣٣٥ ـ ٣٧٤)، من طريق جماعة عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، منهم أبو طالوت عبد السلام بن أبي حازم العبدي، وسلامة الرياحي، وعبد الله بن بريدة الأسلمي، وأبو حمزة ـ لعله أبو جمرة ـ. وإسناد أبي طالوت العبدي صحيح، لكن في رواية أبي داود عن مسلم بن إبراهيم عن أبي طالوت عبد السلام بن أبي حازم قال: "فحدثني فلان وكان في السماط"، وعند البزار من طريق حماد بن مسعدة عنه، قال: "وأخبرني من دخل معه". وخالفهما محمد بن مهزم العبدي عنه عند أحمد، فقال: "عن أبي طالوت العبدي قال: سمعت أبا برزة". وهو وهم، فقد رواه عبد الصمد بن عبد الوارث البصري عند أحمد، وأبو علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي، وعبد الله بن حمران عند الخطيب في الموضح، (ثلاثتهم) عن أبي طالوت=

= عبد السلام، قال: ثنا العباس بن فروخ الجريري، عن أبي برزة الأسلمي. فسموا المبهم في رواية الأولين، وهو إسناد صحيح؛ لأن أبا طالوت عبد السلام والعباس الجريري كلاهما ثقة (انظر: تهذيب الكمال: ١٨/٦٤، ١٤/٢٣٨)، لكن لم يجي مرفوعاً إلا من رواية: محمد بن مهزم العبدي عند أحمد ـ هو الذي وهم بذكر سماع أبي طالوت آنفاً ـ. وكل الرواة غيره يجعله من كلام أبي برزة بعد رواية حديث الحوض.

قال المصنف:

"ثم الإيمان بالمساءلة ؛ إن الله تعالى جَلَّ ذِكْرُه يَسْأل العباد عن كل قليل وكثير في المواقف وعن كل ما اجترموا".

يقرر المصنف بقوله: "**ثم الإيمان بالمساءلة**.. " ما يجب أن يعتقده المسلم ويخافه من سؤال الله للعباد يوم القيامة عمّا عملوه في الدنيا من دقيق وجليل كما في قوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]، وقوله تعالى ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، وقوله ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]. وهذه المسألة هي الحساب الذي جاء ذكره كثيراً في القرآن، وهو أن يوقف الحق ﷻ عباده بين يديه ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر واستقامة وانحراف وطاعة وعصيان، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، قال القرطبي: "ومعناه أن الباري ـ سبحانه ـ يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة يعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذي عينه للخير بالخير وللشر بالشر"(١). أي مقابلة السيئات بالحسنات لإظهار أيهما أرجح، وعليه يحكم على الشخص أنه من أهل الخير أو من أهل الشر. ويتضمن الإيمان بالحساب مسائل:

* م **الأولى:** في قول المصنف "**ثم الإيمان بالمساءلة**" بيان لعظم الإيمان

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٥٦٢).

بيوم السؤال والحساب الذي سماه الله يوم الدين، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: ٢٠ ـ ٢٤]، فيقف الناس كلهم في المحشر ليحاسبهم الله على أعمالهم في الدنيا.

ـ وأول الخلق حساباً أمة محمد ﷺ؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ»، رواه ابن ماجه، قال البوصيري: "هذا إسناد صحيح"، قلت هو معلول"[(١)]، ولكن عند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ:

(١) رواه ابن ماجه (٢/١٤٣٤ ـ ٤٢٩٠)، [باب صفة أمة محمد ﷺ]، كتاب الزهد، عن محمد ابن يحيى، عن أبي سلمة موسى التبوذكي. واللالكائي شرح اعتقاد أهل السنة (٦/١٢٣٥ ـ ٢١٨٩)، [في العرض والحساب يوم القيامة]، من طريق عبيد الله بن محمد العبشي. كلاهما (التبوذكي، والعبشي)، عن حماد بن سلمة، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال البوصيري (مصباح الزجاجة: ٤/٢٥٦ ـ ١٥٤٢): "هذا إسناد صحيح". قلت: نعم، لكنه معلول، فقد أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١١٢ ـ ١٨٤) ـ مخالفاً لمحمد بن يحيى ـ حيث رواه عن موسى التبوذكي، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، فأبدل الجريري بعلي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف (ميزان الاعتدال: ٣/١٢٧)، وتابع التبوذكي بذكر عليٍّ بدل الجريري جماعة من الثقات مختصراً ومطولاً، خرج أحاديثهم: أحمد (٤/٣٣٠ ـ ٢٥٤٦)، (٤/٤٢٧ ـ ٢٦٩٢)، والطيالسي (٤/٤٣٠ ـ ٢٨٣٤)، وعبد بن حميد في المنتخب (٢٣١ ـ ٦٩٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٢٧٢ ـ ٣٦٠١٣)، [باب أول ما فعل ومن فعله]، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٢٧٥ ـ ٢٦٦)، [أحاديث الشفاعة]، وأبو يعلى الموصلي (٤/٢١٣ ـ ٢٣٢٨)، واللالكائي شرح اعتقاد أهل السنة (٣/٥٣٩ ـ ٨٤٣)، [في رؤية المؤمنين الرب ﷻ]. قلت: ورواه الترمذي (٥/٣٠٨ ـ ٣١٤٨) فأبدل الصحابي:=

قَالَ ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»(١). وفي رواية: «نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»(٢).

ـ وقد مدح الله المؤمنين بيوم السؤال والحساب بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]، وذم المكذبين بهذا اليوم مبيناً أن سبب خسارتهم هو عدم إيمانهم بذلك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا﴾ [النبأ: ٢٧]، وحكى عن الكافر قوله: ﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٦ ـ ٢٧]، وبين سبحانه عذابهم الشديد لعدم إيمانهم به، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

❊ م الثانية: في قول المصنف: "يَسْأل العباد عن كل قليل وكثير في المواقف وعن كل ما اجترموا"، تفصيل، فقد بينت النصوص أن الناس في

= من طريق سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بنحوه مختصراً. قال الترمذي: "قد روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة، عن ابن عباس، الحديث بطوله". ورواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٢/١ ـ ٢٦٥) من طريق عمرو بن عاصم، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، فذكره. فالاختلاف فيه من حماد بن سلمة، ولذا لما أخرجه المروزي من الطريق الأخير عن أنس رضي الله عنه، ثم أخرجه بعده من طريق عمرو بن عاصم عن حماد عن علي بن زيد عن أبي نضرة عن ابن عباس رضي الله عنهما. ثم من طريق عمرو بن عاصم عن حماد عن يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، قال: "ولم يحفظ حماد". قلت: يغني عنه ما بعده عند مسلم.

(١) صحيح مسلم (٥٨٥/٢ ـ ٨٥٥)، كتاب الجمعة.

(٢) صحيح مسلم (٥٨٦/٢ ـ ٨٥٦)، كتاب الجمعة.

هذا الحساب على أقسام:

(القسم الأول) حساب العرض دون مناقشة ولا سؤال، وهذا لأهل الإيمان ليدركوا مدى نعمة الله عليهم في غفرانها لهم كما جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ في "الصحيحين"، قال: «يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»(١). والكَنَفُ فسر في الحديث بأنه السِّتر، والمعنى: أنه تعالى يستر عبده عن الخلق لئلا يفتضح فيخزى؛ لأنه حين التقرير بذنوبه تتغير حاله.

(القسم الثاني): بعض عصاة الموحدين ممن قد يعسر حسابهم لأسباب منها:

١ ـ كثرة الذنوب والتفريط في الواجبات: لما رواه أحمد وغيره عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبِي ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ كَامِلَةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْمَلَهَا قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَأَكْمِلُوا بِهَا مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَتِهِ، ثُمَّ الزَّكَاةُ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ»، وهو حديث صحيح(٢)، وفي

(١) صحيح البخاري (٨/٢٠ ـ ٦٠٧٠)، [باب ستر المؤمن على نفسه]، كتاب الأدب، ومسلم (٤/٢١٢٠ ـ ٢٧٦٨)، كتاب التوبة.

(٢) رواه أحمد (٢٨/١٥٢ ـ ١٦٩٥٤)، وابن ماجه (١/٤٥٨ ـ ١٤٢٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/١٧١ ـ ٧٧٧١)، (٦/١٧٠ ـ ٣٠٤٢٢)، والدارمي (٢/٨٥٤ ـ ١٣٩٥)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٢١٦ ـ ١٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/٥١ ـ ١٢٥٥)، والحاكم في المستدرك (١/٣٩٤ ـ ٩٦٦)، من طرق عن داود بن أبي هند،=

بعض ألفاظ حديث أبي هريرة: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»(١)، له شواهد كثيرة(٢).

٢ ـ المظالم التي بينهم، فيؤخذ من حسنات بعضهم لبعض؛ ليتجلى عدل الله في مقام القضاء والحساب، فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»(٣). وفي "الصحيحين" عَنِ ابن

= عن زرارة بن أوفى، عن تميم الداري رضي الله عنه به، وإسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الحاكم.

(١) رواه الترمذي (٢/٢٦٩ ـ ٤١٣)، [باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة]، أبواب الصلاة، والنسائي (١/٢٣٢ ـ ٤٦٥)، [باب المحاسبة على الصلاة]، كتاب الصلاة، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٢٧٦ ـ ٣٦٠٤٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٢١١ ـ ١٨١)، والبزار في البحر الزخار (١٦/٢٧٠ ـ ٩٤٦٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (٦/٣٨٧ ـ ٢٥٥٣)، من طرق عن أبي هريرة في بعضها اضطراب، وأصحها من طريق قتادة، عن الحسن، عن أنس بن حكيم، عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال الدارقطني في العلل (٨/٢٤٨) و ذكر الاضطراب: "أشبهها بالصواب قول من قال: عن الحسن عن أنس بن حكيم عن أبي هريرة". وقال البزار بعده: "هذا الحديث لا نعلم له طريقًا، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أحسن من هذا الطريق".

(٢) له شواهد من حديث ابن مسعود، ومن حديث أنس، ومن حديث أبي سعيد الخدري، ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهم. وانظر لتخريجها كتاب: أنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري (٣/١٧٥٩ ـ ١٢٦٥).

(٣) صحيح البخاري (٣/١٢٩ ـ ٢٤٤٩)، [باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته]، كتاب المظالم.

مسعود رضي الله عنه، قَالَ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»(١).

(القسم الثالث): حساب المناقشة والمحاققة والتدقيق للكفار الذين يكون حسابهم فيه عسيراً لينتهي بالعذاب، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ»(٢). وفيهما أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «يُجَاءُ بِالكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ»(٣).

❊ **م الثالثة:** يستثنى من قول المصنف: **"يَسْأل العباد عن كل قليل وكثير في المواقف وعن كل ما اجترموا"** قسمان من الناس، فلا يجري عليهم حساب العرض الذي يجري على سائر المؤمنين فضلاً عن حساب المناقشة، بل يدخلون الجنة بغير حساب:

(القسم الأول): الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنه لا حساب عليهم على سبيل المناقشة والتقريع؛ لأن الأنبياء كنبينا ﷺ لا ذنوب لهم ليحاسبوا

(١) صحيح البخاري (٨/١١١ ـ ٦٥٣٣)، [باب القصاص يوم القيامة]، كتاب الرقاق، ومسلم (٣/١٣٠٤ ـ ١٦٧٨)، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات.

(٢) صحيح البخاري (٨/١١٢ ـ ٦٥٣٧)، [باب: من نوقش الحساب عذب]، كتاب الرقاق، ومسلم (٤/٢٢٠٤ ـ ٢٨٧٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) صحيح البخاري (٨/١١٢ ـ ٦٥٣٨)، [باب: من نوقش الحساب عذب]، كتاب الرقاق، ومسلم (٤/٢١٦١ ـ ٢٨٠٥)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

عليها ؛ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ ، أما قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] ، فالمراد: سؤالهم عن تبليغهم الدعوة إلى أقوامهم ، لإقامة الحجة على العصاة منهم ، لما روى البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ! ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ ، فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]»(١) . قال الشنقيطي: "وأما سؤال المرسلين فليس سؤال توبيخ ولا تقريع ، والمراد به أن المرسلين إذا سُئلوا وقالوا: بلَّغنا ونصحنا ، رجع اللوم والتقريع على الأمم . ومن ذلك القبيل: سؤال الموءودة ، وهي البنت التي كانوا يدفنونها حية ، كما في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩]"(٢) .

ـ (القسم الثاني): هم صنف من المؤمنين ، يدخلون الجنة بغير حساب ، عددهم سبعون ألفاً ، جاء وصفهم في حديث النبي ﷺ ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قَالَ ﷺ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» متفق عليه(٣) ،

(١) صحيح البخاري (٦/٢١ ـ ٤٤٨٧) ، [باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾] ، كتاب تفسير القرآن .
(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/٦١) .
(٣) صحيح البخاري (٧/١٢٦ ـ ٥٧٠٥) ، [باب من اكتوى] ، كتاب الطب ، ومسلم (١/١٩٩ ـ ٢٢٠) ، كتاب الإيمان .

ورواه مسلم عن عمران رضي الله عنه[١]. ورواه الترمذي وحسنه، وابن حبان وصححه عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَزَادَنِي ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ»[٢]، وله عدة شواهد.

* م **الرابعة**: في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ١١]؛ دلالة على تقديم أخذ الصحف على الحساب، فإذا خرج الناس من قبورهم فحشرهم الله في الموقف، وأذن بفصل القضاء فيهم، أعطاهم تلك الكتب المشتملة على سجل كامل الأعمال التي عملت في الحياة الدنيا، وعليه تبنى المحاسبة، فالمؤمن يؤتى كتابه بيمينه من أمامه، فيحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله في الجنة مسروراً ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ

(١) صحيح مسلم (١/١٩٨ ـ ٢١٨)، كتاب الإيمان.

(٢) صحيح أحمد (٣٦/٤٧٩ ـ ٢٢١٥٦)، (٣٦/٦٣٩ ـ ٢٢٣٠٣)، والترمذي (٤/٦٢٦ ـ ٢٤٣٧)، [باب ما جاء في الشفاعة]، أبواب القيامة، وابن ماجه (٢/١٤٣٣ ـ ٤٢٨٦)، [باب صفة أمة محمد ﷺ]، كتاب الزهد، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٦١ ـ ٥٨٩)، [باب في ذكر زيارة المؤمنين لربهم تبارك وتعالى وكلامه لهم]، وابن حبان (١٦/٢٣٠ ـ ٧٢٤٦)، [ذكر الإخبار عن عدد من يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب]، والدارقطني في كتاب الصفات (٦٥ ـ ٥٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/١٥٦ ـ ٧٢٣)، [باب ما ذكر في اليمين والكف]، من طريقين عن أبي أمامة كلاهما بإسناده قوي رجاله ثقات، ولذا صححه ابن حبان، وقال الذهبي عن أحد الطريقين، (السير: ١٦/٤٥٩): "إسناده قوي". وفي الباب شواهد عن جماعة من الصحابة، انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٤١٠)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/٤٧٤ ـ ١٤٨٤)، وأنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري (٥/٣٢٧٣) (٨/٥٩١٥).

كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٩]، وأما الكافر والمنافق فإنه يعطى كتابه بشماله من وراء ظهره، وعند ذلك يدعو بالويل والثبور، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠ ـ ١٢]، وروَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي مُوسى وأَبي هُرَيرة رضي الله عنهما، قالا: قَالَ النبي ﷺ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا العَرْضَةُ الثَّالِثَةُ، فِعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ في الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ»، ولا يصح[(١)]، لكن جاء نحوه عن ابن مسعود موقوفاً عليه، وله

(١) الحديث فيه اختلاف كبير، ومداره على علي بن علي الرفاعي واختلف عليه فيه: (١) فرواه أحمد (٤٨٦/٣٢ ـ ١٩٧١٥)، وابن ماجه (١٤٣٠/٢ ـ ٤٢٧٧)، [باب ذكر البعث]، والبزار في البحر الزخار (٧٦/٨ ـ ٣٠٧٣)، والطبري في تفسيره جامع البيان (٥٨٤/٢٣)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٥٥/٦ ـ ٢٢٣٠)، [ما روي عن النبي ﷺ في صفة القيامة] من طريق جماعة من الثقات عن وكيع، عن علي بن علي، عن الحسن البصري، عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً. (٢) ورواه الترمذي (٦١٧/٤ ـ ٢٤٢٥، [أبواب اللباس]، أبواب الأحكام والفوائد، عن أبي كريب، عن وكيع، عن علي بن علي، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. قال الترمذي: "ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، وقد رواه بعضهم عن علي بن علي وهو الرفاعي، عن الحسن، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى". قلت: (٣) وروي من وجه ثالث موقوف على أبي موسى، رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١١٧/٢)، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/٢)، والبغوي في شرح السنة (١٤٣/١٥ ـ ٤٣٢٨)، [باب قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾. ورجحه الدارقطني في العلل (٢٥١/٧ ـ ١٣٣١)، فقال: "والموقوف هو الصحيح"، قلت: أي من حيث الترجيح بين الأوجه، وإلا فلا يصح لعدم سماع الحسن من أبي موسى عبد الله بن قيس رضي الله عنه، ويظهر أن الاختلاف من علي بن علي الرفاعي، فإنه وإن وثقه الأكثر، (كما في تهذيب التهذيب لابن حجر ـ ٣٦٦/٧)، فقد قال عنه أبو حاتم: "ليس بحديثه بأس،=

حكم الرفع[١]. فلعله يكون العرض والجدال، ثم تتطاير الصحف، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨ ـ ٢٩]، ثم يعاد استكمال الحساب لمن أراد الله التشديد عليه أو أخذ الحق منه لغيره بقراءة الكتب المنشورة؛ كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤].

* **م الخامسة:** ذكر المصنف ترتيب الأحداث بعد البعث: الصراط، ثم الميزان، ثم الحوض، ثم الحساب، ثم ذكر الجنة والنار. ولو رتبها على المشهور لكان أولى، لأن الراجح عند جمهور العلماء أن الترتيب بعد البعث بالنفخ بالصور وقيام من قبورهم، وذهابهم إلى أرض المحشر يكون على

= ولا يحتج بحديثه". وقال عنه الإمام أحمد: "لم يكن بهذا الشيخ بأس، إلا أنه رفع أحاديث".

(١) رواه الطبري في تفسيره جامع البيان (٥٨٤/٢٣)، عن مجاهد بن موسى الخوارزمي، ثنا يزيد ـ هو ابن هارون ـ ثنا سليم بن حيان، عن مروان الأصفر، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال ابن حجر في فتح الباري (٤٠٣/١١): "أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عن عبد الله بن مسعود موقوفاً". قلت: لم أقف عليه عند البيهقي، والظاهر أنه حسنه لأن فيه سليمان بن حيان أبو خالد الأحمر صدوق من رجال الشيخين، لكن تكلم فيه ابن معين، قال ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٢٨٢/٤): "له أحاديث صالحة ما أعلم له غير ما ذكرت مما فيه كلام، ويحتاج فيه إلى بيان وإنما أتى هذا من سوء حفظه فيغلط ويخطئ، وهو في الأصل كما قال ابن معين صدوق وليس بحجة". قلت: يفهم من كلام ابن عدي أن هذا الحديث محفوظ غير منتقد لأنه ما أورده، وقال الذهبي بعد كلام ابن عدي (ميزان الاعتدال: ٢٠٠/٢): "الرجل من رجال الكتب الستة، وهو مكثر يهم كغيره". واختصر ابن حجر الكلام فيه فقال: "صدوق يخطئ"، وتقدم أنه حسن حديثه هذا. قلت: يحتمل أنه من أوهامه، والله أعلم.

النحو التالي:

١ ـ يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً أي غير مختونين، ثم يكسى الخلائق بعد ذلك، فأول من يكسى إبراهيم عليه السلام، كما في "الصحيحين" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. ثمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ»(١).

٢ ـ يخرج الناس من قبورهم ليقفوا في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة؛ كما قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٤ ـ ٧]. فيرحم الله المؤمنين دون الكفار بأن يأذن لهم بالورود على حوض النبي صلى الله عليه وسلم ليريحهم من شدة العطش، ولكل نبي حوض. فيشرب منه الملازمون للسنة، ويرد عنه المحدثون من المبتدعة والمستخفون بالكبائر.

٣ ـ ثم إذا طال عليهم المقام وشق عليهم، ذهب الناس للأنبياء من أولي العزم طلباً للشفاعة، فيعتذر أولو العزم ويحيلها كل منهم على من بعده، حتى يأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقول: أنا لها، فيقوم المقام المحمود، وتحصل الشفاعة العظمى لينزل الرب جل وعلا للفصل بين العباد والحساب؛ كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٢٤].

---

(١) صحيح البخاري (٤/١٣٩ ـ ٣٣٤٩)، [باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾]، كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٤/٢١٩٤ ـ ٢٨٦٠)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

٤ ـ ثم يكون الحساب من الله لعباده بلا حجاب ولا ترجمان، بالعرض للمؤمنين والمناقشة للكافرين، ومعها الجدال والمعاذير، ومع العرض تتطاير الصحف فيأخذ الناس كتبهم بأيمانهم أو شمائلهم؛ لقوله ﷺ في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨]: «ذَلِكِ العَرْضُ». ويؤمرون بقراءة كتبهم لقطع العذر والجدال وإقامة البرهان، كما قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۝١٣ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، وقال: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]. فيقول الكفار عندئذ: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

٥ ـ ثم يكون بعد ذلك الميزان، فتوزن الأعمال والصحائف والأجساد، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨ ـ ٩]، فتثقل عندئذ موازين المتقين، وتخف موازين المفرطين.

٦ ـ ثم يؤمر الناس باتباع أئمتهم، فالمؤمنون كل أمة تتبع نبيها، والكفار من عُبَّاد الطواغيت يتبعون طواغيتهم فيردون نار جهنم خلفها، ويعطش اليهود والنصارى ممن يعبدون عزيراً وعيسى والصالحين فيسألون الماء، فترفع لهم النار فينظرونها كأنها سراب، فيظنونها ماء، فيقال: ألا تردون، فيتساقطون فيها.

٧ ـ يبقى المؤمنون من هذه الأمة ومنافقوها مع نبيها ﷺ، فيتجلى لهم الرب ﷻ فيتعرف إليهم بكشف الساق، فيذهب المنافقون ليسجدوا فلا يستطيعون لجعل ظهر الواحد منهم طبقاً واحداً. فيتميزون عن المؤمنين بعجزهم عن السجود كما امتنعوا اختياراً في الدنيا؛ كما قال تعالى وصفاً لحالهم هنا: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢ ـ ٤٣].

٨ ـ ثم تضرب على الناس الظلمة الشديدة دون الصراط، فيعطون نوراً يمشون به، كما قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢]، فيطفأ نور المنافقين فلا يستطيعون مضياً ولا يرجعون، فيتجاوزهم المؤمنون إلى الصراط، فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به، وهم قد انطفأ نورهم وبقوا في الظلمات حائرين، قالوا: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾، فيقال لهم استهزاء كما استهزؤوا في الدنيا بالمؤمنين: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣].

٩ ـ ثم يضرب عند ذلك بينهم بسور؛ كما قال تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٣ ـ ١٥]، عندئذ يؤخذ بالمنافقين إلى النار.

١٠ ـ ثم تمر الأمم على الصراط المنصوب على ظهر جهنم، أولها أمة محمد ﷺ، تحلة لقسم الله تعالى حين قال ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ

عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، والأنبياء على جانبي الصراط يقولون: اللهم سلم سلم، والناس على قدر أعمالهم بسرعة المرور، والنور الذي أعطوه، أسرعهم كالبرق والطرف، وأبطؤهم من يحبوا حبواً، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، حتى تعجز أعمال العباد، فتخطف الكلاليب والخطاطيف والحسك من شاء الله من عصاة الموحدين ممن خفت موازينهم تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].

١١ ـ فإذا جاوز أهل الإيمان الصراط حلَّت الشفاعة، كما في مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ»(١)، وفي لفظ لغير مسلم: «فَنَنْطَلِقُ حَتَّى نَأْتِي الْجِسْرَ وَعَلَيْهِ خَطَاطِيفُ مِنْ نَارٍ تَخْطَفُ النَّاسَ، وَعِنْدَهَا حَلَّتِ الشَّفَاعَةُ»(٢). وفي "الصحيحين" واللفظ لمسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال ﷺ: «حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ

(١) صحيح مسلم (١/١٦٧ ـ ١٨٣)، [باب معرفة طريق الرؤية]، كتاب الإيمان.

(٢) رواه الحميدي (٢/٢٩٨ ـ ١٢١٢)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/٢٣٤ ـ ٤٢٢)، [سئل عما جحدت الجهمية الضلال من رؤية الرب تعالى يوم القيامة]، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٨٢ ـ ٦٣٢)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/٣٧٣)، [باب إن الله جل وعلا يكلم الكافر والمنافق يوم القيامة تقريرا وتوبيخًا]، وابن حبان (١٠/٤٩٩ ـ ٤٦٤٢)، [باب: فضل النفقة في سبيل الله]، وابن منده في كتاب الإيمان (٢/٧٩١ ـ ٨٠٩)، [ذكر وجوب الإيمان برؤية الله عز وجل] ـ، والدارقطني في كتاب رؤية الله (١١٧ ـ ١٧)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٦/١٢٣٩ ـ ٢١٩٧)، [في العرض والحساب يوم القيامة]، من طريق سفيان بن عيينة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث جيد على شرط مسلم، وصححه كما ترى ابن حبان.

الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ»(١).

١٢ ـ يوقف المؤمنون بعد الصراط في قنطرة بين النار والجنة ليقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم، كما روى البخاري عن أَبي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»(٢).

١٣ ـ ثم إذا دخل أهل الجنة أعد الله لهم ضيافة ونزلاً من خبز ولحم، كما يضيف الضيف أول ما ينزل، لما روى الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قال ﷺ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَكْفَؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلاً لأَهْلِ الْجَنَّةِ". قَالَ: فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ، أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "بَلَى"، قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً ـ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: "بَلَى"، قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالَامُ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: "ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا»(٣). والبلام هو

---

(١) صحيح البخاري (٩/١٢٩ ـ ٧٤٣٩)، [باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾]، كتاب التوحيد، ومسلم (١/١٦٧ ـ ١٨٣)، كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخاري (٨/١١١ ـ ٦٥٣٥)، [باب القصاص يوم القيامة]، كتاب الرقاق.

(٣) صحيح البخاري (٨/١٠٨ ـ ٦٥٢٠)، [باب يقبض الله الأرض يوم القيامة]، كتاب الرقاق،=

الثور، والنون هو الحوت. وزائدة كبدهما: هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي أطيبها.

١٤ ـ ثم بعد أن ينزل أهل الجنة بالجنة، وتحصل الشفاعة يخرج أهل التوحيد من المسلمين من النار فلا يبقى منهم فيها أحد، فيكون آخر أهل الجنة خروجاً من النار رجلٌ يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، ثم يقربه الرب تعالى للجنة شيئاً فشيئاً، وهو يعاهد ربه: أن لا يسأل شيئاً آخر؛ مرة بعد مرة، حتى إذا دنا منها وسمع أصوات أهل الجنة، قال: «أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»، رواه مسلم عن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه[1].

١٥ ـ فإذا تكامل خروج أهل الجنة من الموحدين من النار، فلم يبق إلا الكفار والمنافقون، ذبح الموت بين الجنة والنار إيذاناً بالخلود الأبدي لكلا الفريقين، كما روى الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟

= ومسلم (٤/٢١٥١ ـ ٢٧٩٢)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(١) صحيح مسلم (١/١٧٤ ـ ١٨٧)، كتاب الإيمان.

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»[(١)].

(١) صحيح البخاري (٩٣/٦ ـ ٤٧٣٠)، [باب قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢١٨٨/٤ ـ ٢٨٤٩)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. وانظر شرح الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ (ص: ٥٤٢).

❁ قال المصنف:

"ثم الإيمان بأن الله خلق الجنة والنار قبل أن يخلق الخلق. ونعيم الجنة لا يزول أبداً. والحور العين لا يمتن. وعذاب النار فدائم بدوامها، وأهلها فيها مخلدون خالدون، من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسك بالسنة".

انتقل المصنف إلى ما يجب أن يعتقده المسلم في الجنة والنار، من وجوب التصديق بالجنة والنار، فالجنة دار الثواب الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، وهو نعيم لا يمكن للعقل تصور عظمته، فقد روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧]»(١). وفي البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(٢). والنار هي دار العذاب التي أعدها الله للكافرين به المكذبين لرسله، وهي الخزي الأكبر والخسران العظيم، الذي لا خزي فوقه ولا خسران أعظم منه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣]، وفيها

(١) صحيح البخاري (٤/١١٨ ـ ٣٢٤٤)، [باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة]، كتاب بدء الخلق، ومسلم (٤/٢١٧٤ ـ ٢٨٢٤)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) صحيح البخاري (٤/١١٩ ـ ٣٢٥٠)، [باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة]، كتاب بدء الخلق.

من العذاب والآلام والأحزان ما تعجز عن تصوره العقول، ولذلك فإن الحق ﷻ أطال في التحذير من سلوك طريقها كما في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. وفي "الصحيحين" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا»[(١)]. وفي هذه العقيدة مسائل:

* **م الأولى:** في قول المصنف: **"ثم الإيمان بأن الله خلق الجنة والنار قبل أن يخلق الخلق"**: ذكر ذلك مثله بعض من صنف في "الاعتقاد" كالطحاوي[(٢)]، وقال الإمام أحمد في معرض بيان ما يجب من الاعتقاد: "وأن الله خلق الجنة قبل الخلق، وخلق لها أهلاً، ونعيمها دائم، ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر، وخلق النار قبل خلق الخلق، وخلق لها أهلا، وعذابها دائم"[(٣)].

وفي حديث رافع بن خديج رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث طويل، قال: «وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَهُمَا قَبْلَ الْخَلْقِ، ثُمَّ خَلَقَ خَلْقَهُ». رواه الفريابي والعقيلي والطبراني والآجري وابن بطة والبيهقي واللالكائي[(٤)]،

---

(١) صحيح البخاري (٦/١٣٨ ـ ٤٨٥٠)، [باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٤/٢١٨٦ ـ ٢٨٤٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٧٣).

(٣) ذكره في رسالته لمسدد بن مسرهد كما في طبقات الحنابلة (١/٣٤٣).

(٤) رواه الفريابي في كتاب القدر (١٥٦ ـ ٢٢٣، ٢٢٥)، والعقيلي في الضعفاء الكبير=

لكن قال عنه أبو حاتم الرازي: "هذا حديث عندي موضوع"[(١)]، وصدق ﷺ؛ فهو مخالف لظاهر القرآن ولما صح من الأحاديث، ولا شك أن الله خلق الجنة والنار قبل آدم؛ لأنه خلقه وأسكنه في الجنة، والجان خلقوا من النار، وكان خلقهم قبل خلق آدم؛ لقوله تعالى بعد ذكر خلق آدم: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، وقد اختلف العلماء في أول ما خلق الله على ثلاثة أقوال، ليس الجنة والنار منهما:

(القول الأول): أن أول مخلوق هو العرش، ثم القلم، ثم السماوات والأرض، واستدلوا بأحاديث صحيحة:

١ ـ ما روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ،

= (٣٥٧/٣)، والآجري في الشريعة (٢/٨١٠ ـ ٣٨٩)، [باب ما ذكر في المكذبين بالقدر]، والطبراني في المعجم الكبير (٤/٢٤٥ ـ ٤٢٧٠، ٤٢٧١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٤/١٠١ ـ ١٥١٧)، [باب ما روي في المكذبين بالقدر]، والبيهقي في القضاء والقدر (٢٥٩ ـ ٣٥٨)، [باب ذكر البيان أن الله تبارك وتعالى عادل في إضلال من شاء من عبيده]، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٤/٦٨١ ـ ١١٠٠)، [قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾] من طريق عطية بن عطية، عن عطاء بن أبي رباح، عن عمرو بن شعيب، عن سعيد بن المسيب، عن رافع بن خديج رضي الله عنه، ومن طريق عبد الله بن لهيعة، عن عمرو بن شعيب به.

(١) علل الحديث (٦/٦١٨)، وذكر العقيلي الحديث في "الضعفاء" في ترجمة عطية بن عطية، ثم قال: "مجهول بالنقل، وفي حديثه اضطراب، ولا يتابع عليه"، ثم أخرجه من طريق ابن لهيعة، عن عمرو بن شعيب، ثم قال: "فلم يأت به عن ابن لهيعة غير المقرئ، ولعل ابن لهيعة أخذه عن بعض هؤلاء، عن عمرو بن شعيب". وقال الذهبي في ترجمته (٣/٨٠): "عطية بن عطية، عن عطاء، لا يعرف، وأتى بخبر موضوع طويل".

وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ»[(١)].

٢ ـ ما روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[(٢)].

قالوا: فهذان الحديثان يدلان على أن الله أول ما خلق العرش، ثم القلم الذي كتب في الذكر القدر، ثم خلق السماوات والأرض بعده بخمسين ألف سنة.

(القول الثاني): أن أول ما خلق الماء، ثم العرش؛ لما روى الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، وابن حبان وصححه، عن أَبِي رَزِينٍ العُقَيلي ﷺ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا ﷻ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ»[(٣)].

(١) صحيح البخاري (٤/١٠٥ ـ ٣١٩١)، [باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾]، كتاب بدء الخلق.

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٠٤٤ ـ ٢٦٥٣)، كتاب القدر.

(٣) رواه أحمد (٢٦/١٠٨ ـ ١٦١٨٨)، والترمذي (٥/٢٨٨ ـ ٣١٠٩)، [باب: ومن سورة هود]، أبواب تفسير القرآن، وابن ماجه (١/٦٤ ـ ١٨٢)، [باب فيما أنكرت الجهمية]، كتاب الإيمان، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/٢٤٥ ـ ٤٥٠)، [ما جحدت الجهمية الضلال من رؤية الرب تعالى يوم القيامة]، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧١ ـ ٦١٢)، والطبري في تفسيره جامع البيان (١٥/٢٤٦ ـ ١٧٩٨١)، وابن حبان (١٤/٨ ـ ٦١٤٠)، [ذكر الإخبار عما كان الله فيه قبل خلقه السماوات والأرض]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٣٥ ـ ٨٠١)، [باب بدء الخلق]، من طريق حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين العقيلي ﷺ رفعه. ورجاله ثقات غير وكيع تابعي لا يعرف كما قال الذهبي (ميزان الاعتدال: ٤/٣٣٥)، لكن ذكره ابن حبان في ثقاته (٥/٤٩٦)، وصحح ابن حبان حديثه هذا، وحسنه الترمذي.

والعماء كما قال العلماء هو السحاب الرقيق، وقوله «في عماء»: أي فوق عماء، كما في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. والعماء، قيل: هو الذي جاء في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وأما معنى قوله: «مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ»، فهو راجع للعماء. ففي هذا الحديث أن العماء وأصله الذي تولد منه وهو الماء كانا موجودين قبل العرش. ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، والأحاديث السابقة عن عمران وابن عمرو رضي الله عنهما، «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»، فظاهر ذلك أن الله خلق الماء، ثم خلق فوقه العرش. وقد روى السدي في تفسيره بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما: "إن الله لم يخلق شيئًا مما خلق قبل الماء"[(١)]. قال شيخ

(١) رواه الطبري في تفسيره جامع البيان (١/٤٣٥ ـ ٥٩١)، وفي تاريخه (١/٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٧٤ ـ ٣٠٦)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/٨٨٦)، من طرق عن عمرو بن حماد القناد، عن أسباط ابن نصر الهمداني، عن السدي، عن أبي مالك، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ. وهذا الإسناد أكثر الطبري في تخريج أحاديث من طريقه، فقال عند أحدها (١/٣٥٤): "ولست أعلمه صحيحًا، إذ كنت بإسناده مُرتابًا"، وقال الإمام أحمد بن حنبل (كما في تهذيب التهذيب: ١/٣١٤، في ترجمة السدي): "إنه ليحسن الحديث، إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به، قد جعل له إسنادًا واستكلفه". وفسر ذلك الحافظ ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (١/٢١١) حين ساق الروايات الضعيفة عن ابن عباس، فقال: "كوفي صدوق لكنه جمع التفسير من طرق منها عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة العجاب وغيرهم. وخلط روايات الجميع فلم تتميز رواية الثقة من الضعيف". وحاول الشيخ أحمد شاكر الدفاع عن هذا الإسناد بتوسع في تحقيقه لتفسير الطبري (١/١٥٦) بحجة صدق رجاله، وبكون الحاكم استدرك ثلاثة أحاديث به على شرط مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه انظر: المستدرك (٢/٢٨٤ ـ ٣٠٢٢)=

الإسلام ابن تيمية: "وقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف ـ الذي لا يعلم فيه نزاع ـ أن الله لَمَّا خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وكان عرشه على الماء قبل ذلك، فكان العرش موجودًا قبل ذلك، وكان الماء موجودًا قبل ذلك"[(١)].

القول الثالث: أن أول ما خلق الله القلم؛ لما روى أحمد، وأبو داود، والترمذي وصححه، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «إنَّ أول ما خلق اللهُ القلمَ، قال له: اكتب، قال: يا رب! وماذا أكتب؟ قال: اكتبْ مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعة»[(٢)]. ولا دلالة فيه؛ لأن الحديث على معنى

= (٣٥٢/٢ ـ ٣٢٥٢) (٦٤٥/٢ ـ ٤١٤٤)، وجزم ابن القيم بصحته في اجتماع الجيوش الإسلامية (٣٨٧/١)، فلم يصنعا شيئاً.

(١) نقد مراتب الإجماع (٣٠٥).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٧٨/٣٧ ـ ٢٢٧٠٥)، (٣٨١/٣٧ ـ ٢٢٧٠٧)، وأبو داود (٢٢٥/٤ ـ ٤٧٠٠)، [باب في القدر]، كتاب السنة، والترمذي (٤٢٤/٥ ـ ٣٣١٩)، [باب ومن سورة نون]، بواب تفسير القرآن، وابن أبي عاصم في السنة (٤٩/١ ـ ١٠٢حتى١١٣)، [باب ذكر القلم أنه أول ما خلق الله تعالى، وما جرى به القلم]، والآجري في الشريعة (٧٦٦/٢ ـ ٣٤٦) [باب الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبدًا]، وابن بطة في الإبانة (٣٣٤/٣ ـ ١٣٦٢حتى١٣٧٦)، [باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق القلم فقال له: اكتب فكتب ما هو كائن، فمن خالفه فهو من الفرق الهالكة]، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٢٤٣/٢ ـ ٣٥٧)، [سياق ما ورد في كتاب الله من الآيات مما فسر أو دل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق]، والبيهقي في القضاء والقدر (١١٢ ـ ٩ حتى ١٣)، (٣٠٥ ـ ٤٨٦)، من حديث عبادة بن الصامت، وهو صحيح ثابت عنه بمجموع طرقه الكثيرة: فرواه عن عبادة: ابنه الوليد بن عبادة بن الصامت، ورواه عنه: عطاء بن أبي رباح، ويزيد بن أبي حبيب، وابن ابنه عبادة بن الوليد، وسليمان بن حبيب المحاربي. وتابع الوليد بن عبادة بروايته عن أبيه كذلك: أخوه محمد بن عبادة بن الصامت، وسليمان بن مهران، وأبو حفصة. ورووه عن جماعة من الصحابة: عن ابن عباس، وعن أبي هريرة، وعن ابن عمر رضي الله عنهم.=

نصب "أول"، على الظرفية: والمعنى: حين خلقه، قال له: اكتب، وذلك بعد خلق العرش.

ـ فيكون أول مخلوق: الماء الذي خرج منه العماء، ثم العرش، ثم القلم، ثم الأرض، ثم السماوات التي خلقت من الدخان الذي هو بخار الماء كما قال تعالى لما ذكر خلق الأرض: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١١ ـ ١٢]. أما قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] بعد قوله: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، فكما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فذلك قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾"(١). فهو كما قال تعالى عن الأرض: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت: ١٠ ـ ١١].

* **م الثانية:** في قول المصنف: **"ثم الإيمان بأن الله خلق الجنة والنار"**: إثبات لاعتقاد أهل السنة والجماعة: بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وهذا ثابت متواتر في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لكن أصبح أهل السنة يذكرون ذلك في عقائدهم؛ لأن طوائف من أهل البدع كالمعتزلة

= وقد صحح الترمذي حديث عبادة. واحتج الإمام أحمد بحديث ابن عباس رضي الله عنهما فقال (كما في الشريعة للآجري: ١/٥١٠ ـ ١٧٨): "نظرت فيه، فإذا قد رواه خمسة عن ابن عباس"، وقال الآجري أيضاً (الشريعة: ١/٥٠٩ ـ ١٧٧): "وقد احتج أحمد بن حنبل رحمه الله بحديث ابن عباس: إن أول ما خلق الله من شيء القلم، وذكر أنه حجة قوية على من يقول: إن القرآن مخلوق، كأنه يقول: قد كان الكلام قبل خلق القلم".

(١) رواه الطبري في تفسيره جامع البيان (١/٤٣٧) (٢٤/٢٠٨)، من طريقين عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤١٢) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

والقدرية أنكرت أنهما مخلوقتان، ولكن ينشئهما الله يوم القيامة؛ وهذا مخالف لمحكم القرآن والسنة وإجماع السلف:

ـ فمن نصوص القرآن: قوله تعالى عن الجنة ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٥]، وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾، وقال عن عذاب آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

ـ وأما السنة: فحديث أبي هريرة ﵁ في "الصحيحين" قَالَ ﷺ: «تحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ»[(١)]. وفي "الصحيحين" عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: رَبِّ! أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»[(٢)]. وفيهما عن ابن عباس ﵄ في صلاة الكسوف: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ؟ قَالَ ﷺ: إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ

---

(١) صحيح البخاري (٦/١٣٨ ـ ٤٨٥٠)، كتاب التفسير، [باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾]، ومسلم (٤/٢١٨٦ ـ ٢٨٤٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) صحيح البخاري (٤/١٢٠ ـ ٣٢٦٠)، [باب صفة النار، وأنها مخلوقة]، كتاب بدء الخلق، ومسلم (١/٤٣١ ـ ٦١٧)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

أَهْلِهَا النِّسَاءَ»[(١)]. ولهما بنحوه عن عائشة، وفيه: «رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُصْبَهُ، وَهْوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»[(٢)].

وأصرح من ذلك كله ما رواه أصحاب السنن إلا ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَحَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ! لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فيدخلَها، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ! وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يبقى أحد إلا دخلها»، صححه الترمذي وابن حبان والحاكم[(٣)]. قال الإمام أحمد في رواية عبدوس: "والجنة

(١) صحيح البخاري (٢/٣٧ ـ ١٠٥٢)، باب صلاة الكسوف جماعة، ومسلم (٢/٦٢٦ ـ ٩٠٧)، كتاب الكسوف.

(٢) صحيح البخاري (٦/٥٥ ـ ٤٦٢٤)، [باب ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢/٦١٩ ـ ٩٠١)، كتاب الكسوف.

(٣) رواه أحمد (١٤/١٢٥ ـ ٨٣٩٨)، وأبو داود (٤/٢٣٦ ـ ٤٧٤٤)، [باب في خلق الجنة والنار]، كتاب السنة، والترمذي (٤/٦٩٣ ـ ٢٥٦٠)، [باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره]، صفة الجنة، والنسائي ٧/٣ ـ ٣٧٦٣)، [الحلف بعزة الله تعالى]، كتاب الأيمان، وابن حبان (١٦/٤٠٦ ـ ٧٣٩٤)، [ذكر الإخبار بأن الجنة كأنها حفت بالمكاره]، والآجري في الشريعة (٣/١٣٤٧ ـ ٩١٣)، [كتاب الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان]، والحاكم (١/٧٩ ـ ٧١)، كتاب الإيمان، والبيهقي في البعث (١٣٤ ـ ١٦٦)، [باب ما يستدل به على أن الجنة والنار قد خلقتا]، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/٥١١ ـ ٣١٧)، من طرق عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن=

والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: (دخلت الجنة فرأيت قصرًا)، (ورأيت الكوثر)، (واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)، (واطلعت في النار فرأيت كذا وكذا)، فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار"(١). وزاد في رواية محمد بن عوف الطائي: "كافر بالجنة وبالنار، فإن تاب وإلا قتل"(٢).

※ م الثالثة: أراد المصنف بقوله: "**ونعيم الجنة لا يزول أبداً، والحور العين لا يمتن**" الرد على الجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة الذين يقولون بفناء جميع المخلوقات ومنها الجنة وما فيها من نعيم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها بأن الجنة خالدة لا تفنى ولا تبيد، وأهلها فيها خالدون، لا يبيدون ولا يموتون، ونعيمهم فيها باقٍ ببقائهم في الجنة مثل الحور العين وغيرهن:

ـ أما القرآن فكما قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦]، وقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

ـ وأما من السنة فلما رواه الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ

= عن أبي هريرة مرفوعًا. صححه الترمذي والحاكم وابن حبان، وفيه محمد بن عمرو صدوق وسط، هو من شرط الحديث الحسن.

(١) انظر: طبقات الحنابلة (٢٤٥/١).

(٢) انظر: طبقات الحنابلة (٣١٢/١).

ذكر ذبح الموت بين الجنة والنار، فقال: «ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»(١). وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما: أنه ﷺ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾»(٢).

ـ وقد تقدم قول الإمام أحمد في معرض بيان ما يجب من الاعتقاد: "ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر"(٣)، وقال ابن حزم: "الجنة حق، والنار حق، وأنهما مخلوقتان مخلدتان هما ومن فيهما بلا نهاية... كل هذا إجماع من جميع أهل الإسلام، ومن خرج عنه خرج عن الإسلام"(٤).

ـ وقول المصنف: "**والحور العين لا يمتن**"، هذا داخل في إجماع الأمة الآنف في قطعية بقاء نعيم الجنة، ومنه الحور العين، قال ابن القيم في الكافية الشافية:

"والحور لا تفنى كذلك جنة الـ... مأوى وما فيها من الولدان"(٥).

---

(١) صحيح البخاري (٦/٩٣ ـ ٤٧٣٠)، [باب قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٤/٢١٨٨ ـ ٢٨٤٩)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها

(٢) صحيح مسلم (٤/٢١٨٢ ـ ٢٨٣٧)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) انظر: طبقات الحنابلة (١/٣٤٣).

(٤) الدرة فيما يجب اعتقاده (ص: ٢).

(٥) الكافية الشافية (ص: ١٢).

وقد روى الطبراني في "الأوسط" و"الصغير" عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ وذكر غِناء أزواج أهل الجنة بأحسن صوت سمعها أحد قط: «نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا يَمُتْنَهْ، نَحْنُ الآمِنَاتُ فَلَا يَخَفْنَهْ، نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا يَظْعَنَّهْ»، قال المنذري والهيثمي: "رجاله رجال الصحيح". وصححه الضياء والألباني، والظاهر أن ذلك لشواهده الكثيرة مع ضعفها[(١)]. والحور: جمع حوراء، وهي التي يكون بياض عينها شديد البياض، وسواده شديد السواد. والعِيْنُ: جمع عيناء، والعيناء هي واسعة العين. وقد وصف القرآن الحور العين بأنهن كواعب أتراب ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٦ ـ ٣٧]، فكونهن أبكاراً يقضي أنه لم ينكحهن قبلهم أحد، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/١٤٩ ـ ٤٩١٧)، والصغير (٢/٣٥ ـ ٧٣٤)، ومن طريقه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (٢/٢٦٨ ـ ٤٣٠)، والضياء في الأحاديث المختارة (١٣/١٩٠ ـ ٣٠٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٤١٩) والمنذري في الترغيب (٤/٣٠٠): إن رجاله رجال الصحيح، فاستدرك الألباني عليهما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/٩) فقال: "غير شيخ الطبراني أبي رفاعة عُمارة بن وَثِيمة المصري؛ فإني لم أجد له ترجمة". قلت: قال عنه ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٣/١٣): "ولد بمصر، وحدث عن أبي صالح كاتب الليث وغيره، وصنف تاريخاً على السنين، وحدث به" وقال الذهبي في (تاريخ الإسلام (٢١/٢٣٠): "روى عن أبيه، وعن عبد الله بن صالح، وسعيد بن أبي مريم، وجماعة. وعنه: الطبراني، وولده رفاعة، وآخرون". قلت: فمثله لعله يكون صدوقاً خاصة مع تصحيح الضياء لحديثه. وقد روي الحديث بنحوه بأسانيد ضعيفة عن جماعة من الصحابة: فجاء من حديث علي، وحديث أم سلمة، وحديث أبي هريرة، وحديث أنس، وحديث ابن أبي أوفى، وحديث جابر، وحديث ابن عباس، وحديث أبي أمامة رضي الله عنهم، قال الشيخ الألباني وقد وضعه في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/٨): "ثم إن الحديث قد روي من حديث عبد الله بن عمر، وعلي بن أبي طالب، وأبي أمامة الباهلي، وعبد الله بن أبي أوفى، وقد خرجتها وتكلمت على أسانيدها في "الروض النضير" برقم (٤٩٦)، وأقواها حديث ابن عمر مرفوعاً".

﴿وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦]، والكاعب: المرأة الجميلة التي برز ثدياها، والأتراب المتقاربات في السن. والمراد بالعُرُب: الغنجات المتحببات لأزواجهنّ. ووصفهن بأنهن: ﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣]، ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]، والمراد بالمكنون: المخفي المصون الذي لم يغير صفاء لونه ضوء الشمس، ولا عبث الأيدي، وقد وصفن بأنهن: ﴿قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الصافات: ٤٨]، أي قصرن بصرهن على أزواجهن، وأنهن: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، وهن مطهرات من الحيض والنفاس، والبصاق والمخاط والبول والغائط؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]. وقد قال ﷺ فيما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أول زمرة تدخل الجنة: «وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ»(١). وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال ﷺ: «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(٢).

※ **م الرابعة:** وفي قول المصنف: **"وعذاب النار فدائم بدوامها، وأهلها فيها مخلدون خالدون"**: كذلك فيه إثبات اعتقاد أهل السنة والجماعة على أن النار كالجنة لا تفنى ولا تبيد، وأهلها خالدون فيها، بدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف هذه الأمة:

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١١٨ ـ ٣٢٤٥)، [باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة]، كتاب بدء الخلق، ومسلم (٤/ ٢١٧٨ ـ ٢٨٣٤)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٧ ـ ٢٧٩٦)، باب الحور العين، كتاب الجهاد والسير.

ـ أما الكتاب: فقوله تعالى في خلود أهلها في آيات لا تعد كثرة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٨ ـ ١٦٩]، وقوله تعالى ذكره: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، وقوله تعالى ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

ـ وأما من السنة فتقدم قريباً حديث أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه المتفق عليه: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾». وروى مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أيضاً، قَالَ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ ـ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ ـ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ»(١).

ـ وقد تقدم قول الإمام أحمد في معرض بيان ما يجب من الاعتقاد: "وخلق النار، قبل خلق الخلق، وخلق لها أهلا، وعذابها دائم"(٢)، وقول ابن حزم حين نقل الإجماع على خلق الجنة والنار وبقائهما بلا نهاية: "كل

(١) صحيح مسلم (١٧٢/١ ـ ١٨٥)، كتاب الإيمان.
(٢) انظر: طبقات الحنابلة (٣٤٣/١).

هذا إجماع من جميع أهل الإسلام، ومن خرج عنه خرج عن الإسلام"[١].

* م الخامسة: وفي قول المصنف: " **وأهلها فيها مخلدون خالدون من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسك بالسنة**": أي أن أهل النار الذين يخلدون فيها في هذه الأمة هم الذين خرجوا من الدنيا بعد بعثة النبي ﷺ وقيام الحجة عليهم وهم على الشرك والكفر، فلم ينطقوا بالشهادتين: أشهد أن إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، ولم يأتوا بمقتضاها الواجب اعتقاداً وعملاً من أنه لا معبود بحق إلا الله، وأنه لا يعبد الله إلا بما جاء عن طريق محمد ﷺ، أما من جاء بتوحيد القصد وتوحيد الاتباع نُجِّيَ من الخلود في النار، ما لم يأت بناقض من نواقض الإسلام. وهذا معنى قول المصنف "**ولا متمسك بالسنة**" أي أن الخالد في النار من لم يقرّ بنبوة محمد ﷺ، ولا يصدق بأخباره الثابتة، ولا يرى التعبد لله بشرعه؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه مسلم[٢]. هذا المقصود لاقترانه بالتوحيد، وليس مقصود المصنف في قوله: "**ولا متمسكاً بالسنة**" الذي يترك سنة من السنن أو واجباً من الواجبات التي ليس تركها من نواقض الإسلام، فإن مثل هذا لا يخلد في النار.

* م السادسة: خالفت طائفتان الكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة

(١) الدرة فيما يجب اعتقاده (ص: ٢).
(٢) صحيح مسلم (١/١٣٤ ـ ١٥٣)، كتاب الإيمان.

الدين في القول ببقاء النار وخلود الكافرين فيها دون عصاة أهل التوحيد كما قال المصنف: "**وأهلها فيها مخلدون خالدون**":

(الطائفة الأولى): وهم القائلون ببقاء النار وخلود كل من يدخل النار، ولو كانوا من أهل التوحيد، وهم الخوارج والمعتزلة الذين بنوا باطلهم على تكفير المسلمين بالذنوب، فكل من ارتكب ذنباً، فإنه كافر خالد مخلد في نار جهنم، وإن كان المعتزلة يخالفون الخوارج في أحكام الدنيا، فالمعتزلة يرون أنه في منزلة بين المنزلتين، فلا هو مؤمن ولا كافر، ويجرون عليه أحكام الإسلام في الدنيا، ولكنهم يتفقون مع الخوارج في أحكام الآخرة بأنه مخلد في نار جهنم، فضلوا في مقدمتين ضالتين مخالفتين للكتاب والسنة وإجماع السلف: أحدها: تكفير الموحدين من أهل الكبائر. الثانية: ردهم لكثير من النصوص الدالة على خروج عصاة الموحدين من النار بالشفاعة كما سيأتي قريباً.

(الطائفة الثانية): القائلون بعدم استمرار عذاب أهل النار، على اختلاف في ضلالاتهم في رد ما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة الدين:

١ ـ فمن قائل بفناء النار والجنة، وهم الجهمية.

٢ ـ ومن قائل إن أهلها يخرجون منها، وتبقى على حالها خالدة لا تبيد.

٣ ـ ومن قائل إن أهلها يعذبون فيها مدة، ثم تنقلب طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم، وهذا قول إمام الاتحادية الزنادقة ابن عربي.

٤ ـ ومن قائل إن حياة أهل النار تفنى، ويصيرون جماداً لا يتحركون، ولا يحسون بألم، وهو قول أبي هذيل العلاف من أئمة المعتزلة، قال بذلك لأنه يقول بامتناع حوادث لا نهاية لها(١).

ـ وهذه الأقوال من أقوال أهل البدع المبنية على مقدمات فاسدة بلا استدلال بكتاب أو سنة أو أثر عن السلف، وإنما مجرد تخرصات مصادمة للدليل.

❊ **م السابعة:** قد نسب لبعض أهل السنة كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم القول بفناء النار بحجة أن الله لم يخبر ببقاء النار كالجنة، بل أخبر بخلود أهلها وعدم خروجهم منها مدة بقائها وبقاء عذابها وهو حقٌّ، لكن الله ﷻ يفنيها بمن فيها ويزيل عذابها، واحتجوا لهذا القول بأمرين:

الأول: من حيث النظر: وهو أن الجنة من آثار رحمة الله ﷻ الذاتية المتصف بها منذ الأزل، بخلاف النار التي هي أَثَرُ صفة فعلية اختيارية وهي الغضب، فإذا قدر وجود عذاب لا آخر له، للزم أن يكون الغضب صفة ملازمة لا تسبقها الرحمة، وفي "الصحيحين" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه رفعه: «إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»(٢). لذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠]، ثم قال: "الرحمة صفة له مذكورة في أسمائه الحسنى، وأما العذاب والعقاب فجعلهما من مفعولاته غير

---

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم (ص: ٣٥٢)، وفتح الباري لابن حجر (٤٢١/١١)، والموسوعة العقدية (الدرر السنية: ٢٣٢/٥).

(٢) صحيح البخاري (١٢٥/٩ ـ ٧٤٢٢)، كتاب التوحيد [باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾]، ومسلم (٢١٠٧/٤ ـ ٢٧٥١)، كتاب التوبة. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مذكورين في أسمائه"(١).

الثاني: من حيث الأثر:

ـ فمن القرآن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، ولم يأت بعد هذا الاستثناء ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة، وهو قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، وكذا استدلوا بقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣]، قالوا: وهو في سياق وعيد الكفار المكذبين بآياته، فأفاد مفهوم الأحقاب أنه لا خلود في النار، إذ الأبدي لا يقدر بالأزمان والأحقاب.

ـ ومن السنة النبوية أحاديث: منها أثر الحَسَنِ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قال: «لَوْ لَبِثَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ لَكَانَ لَهُمْ يَوْمٌ يَخْرُجُونَ فِيهِ»، رواه عبد بن حميد في تفسيره(٢). وكذلك أثر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: "يَأْتِي عَلَى جَهَنَّمَ زَمَانٌ تَخْفِقُ أَبْوَابُهَا لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ ـ يَعْنِي مِنَ الْمُوَحِّدِينَ ـ "، رواه

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٢٩٥).
(٢) أسنده شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على من قال بفناء الجنة والنار (ص: ٥٣)، وابن كثير في مسند الفاروق (٢/٥٤١ ـ ٣٧)، قال ابن كثير: "فيه انقطاع بين الحسن وعمر، فإنَّه لم يَسْمع منه، وفيه غرابة جدًّا". وغرابته أنه من مراسيل الحسن، وهي من أضعف المراسيل لأنه يسقط الضعفاء، قال الإمام أحمد (المعرفة والتاريخ للفسوي: ٣/٢٣٩): "ليس في المرسلات أضعف من مراسيل الحسن وعطاء بن أبي رباح فإنهما يأخذان عن كل أحد". وانظر شرح علل الترمذي لابن رجب (١/٥٣٨). وفيه حماد بن سلمة وهو وإن كان ثقة إلا أنه تغير حفظه، ولذا تراه في هذا الأثر مرة يرويه عن ثابت عن الحسن، وأخرى عن حميد عن الحسن.

البزار والفسوي(١). وروي عن صحابة آخرين نحوٌ من هذا(٢).

ـ والصواب الذي لا شك فيه ما عليه أئمة الدين والسنة، واعتمدوه في كتب الاعتقاد بلا استثناء: من بقاء النار وعدم فنائها؛ لما تقدم من النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة من خلود أهلها، وعدم خروجهم، ولو لم يأت نص صريح بلفظ البقاء والديمومة، فإنه لا يفهم المسلم من النصوص السابقة إلا ذلك، وظاهر النص من المرجحات كما قرره أهل الأصول، بل لو لم يرد في رد زعمهم بفناء النار ـ إلا قوله تعالى ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقوله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، وفي ردِّ زعمهم بموت أهلها قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فاطر: ٣٦]، ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]، ومناداتهم يوم القيامة كما تقدم: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ،

(١) رواه يعقوب الفسوي في المعرفة والتاريخ (١٠٣/٢)، والبزار في البحر الزخار (٤٤٢/٦ ـ ٢٤٧٨)، من طريق أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عمرو ﵄ موقوفًا، زاد الفسوي: " قال ثابت البناني: سألت الحسن عن هذا؟ فأنكره". وأبو بلج هذا ضعيف، قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٨٥/٤): "ومن بلاياه: الفسوي في تاريخه، حدثنا بندار، عن أبي داود، عن شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد. وهذا منكر".

(٢) روى الخطيب في تاريخ بغداد (١٢٣/٩)، وابن الجوزي (٢٦٨/٣) في كتاب الموضوعات، من طريق جعفر عن القاسم عن أبي أمامة: أن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي عَلَى جَهَنَّمَ يَوْمٌ مَا فِيهَا مِنْ بَنِي آدَمَ أَحَدٌ تَخْفِقُ أَبْوَابُهَا كَأَنَّهَا أَبْوَابُ الموحدين»، قال ابن الجوزي: "هذا حديث موضوع محال، وجعفر ـ هو ابن الزبير ـ قال شعبة: كان يكذب، وقال يحيى: ليس بثقة، وقال السعدي: نبذوا حديثه، وقال البخاري والنسائي والدارقطني: متروك". وقال الذهبي في ترجمته في ميزان الاعتدال (٤٠٧/١): "ويروي بإسناد مظلم عنه حديث متنه: يأتي على جهنم يوم ما فيها أحد من بنى آدم، تخفق أبوابها".

وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» ـ لكفى في ذلك. وأما الجواب بالتفصيل عن أدلة القائلين بفناء النار، فمن أوجه:

الأول: قولهم: إن النار أَثَرُ صفة فعلية اختيارية وهي الغضب، ووجود عذاب لا آخر له يلزم منه أن يكون الغضب صفة ملازمة، وهذا ينافي اتصافه تعالى بصفة الرحمة الملازمة للذات، فجوابه في قوله تعالى ﴿عَذَابِيَ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فهو مع بيانه لرحمته التي وسعت كل شيء لم ينف ذلك وقوع العذاب في نفس الوقت على من يشاء، بل قال بعدها: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، ثم إن هذا القياس دخول في تكييف الصفات الذي نهى السلف عنه، فحينما أثبت الله نزوله للسماء الدنيا مع علوه، سكت السلف عن الكيفية، فقالوا: ينزل بلا كيف، أي تُعْلَم، وهنا يقال يرحم من يشاء ويعذب من يشاء بلا كيف، فهو أعلم بنفسه، مع عدم التسليم بأن الرحمة صفة ذات، بل هي صفة فعلية ذاتية.

الثاني: أما استدلالهم بقوله ﷻ في ذكر أهل النار: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، فجوابه بتأصيل وتوجيه:

*** أما التأصيل فمن وجهين:**

١ ـ أن استدلالهم بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من المتشابه الذي يرد إلى المحكم من النصوص الدالة على خلود النار وأهلها؛ كقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَا هُم

بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقوله ﷺ في المتفق عليه: "يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ"، فنفى قطعاً ثلاثة أشياء: الموت، وتخفيف العذاب، والخروج منها.

٢ ـ أن استدلالهم بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فيه إجمال مخالف لظاهر النصوص المتواترة بالخلود الذي لا انقطاع معه، والظهور من المرجحات، فالظاهر مقدم على المجمل كما يقرر في الأصول.

*** أما التوجيه فمن أربعة أوجه يحمل الاستثناء على أحدها:**

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: أي إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين. فهو دليل محكم على إثبات الشفاعة، لا على نقض الآيات والأحاديث المتواترة ببقاء النار وخلود أهلها.

٢ ـ أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ راجع لفترة تنقلهم بين أنواع العذاب كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ﴾ [ص: ٥٧ ـ ٥٨]، فإذا عذبوا بالحميم والغساق انتقلوا لغيره، كما في قوله تعالى ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ﴾ [الرحمن: ٤٣ ـ ٤٤].

٣ ـ أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: هو استثناء لمدة الحشر والحساب التي بين بعثهم من قبورهم وقد دخلت أرواحهم النار، وبين استقرارهم فيها.

٤ ـ أن الاستثناء من الخلود لأهل النار بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ

إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، وعن أهل الجنة بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، بيان من الله أن من اكتسب صفة من صفات الله ﷻ وهي البقاء السرمدي خاصة في الجنة، إنما أعطي بمشيئته وقدرته.

الثالث: أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣]، على فناء النار وانقطاعها، فلا يصح أيضاً من أوجه:

١ ـ أنه ذهول عما عُقِّبَت به الآية من قوله ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، فإن المراد لن نزيدكم بعد لبث الأحقاب إلا عذاباً، فانتفى المفهوم الذي جعلوه دليلاً على فناء النار وعدم أبديتها.

٢ ـ أن قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣]: متعلق بما بعده؛ أي يلبثون أحقابًا لا يذوقون فيها إلا حميمًا وغساقًا، فإذا انقضت تلك الأحقاب عذبوا بأنواع أخر من أنواع العذاب غير الحميم والغساق؛ كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: ٥٧ ـ ٥٨].

٣ ـ أن الاستدلال بالآية استدلال بمفهوم العدد، وهو من أضعف أنواع الاستدلال في الفروع، فكيف بهذه المسألة العظيمة، على أن هذا المفهوم قد خالفه منطوق الآيات الصريحة بالتأبيد والخلود، وهو مقدم عليه بالاتفاق.

٤ ـ أن بعض السلف فسروا الآية بعكس ما ذكر، وأنه يدل على الخلود، فقد نقل الطبري عن الحسن البصري أنه قال: "أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار". وعن قتادة قال: "وهو ما لا انقطاع له، كلما

مضى حقب جاء حقب بعده"[(١)].

الرابع: أما ما نقل عن الصحابة أو من بعدهم فالرد عليه من أوجه:

١ ـ أن ما جاء عن عمر وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم وغيرهما من السلف لم يثبت منه شيء، فحديث عمر رضي الله عنه يرويه الحسن عنه، وهو منقطع، وتقدم أن مراسيل الحسن عندهم واهية لأنه كان يأخذ من كل أحد. وأما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، فتقدم أن الحسن أنكره، وفيه أبو بَلْج عدّه الذهبي من بلاياه، ولو صح فهو محمول على ما في آخر الموقوف عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "يَعْنِي مِنَ الْمُوَحِّدِينَ"، قال الحافظ ابن حجر: "وهذا الأثر عن عمر لو ثبت حمل على الموحدين، وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول السابع ونصره بعدة أوجه من جهة النظر، وهو مذهب رديء مردود على قائله"[(٢)]. وقد نفى الصنعاني[(٣)] ومن بعده الألباني[(٤)] ثبوت القول بفناء النار عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، وإنما هي آثارٌ باطلة واهية لا تقوم بها حجة.

٢ ـ أنه لو صح عن بعض السلف، فإنه محمول على نار عصاة أهل التوحيد فهي التي لا يبقى فيها أحد من أهل التوحيد قطعاً، ولذا لما رد القرطبي على الذين قالوا بفناء النار، قال: "وإنما تخلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد"[(٥)].

---

(١) تفسيره جامع البيان (٢٤/١٦٢).

(٢) فتح الباري (١١/٤٢٢). وقوله: "مال بعض المتأخرين إلى هذا القول السابع" يقصد قول من قال يزول عذابها ويخرج أهلها، وأظنه يقصد بالمتأخر ابن القيم.

(٣) الرد على القائلين بفناء النار (١٦).

(٤) كما في حاشية الطحاوية (٤٢٤).

(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٤٣٦)

٣ ـ أما ما نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم فغايته أنهما نقلا الأدلة الدالة على فناء النار، ولم يجزم أحد منهم بفناء النار، بل قال ابن القيم: "سألت عنها شيخ الإسلام قدس الله روحه، فقال لي: هذه المسألة عظيمة كبيرة، ولم يجب فيها بشيء"[(١)]. وهو بعد أن ذكر أكثر من عشرين دليلاً على ذلك، قال: "فإن قيل: فإلي أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن، التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة، قيل: إلى قوله ﷻ ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]"[(٢)].

وكذلك فإن الشيخين صرحا في مواطن أخرى بعدم فنائها كما تقول الجماعة، قال شيخ الإسلام: "وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية، كالجنة والنار والعرش"[(٣)]. وقال ابن القيم: "دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة"[(٤)].

(١) شفاء العليل (٢٦٤).
(٢) حادي الأرواح (٣٨٧).
(٣) تلبيس الجهمية (١/٥٨١).
(٤) الوابل الصيب (٢٠).

قال المصنف:

"فأما المسيئون الموحدون فإنهم يخرجون منها بالشفاعة. وقال النبي ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي).

لما ذكر المصنف خلود الكفار في النار، بيّن هنا أن عصاة أهل التوحيد يخرجون منها بالشفاعة، وفيه مسائل:

* م الأولى: الشفاعة هي: توسل الشافع بالله للمشفوع له برفعة منزلة أو دفع عذاب، ويدخل تحت هذا التعريف جميع أنواع الشفاعات، وهي على نوعين:

النوع الأول: الشفاعة في الدنيا، وهي على قسمين:

ـ القسم الأول: الشفاعة لرفع المنزلة في الجنة؛ لما روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبيَّ ﷺ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ»[١]. وله أيضاً عن ربيعة بن كعب رضي الله عنه لمّا سأل النَّبيَّ مرافقته في الجنة: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[٢].

ـ القسم الثاني: الشفاعة للنجاة من العذاب؛ لما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا؛ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ»[٣]. وهذه الثانية ينكرها أهل البدع في

(١) صحيح مسلم (٢/٦٣٤ ـ ٩٢٠)، كتاب الجنائز.
(٢) صحيح مسلم (١/٣٥٣ ـ ٤٨٩)، كتاب الصلاة.
(٣) صحيح مسلم (٢/٦٥٥ ـ ٩٤٨)، كتاب الجنائز.

أهل الكبائر.

النوع الثاني: الشفاعة في الآخرة، وهي على قسمين:

ـ القسم الأول: الشفاعة الخاصة بنبينا محمد ﷺ، وهي أنواع:

١ ـ الشفاعة الأولى: الشفاعة العظمى: وهي طلب النبي ﷺ من ربه ﷻ إراحة الناس من الموقف بمجيئه لفصل القضاء، وهي المقام المحمود الذي ذكر الله ﷻ له ووعده إياه، وأمرنا ﷺ أن نسأل الله إياه له بعد كل أذان. روى البخاري في: [باب قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]]، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ! اشْفَعْ، يَا فُلَانُ! اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقَامَ المَحْمُودَ»(١). وفي "الصحيحين" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذكر إتيان الناس للأنبياء في الموقف لطلب الشفاعة للقضاء، فيمتنعون، حتى قال: «ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي»(٢). وعند مسلم عن أُبَيٍّ رضي الله عنه: أن الله ﷻ أعطى نبيه ثلاث دعوات، فقال ﷺ: «فَقُلْتُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ»(٣).

(١) صحيح البخاري (٦/٨٦ ـ ٤٧١٨)، كتاب تفسير القرآن.

(٢) صحيح البخاري (٦/١٧ ـ ٤٤٧٦)، [باب قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١/١٨٤ ـ ١٩٤)، كتاب الإيمان.

(٣) صحيح مسلم (١/٥٦١ ـ ٨٢٠)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

٢ ـ شفاعته ﷺ في دخول أهل الجنة الجنة: ففي مسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»(١). وفي مسلم أيضاً عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»(٢).

٣ ـ شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب؛ لما روى الشيخان عن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قال ﷺ عن عمِّه: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»(٣). ولهما عن العَبَّاسِ رضي الله عنه، قَالَ ﷺ: «وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»(٤).

ـ القسم الثاني: الشفاعة العامة التي لا تكون للنبي ﷺ خاصة، بل يشاركه فيها الأنبياء والملائكة والشهداء والصالحون وغيرهم؛ لما روى الشيخان واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ

(١) صحيح مسلم (١/١٨٨ ـ ١٩٦)، كتاب الإيمان.
(٢) صحيح مسلم (١/١٨٨ ـ ١٩٧)، كتاب الإيمان.
(٣) صحيح البخاري (٥/٥٢ ـ ٣٨٨٥)، [باب قصة أبي طالب]، كتاب مناقب الأنصار، ومسلم (١/١٩٥ ـ ٢١٠)، كتاب الإيمان.
(٤) صحيح البخاري (٥/٥٢ ـ ٣٨٨٣)، [باب قصة أبي طالب]، كتاب مناقب الأنصار، ومسلم (١/١٩٤ ـ ٢٠٩)، كتاب الإيمان.

لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ" ـ حتى قال ـ: "فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»[(١)]. وأنواع الشفاعة العامة:

١ ـ الشفاعة لخروج من دخل النار من أهل التوحيد، وسيأتي الكلام عليها.

٢ ـ الشفاعة لمن استحق النار أن لا يدخلها: لما روى ابن أبي الدنيا في "كتاب الأهوال": عن عبد الله بن الحارث مرسلاً: أن النبي ﷺ يقول يوم القيامة: «يَا رَبِّ! قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي قَدْ أَمَرْتَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ. قَالَ: فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهُمْ. قَالَ: فَأَنْطَلِقُ، فَأُخْرِجُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أُخْرِجَ»، وإسناده إلى مرسله التابعي لا يصح أيضاً[(٢)].

وروى ابن أبي عاصم في "السنة"، والطبراني في "المعجم الأوسط": عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ ﷺ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن

(١) صحيح البخاري (٩/١٢٩ ـ ٧٤٣٩)، [باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾]، كتاب التوحيد، ومسلم (١/١٦٧ ـ ١٨٣)، كتاب الإيمان.

(٢) ليس في المطبوع من كتاب الأهوال، لكن أسنده ابن كثير في البداية والنهاية (٢٠/١٩٠). من طريق إسماعيل بن عبيد، عن محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم الحراني، عن زيد ابن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث مرسلاً، وهو بالإضافة إلى إرساله ففيه إسماعيل بن عبيد (ميزان الاعتدال: ١/٢٣٨) وثّقه الدارقطني وغيره، ولكن قال الجعابي: يحدث عن ابن سلمة بعجائب.

فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣]: "الشَّفَاعَةَ لِمَنْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ مِمَّنْ صَنَعَ إِلَيْهِمُ الْمَعْرُوفَ فِي الدُّنْيَا". قال الطبراني: "لم يرو هذا الحديث عن الأعمش؛ إلا إسماعيل الكندي، تفرد به بقية"(١). ورواه ابن أبي حاتم بنفس الإسناد لكن بمتن آخر عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: «أُجُورَهُمْ أَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ»، ثم قال: "حديث منكر بهذا الإسناد"(٢)، وقال الذهبي في ترجمة الكندي: "عن الأعمش، وعنه بقية، بخبر عجيب منكر"(٣). وقال ابن كثير: "هذا إسناد لا يثبت، وإذا روي عن ابن مسعود موقوفاً فهو جيد"(٤). قلت: بل رواه ابن أبي حاتم بهذا الإسناد عن الأعمش من قوله مقطوعاً، وهو الصواب(٥).

وذكر السيوطي في كتابه "البدور السافرة في أمور الآخرة" أحاديث أخرى كلها ضعيفة جداً، واستدل الحافظ ابن حجر لهذه الشفاعة، فقال: "ودليل الثالثة قوله في حديث حذيفة عند مسلم (ونبيكم على الصراط يقول رب سلم)"(٦).

قلت: وقد يستدل لهذه الشفاعة عندي بأحاديث:

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٤٠٨ ـ ٨٤٦)، [باب في ذكر من يخرج الله بتفضله من النار]، والطبراني في المعجم الأوسط (٦/٥٣ ـ ٥٧٧٠).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢/٦٦٤ ـ ٣٥٩٨).
(٣) ميزان الاعتدال (١/٢٣٥).
(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/٧٠).
(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٦١٠ ـ ١٤٦٦٤) من طريق إسماعيل الكندي عن الأعمش قوله.
(٦) فتح الباري (١١/٤٢٨).

١ ـ قوله ﷺ فيما روى مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه حين ذكر المدينة: «لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا، فَيَمُوتَ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا ـ أَوْ شَهِيدًا ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا»[(١)]، فهذا يقتضي شفاعته ﷺ لمن استحق النار من أهل المدينة أن لا يدخلها.

٢ ـ قوله ﷺ فيما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ ذكر أهل الغلول الذين ينادونه ﷺ في العرصات: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ»[(٢)]. فهذا النص يفهم منه معرفة الناس بالإذن لرسول الله بالشفاعة قبل الدخول للنار، إلا أن النبي ﷺ لم يفعل لوجود المانع في حقهم.

٣ ـ قوله فيما رواه أحمد والترمذي عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «سَأَلْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: قَالَ: أَنَا فَاعِلٌ، قَالَ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ، قُلْتُ: فَإِذَا لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ، لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». صححه الضياء، وقال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ". لكن تقدم أن فيه نكارة في إسناده ومتنه، ففيه من لا يحتمل تفرده في مثل هذا السياق الغريب في طلب أنس رضي الله عنه، وترتيب المواطن[(٣)]، قال

(١) صحيح مسلم (٢/١٠٠٢ ـ ١٣٧٤)، كتاب الحج.
(٢) صحيح البخاري (٤/٧٤ ـ ٣٠٧٣)، [باب الغلول]، كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٣/١٤٦١ ـ ١٨٣١)، كتاب الإمارة.
(٣) تقدم تخريجه عند قول المصنف "ثم الإيمان بالحوض" في المسألة الرابعة، حيث رواه أحمد=

ابن كثير: "ظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط، وكذلك الميزان أيضاً، وهذا لا أعلم به قائلاً"[(١)].

* لكن يشكل على هذه الأحاديث أن الثابت في الأحاديث الصحيحة أن الشفاعة العامة إنما تحل بعد المرور ودخول الناس النار ومجاوزة الصراط، والله أعلم، فمن ذلك:

١ ـ روى مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ ـ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ ـ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ»[(٢)].

٢ ـ في مسلم أيضاً عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عن النبي ﷺ، وفيه ذكر الصراط، ثم قال: «ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[(٣)].

٣ ـ ولمسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ»[(٤)]، وفي لفظ لغير

= والترمذي واللالكائي، وصححه الضياء في المختارة، من طريق حرب بن ميمون أبي الخطاب البصري، وقد ذكره البخاري وابن عدي والعقيلي في كتبهم في "الضعفاء"، ويؤيد عدم الاحتجاج بتفرده أن المتن هنا فيه نكارة ظاهرة كما قال ابن كثير.

(١) البداية والنهاية (٤٧١/١٩).
(٢) صحيح مسلم (١٧٢/١ ـ ١٨٥)، كتاب الإيمان.
(٣) صحيح مسلم (١٧٧/١ ـ ١٩١)، كتاب الإيمان.
(٤) صحيح مسلم (١٦٧/١ ـ ١٨٣)، كتاب الإيمان.

مسلم: «فَنَنْطَلِقُ حَتَّى نَأْتِيَ الْجِسْرَ وَعَلَيْهِ خَطَاطِيفُ مِنْ نَارٍ تَخْطَفُ النَّاسَ، وَعِنْدَهَا حَلَّتِ الشَّفَاعَةُ»(١).

٤ ـ وفي "الصحيحين" عنه أيضاً رضي الله عنه واللفظ لمسلم، قال، قال ﷺ: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ" ـ فذكر المرور على الصراط ثم قال ـ: "حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ»(٢).

* **م الثانية:** قول المصنف **"فأما المسيئون الموحدون فإنهم يخرجون منها بالشفاعة وقال النبي ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)** أي شفاعة نبينا والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء والصالحين والملائكة لإخراج عصاة أهل التوحيد من النار وإدخالهم الجنة. وهذه الشفاعة التي ينكرها الخوارج والمعتزلة الذين يقولون بتخليد أهل الكبائر في النار، وأنه لا يخرج

(١) تقدم أنه رواه الحميدي (٢/٢٩٨ ـ ١٢١٢)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/٢٣٤ ـ ٤٢٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٨٢ ـ ٦٣٢)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/٣٧٣)، وابن حبان (١٠/٤٩٩ ـ ٤٦٤٢)، وابن منده في كتاب الإيمان (٢/٧٩١ ـ ٨٠٩)، والدارقطني في كتاب رؤية الله (١١٧ ـ ١٧)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٦/١٢٣٩ ـ ٢١٩٧)، من طريق سفيان بن عيينة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث جيد على شرط مسلم، وصححه كما ترى ابن حبان.

(٢) صحيح البخاري (٩/١٢٩ ـ ٧٤٣٩)، [باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾]، كتاب التوحيد، ومسلم (١/١٦٧ ـ ١٨٣)، كتاب الإيمان.

من النار أحد بعد دخولها، واستدلوا بعمومات: كقوله ﷻ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وقوله تعالى ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، وجحدوا آيات وأحاديث متواترة كثيرة تخصصها بالكفار والمشركين، كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ ـ ٣٦]. وقد ردّ الصحابة رضي الله عنهم على هذا القول الباطل بأحاديث الشفاعة: فقد روى مسلم عن يزيدَ الْفَقِيرِ: أنه في طائفة ممن شغفهم رأي الخوارج سمعوا جابرًا رضي الله عنه يذكر الجهنميين، قَالَ: «فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ! مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وَ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]" ـ ثم حدثهم ـ: أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: ـ يَعْنِي ـ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ. فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيْحَكُمْ أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ»(١).

وقد أورد المصنف للرد عليهم حديث "شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"، وهو حديث صحيح، جاء عن أنس رضي الله عنه بأسانيد متعددة صحيحة عنه،

(١) صحيح مسلم (١/١٧٩ ـ ١٩١)، كتاب الإيمان.

وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم[١]، وله شواهد عن ثمانية من الصحابة ﷺ[٢]. وأحاديث الشفاعة الصريحة كثيرة جداً لا تخفى إلا على من ضل على علم، فمنها:

١ ـ ما في "الصحيحين" عَنْ أَنَسٍ بن مالك ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وذكر الشفاعة: «ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ، أَوِ الرَّابِعَةِ، حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ». وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ[٣].

٢ ـ وفيهما عَنْه ﷺ بلفظ: «فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»[٤].

---

(١) رواه الترمذي (٤/٦٢٥ ـ ٢٤٣٥)، [باب ما جاء في الشفاعة]، أبواب صفة القيامة، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٩٩ ـ ٨٣٢)، [باب في ذكر شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر]، وابن خزيمة في التوحيد (٢/٦٥١)، [باب ذكر أبواب شفاعة النبي ﷺ]، وابن حبان (١٤/٣٨٧ ـ ٦٤٦٨)، [ذكر إثبات الشفاعة في القيامة]، والحاكم (١/١٣٩ ـ ٢٢٨)، كتاب الإيمان، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٤٨٩ ـ ٣٠٥)، من طرق عن عبد الرزاق، عن معمر، عن ثابت، عن أنس به مرفوعاً. وهو إسناد صحيح صححه المحدثون، وهو طريق واحد عن أنس، وله طرق كثيرة، قال البيهقي بعده: "وروي ذلك عن أشعث الحداني، ومالك بن دينار، وثابت، وقتادة، وزياد النميري، ويزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك".

(٢) انظر لتفصيلها: أنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري (٥/٣٣٦٥ ـ ٢٢٨٦).

(٣) صحيح البخاري (٨/١١٦ ـ ٦٥٦٥)، [باب صفة الجنة والنار]، كتاب الرقاق، ومسلم (١/١٨٠ ـ ١٩٣)، كتاب الإيمان.

(٤) صحيح البخاري (٩/١٤٦ ـ ٧٥١٠)، [باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم]، كتاب التوحيد، ومسلم (١/١٨٢ ـ ١٩٣)، كتاب الإيمان

٣ ـ وروى مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ أيضاً، قَالَ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ ـ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ ـ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»(١).

٤ ـ وفي "الصحيحين" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قال ﷺ: «حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ المَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ. فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»(٢).

❊ **م الثالثة:** أن أمر الشفاعة موقوف على شروط وله موانع، فالشفاعة للكفار لا تنفعهم ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء جاهاً؛ لقوله ﷻ عنهم ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ولذا ذكر العلماء أن للشفاعة يوم القيامة شرطين:

(الشرط الأول): الإذن من الله للشافع؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ

(١) صحيح مسلم (١/١٧٢ ـ ١٨٥)، كتاب الإيمان.

(٢) رواه البخاري (٩/١٢٨ ـ ٧٤٣٧)، في كتاب التوحيد، [باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾]، ومسلم (١/١٦٣ ـ ١٨٢)، كتاب الإيمان.

عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، ولذا ففي "الصحيحين" عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن الناس يمرون على أولي العزم من الرسل لطلب الشفاعة، فكلهم يعتذر حتى يأتوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيسجد ويحمد حتى يقال له: «يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»(١). وتقدم قريبًا ما رواه مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ».

(الشرط الثاني): رضاه عن الشافع والمشفوع له؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]. قال البغوي: "قال ابن عباس: (يعني: قال: لا إله إلا الله). وهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن"(٢).

فأحق الناس بذلك هم أهل التوحيد؛ لما روى البخاري عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»(٣). أما الكفار فإن الله لا يرضى أن يشفع فيهم أحد، كما في قوله تعالى ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم عليه السلام يشفع

(١) صحيح البخاري (٦/١٧ ـ ٤٤٧٦)، [باب قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١/١٨٤ ـ ١٩٤)، كتاب الإيمان.

(٢) تفسيره (٥/٢٩٦).

(٣) صحيح البخاري (١/٣١ ـ ٩٩)، [باب الحرص على الحديث]، كتاب العلم.

لأبيه يوم القيامة فيقول: «يَا رَبِّ! إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ»(١).

وفي "الصحيحين" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في ذكر الذين يُرَدُّون عن الحوض يقول ﷺ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ﴾ [المائدة: ١١٧]، قَالَ: فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»(٢).
إلا أنه يستثنى من هذا الشرط حالتان:

الأولى: قبول الشفاعة بإذن الله تعالى لمن لا يرضى عنه، وذلك في شفاعة النبي ﷺ لعمه الكافر أبي طالب لتخفيف عذاب النار دون الخروج منها، كما تقدم قريباً في قوله ﷺ عنه: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ». رواه الشيخان عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

الثانية: عدم قبول الشفاعة لبعض عصاة أهل التوحيد الذين لم يرد الله لهم النجاة من النار ابتداء:

لما في "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ ذكر أهل الغلول الذين

(١) صحيح البخاري (٤/١٣٩ ـ ٣٣٥٠)، [باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾]، كتاب أحاديث الأنبياء.

(٢) صحيح البخاري (٦/٥٥ ـ ٤٦٢٥)، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٤/٢١٩٤ ـ ٢٨٦٠)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

ينادونه ﷺ في العرصات: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ»(١).

وفيهما عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه: قَالَ ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ. لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي، يَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٢).

※ **م الرابعة:** جاء في كتاب الله تعالى ما يدل على نفي الشفاعة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وهذه الشفاعة المنفية في يوم القيامة هي الشفاعة الشركية، وذلك أن الكفار يعبدون الأصنام، ويقولون: إن الأصنام تشفع لنا، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، والمعنى: أتخبرون الله أن له شريكاً وشفيعاً بغير إذنه، لذا يقول تعالى لهم يوم القيامة: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾ [الأنعام: ٩٤]، فنفى سبحانه الشفاعة من الطواغيت لمن

(١) صحيح البخاري (٤/٧٤ ـ ٣٠٧٣)، [باب الغلول]، كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٣/١٤٦١ ـ ١٨٣١)، كتاب الإمارة.

(٢) صحيح البخاري (٩/٤٦ ـ ٧٠٤٩)، [باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾]، كتاب الفتن، ومسلم (٤/١٧٩٦ ـ ٢٢٩٧)، كتاب الفضائل.

يعبدها، وأثبتها بإذنه لعصاة أهل التوحيد من أهل التوحيد كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أي إلا من شهد شهادة الحق "لا إله إلا الله". قال قتادة: "أي لا يشفعون لعابديها إلا من شهد بالحق، يعني عزيرًا وعيسى والملائكة، فإنهم يشهدون بالحق والوحدانية لله"(١).

بل إن هذه الطواغيت والأوثان التي يزعمون شفاعتها لهم ستقدمهم إلى النار، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقوله عن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]. ولم يستثن الله إلا الصالحين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، لأنهم لم يرضوا بعبادتهم بل هم عابدون لله يدعونه ويدعون إليه، كما قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، روى الشيخان واللفظ لمسلم عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، قَالَ: "كَانَ نَفَرٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ، وَاسْتَمْسَكَ الإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]"(٢).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٦/١٢٢).

(٢) صحيح البخاري (٦/٨٥ ـ ٤٧١٤) [باب ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٤/٢٣٢١ ـ ٣٠٣٠)، كتاب التفسير.

قال المصنف:

"وأطفال المشركين في النار".

لما ذكر المصنف اعتقاد أهل السنة على خلود أهل الجنة في الجنة وخلود الكفار في النار، بين هنا أن الأطفال الذين يموتون قبل البلوغ تبع لآبائهم، فأطفال المؤمنين في الجنة تبعاً لآبائهم، وأما أطفال المشركين ففي الدنيا هم تبع لآبائهم إذا ماتوا تحت آبائهم يدفنون في مقابر الكفار ولا يصلى عليهم، وإذا حاربوا المسلمين أخذوا في السبي؛ لحديث الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «سُئِلَ ـ أي النبي ﷺ ـ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ يُبَيَّتُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ؟ قَالَ: هُمْ مِنْهُمْ»، متفق عليه[(١)]. أما حكمهم في الآخرة فقرر المصنف أنهم كذلك تبع لآبائهم في النار، لكن قد اختلف في هذه المسألة على عشرة أقوال ذكرها ابن القيم[(٢)] في كتابه "أحكام أهل الذمة"، وأقوى هذه الأقوال ثلاثة:

ـ (القول الأول): أنهم في النار، حكاه ابن حزم عن الأزارقة من الخوارج، وهو القول الذي اختاره القاضي أبو يعلى وحكاه عن الإمام أحمد، ووهمه بذلك ابن القيم[(٣)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولم ينقل أحد قط

(١) صحيح البخاري (٤/٦١ ـ ٣٠١٢)، [باب أهل الدار يبيتون، فيصاب الولدان والذراري]، كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٣/١٣٦٤ ـ ١٧٤٥)، كتاب الجهاد والسير.

(٢) أحكام أهل الذمة (٢/١٠٨٦)، واقتصر في كتاب طريق الهجرتين (ص: ٣٨٧) على ثمانية أقوال.

(٣) أحكام أهل الذمة (٢/١١٠٠). وذكر حديثاً موضوعاً في أن أولاد المشركين في النار،=

عن أحمد أنه قال: هم في النار"[(١)]. واستدل أهل هذا القول:

١ ـ بقوله تعالى حاكيًا عن نوح عليه السلام قوله في الكفار: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، فذكر أن الكافر لا يلد إلا كافرًا.

٢ ـ وبحديث سَلَمَةَ بْنِ يَزِيدَ رضي الله عنه في "المسند" وغيره: أن النبي ﷺ قال: «الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ»، وبمثله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، صححه ابن حبان[(٢)].

٣ ـ وحديث علي رضي الله عنه في "زوائد مسند أحمد"، و"السنة" لابن أبي

= ثم قال: "أحمد نص في رواية بكر بن محمد، عن أبيه: أنه سأله عن أولاد المشركين، فقال: أذهب إلى قول النبي ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، فتوهم القاضي أن أحمد أراد هذا الحديث، وأحمد أعلم بالسنة من أن يحتج بمثل هذا الحديث".

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣٩٨/٨).

(٢) حديث سلمة بن يزيد رضي الله عنه، رواه أحمد (٢٦٨/٢٥ ـ ١٥٩٢٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٣٢٥/١٠ ـ ١١٥٨٥)، [سورة التكوير]، كتاب التفسير، والبخاري في التاريخ الكبير (٧٢/٤)، والجورقاني في الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير (٣٨٤/١ ـ ٢١٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٩/٧ ـ ٦٣١٩). وأما حديث ابن مسعود فرواه أبو داود (٢٣٠/٤ ـ ٤٧١٧)، [باب في ذراري المشركين]، كتاب السنة، والشاشي في المسند (١١٨/٢ ـ ٦٤٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٧٢/٤)، وابن حبان (٥٢١/١٦ ـ ٧٤٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٨/١٠ ـ ١٠٢٣٦)، والحديث روي مرة عن سلمة مرفوعاً، ومرة عن ابن مسعود مرفوعاً، ومرة عن ابن مسعود موقوفاً من قوله، وروي عن أبي وائل مرسلاً، وأخرى عن علقمة مرسلاً، فهو إضافة لنكارة متنه، حديث مضطرب الإسناد اضطرابًا كبيراً بينه البخاري في التاريخ الكبير (٧٢/٤ ـ ١٩٩٥)، والدارقطني في العلل (١٦١/٥ ـ ٧٩٤).

عاصم: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَوْلادَهُمْ فِي النَّارِ»(١). وبنحوه عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «إِنْ شِئْتِ أَسْمَعْتُكِ تَضَاغِيَهُمْ فِي النَّارِ»(٢).

ـ فأثبتت هذه الأحاديث دخول أطفال المشركين في النار.

* وقد أجيب عن استدلالاتهم:

١ ـ بأن ما في الآية خاص بقوم نوح؛ لأنه عليه السلام علم منهم ذلك بعد قول الله له: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، مع كون الواقع يرد هذا الفهم.

٢ ـ وأما حديث: "الْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ" فبينّا اضطرابه، ولو صح، فهو إخبار عن هذه الموءودة التي سئل عنها خاصة، لا عن كل موءودة، وأنها لو

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٢/٣٤٨ ـ ١١٣١)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٩٤ ـ ٢١٢)، [باب في ذكر أطفال المشركين]، من طريق محمد بن عثمان، عن زاذان، عن علي رضي الله عنه، ومحمد بن عثمان قال الذهبي عنه في الميزان (٣/٦٤٢): "لا يدرى من هو فتشت عنه في أماكن، وله خبر منكر". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٨/٣٩٨): "هذا حديث موضوع كذب".

(٢) رواه أحمد (٤٢/٤٨٤ ـ ٢٥٧٤٣)، وأبو داود الطيالسي (٣/١٥٣ ـ ١٦٨١)، وابن الجعد في مسنده (٤٣٦ ـ ٢٩٦٩)، وابن عبد البر في التمهيد (١٨/١٢٢)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٩/٤١)، والبيهقي في القضاء والقدر (٣٥١ ـ ٦١٧)، [باب ذكر البيان أن القلم لما جرى بما هو كائن]، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٤٤١ ـ ١٥٤١)، من طريق أبي عقيل يحيى بن المتوكل، عن بهية، عن عائشة. وأبو عقيل واهي، قال ابن عدي: "وهذه الأحاديث لأبي عقيل عن بهية عن عائشة غير محفوظة". وقال ابن الجوزي: "هذا حديث لا يصح، قال أحمد بن حنبل: يحيى بن المتوكل يروي عن بهية أحاديث منكرة، وهو واهي الحديث". وقال ابن عبد البر: "أبو عقيل هذا صاحب بهية لا يحتج بمثله عند أهل العلم بالنقل".

كبرت تكون كافرة كالغلام الذي قتله الخضر، قال الحافظ ابن عبد البر عن هذا الحديث: "آثار هذا الباب معارضة لحديث (الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ) وما كان مثله، وإذا تعارضت الآثار وجب سقوط الحكم بها، ورجعنا إلى أن الأصل أنه لا يعذب أحد إلا بذنب؛ لقوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]"[١].

٣ ـ وأما حديثا عليّ وعائشة رضي الله عنهما فضعيفان جداً، ففي الأول مجهول، وقال ابن تيمية: "موضوع كذب". وأما حديث عائشة رضي الله عنها، فهو من طريق يحيى بن المتوكل، عن بهية، وهو شبه متروك كما ذكرت؛ لذا قال ابن الجوزي في "جامع الأسانيد": "ولا يصح في تعذيب الأطفال حديث"[٢]. وقال ابن عبد البر: بعد حديث عائشة رضي الله عنها: "وهذا الحديث لو صح أيضاً احتمل من الخصوص ما احتمل غيره في هذا الباب، ومما يدل على أنه خصوص لقوم من المشركين قوله (لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار)، وهذا لا يكون إلا فيمن قد مات وصار في النار، وقد عارض هذا الحديث ما هو أقوى منه من الآثار"[٣].

ـ (القول الثاني): أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، وحكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، ونصره ابن القيم بتوسع، واستدلوا بما جاء عن جماعة من الصحابة: كالأسود بن سريع[٤]، ....

(١) الاستذكار (٣/١٣).
(٢) انظر: كنز العمال (٢/٥١٢ ـ ٤٦٢٣) فقد نقله عنه.
(٣) التمهيد (١٨/١٢٢).
(٤) رواه أحمد (٢٦/٢٢٨ ـ ١٦٣٠١)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/١٢٢ ـ ٤١)،=

وأبي هريرة[(١)]، ....

= وابن حبان (١٦/٣٥٦ ـ ٧٣٥٧)، [ذكر الإخبار عن وصف الأقوام الذين يحتجون على الله يوم القيامة]، والطبراني في المعجم الكبير (١/٢٨٧ ـ ٨٤١)، والبيهقي في القضاء والقدر (٣٦٢ ـ ٦٤٥)، وفي الاعتقاد (ص: ١٦٩)، [باب القول في الأطفال]، والضياء في الأحاديث المختارة (٤/٢٥٤ ـ ١٤٥٤)، كلهم من طريق معاذ بن هشام الدستوائي، عن أبيه، عن قتادة، عن الأحنف بن قيس، عن الأسود بن سريع ﷺ مرفوعاً، فذكر أربعة يمتحنون يوم القيامة: رجل أصم، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، وليس فيه ذكر المولود. وهذا الحديث صححه ابن حبان والضياء والبيهقي، وقال ابن كثير في جامع المسانيد (١/٢٨٠ ـ ٤٤٣): "وإسنادُهُ جيد قوي صحيحٌ". قلت: وفيه ثلاث علل: **الأولى**: معاذ بن هشام الدستوائي، مختلف فيه، وهو وإن وثقه جماعة سيء الحفظ، لذا نقل ابن عدي قول ابن معين عنه: "صدوق، وليس بحجة، ثم قال (الكامل: ٨/١٨٣): "ربما يغلط في الشيء بعد الشيء، وأرجو أنه صدوق". **الثانية**: قتادة السدوسي مدلس وقد عنعن، وسماعه من الأحنف مستبعد لصغره عند وفاته، وسيأتي أنه جعل الحديث عن أبي هريرة ﷺ. **الثالثة**: أنه قد اختلف على هشام، فرواه هنا ابن المديني وابن راهويه عن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن الأحنف، عن الأسود به مرفوعًا. وخالفهما: محمد بن المثنى عند البزار في البحر الزخار (١٧/٧٠ ـ ٩٥٩٧)، ومن طريقه ابن حزم في الفصل في الملل (٤/٦٦)، وعبد الله بن عمر عند أبي نعيم في أخبار أصبهان (٢/٢٥٥)، كلاهما عن معاذ ابن هشام، فقالا فيه: عن قتادة عن الأسود بن سريع، فأسقطا الأحنف. قال الذهبي (تذكرة الحفاظ: ٣/١٩٩) بعد أن أسند الحديث من طريق قتادة عن الأسود: "هذا غريب منقطع. وجاء عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود، ولكن قتادة لم يلق الأحنف ولا سمع منه".

(١) رواه أحمد (٢٦/٢٣٠ ـ ١٦٣٠٢)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/١٢٣ ـ ٤٢)، والبيهقي في القضاء والقدر (٣٦٢ ـ ٦٤٥)، وفي الاعتقاد (ص: ١٦٩)، [باب القول في الأطفال]، من طريق معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة ﷺ. فذكر أربعة يمتحنون يوم القيامة: رجل أصم، ورجل أحمق أو معتوه، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، وليس فيه ذكر المولود. قال البيهقي: "هذا إسناد صحيح". قلت فيه علتان: **الأولى**: اضطراب معاذ فيه: فرواه هنا عن أبيه عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة ﷺ، ورواه آنفاً عن أبيه عن قتادة عن الأحنف عن الأسود ﷺ. وهو مع=

وأبي سعيد[١]، وأنس[٢]، ومعاذ[٣]، ....

= سوء حفظه لا يحتمل هذا منه. **الثانية:** أنه خالفه من هو أوثق منه موقوفاً، فرواه الطبري في تفسيره جامع البيان (٤٠٢/١٧) عن القاسم بن الحسن، عن الحسين بن داود، عن أبي سفيان المعمري، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة قوله موقوفاً. ومن طريق محمد بن عبد الأعلى، عن محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أبي هريرة موقوفاً. ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٢/٢ ـ ١٥٤١)، [سورة بني إسرائيل: ١٣]، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ موقوفاً. فكل الروايات التي جاءت عن معمر موقوفة، وهي أقوى وأصح كما قال ابن عبد البر في التمهيد (١٣٠/١٨) خاصة رواية عبد الرزاق عنه. قلت: وجاء من وجه آخر مرفوع توبع فيه الحسن من وجه لا يفيده، رواه أسد بن موسى في الزهد (٧٦ ـ ٩٧)، وإسحاق في مسنده (٤٤٥/١ ـ ٥١٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٧٦/١ ـ ٤٠٤)، من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن أبي رافع، عن أبي هريرة ﷺ. وابن جدعان ضعيف مختلط، قال شعبة: كان رفاعًا. وقال حماد بن زيد: كان يقلب الأحاديث، (انظر: ميزان الاعتدال: ١٢٧/٣).

(١) رواه ابن الجعد في مسنده (٣٠٠ ـ ٢٠٣٨)، والطبري في تفسيره جامع البيان (٤٠٧/١٨)، والبزار (كشف الأستار: ٣٤/٣ ـ ٢١٧٦)، وابن عبد البر في التمهيد (١٢٧/١٨)، كلهم من طريق فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، بذكر ثلاثة: (الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله أو المعتوه، والصبي الصغير). وفيه عطية وهو ضعيف، (كما في ميزان الاعتدال: ٧٩/٣). قال ابن عبد البر: "من الناس من يوقف هذا الحديث على أبي سعيد ولا يرفعه".

(٢) رواه أبو يعلى (٢٢٥/٧ ـ ٤٢٢٤)، والبزار في البحر الزخار (١٠٤/١٤ ـ ٧٥٩٤)، وابن عبد البر في التمهيد (١٢٨/١٨)، والبيهقي في الاعتقاد (ص: ١٦٩)، وفي القضاء والقدر (٣٦٢ ـ ٦٤٦)، من طريق عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الوارث الأنصاري، عن أنس مرفوعًا بذكر المولود، والمعتوه، ومن مات في الفترة، والشيخ الفاني. وإسناده ضعيف لضعف واختلاط ليث بن أبي سليم (انظر: ميزان الاعتدال: ٤٢٠/٣)، وأما عبد الوارث فهو الأنصاري مولى أنس، قال أبو زرعة والبخاري: "منكر الحديث". وضعفه الدارقطني، وجهله ابن معين (انظر: الضعفاء لأبي زرعة: ٣٨١/٢، وميزان الاعتدال: ٦٧٨/٢).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٨٣/٢٠ ـ ١٥٨)، والأوسط (٥٧/٨ ـ ٧٩٥٥)، وأبو نعيم في=

وثوبان[١] رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، فصحح ابن حبان والضياء حديث الأسود، وصحح الحاكم حديث ثوبان، وصحح البيهقي وابن كثير حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ففي بعضها: أن الأصم، والمعتوه، ومن مات في الفترة، والمولود يحتجون على الله يوم القيامة، ففي آخر رواية أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ ﷺ: «وَيَقُولُ الْمَوْلُودُ: رَبِّ لَمْ أُدْرِكِ الْحُلُمَ، قَالَ: فَتُرْفَعُ لَهُمْ نَارٌ، فَيُقَالُ: رِدُوهَا أَوِ ادْخُلُوهَا، قَالَ: فَيَرِدُهَا

= الحلية (١٢٧/٥)، (٣٠٥/٩)، وابن عبد البر في "التمهيد" (١٢٩/١٨) من طريق عمرو ابن واقد، عن يونس بن ميسرة بن حلبس، عن أبي إدريس الخولاني، عن معاذ مرفوعًا بذكر الممسوخ عقلاً، وبهالك في الفترة، وبالهالك صغيرًا، تفرد به عمرو بن واقد وهو متروك الحديث، ذكر الذهبي حديثه مع أحاديث ثم قال (ميزان الاعتدال: ٢٩٢/٣): "وهذه الأحاديث لا تعرف إلا من رواية عمرو بن واقد، وهو هالك".

(١) رواه البزار في البحر الزخار (١٠٧/١٠ ـ ٤١٧٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ـ ٨٣٩٠)، من طريق إسحاق بن إدريس، عن أبان بن يزيد، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان مرفوعًا. ورواه البزار (٤١٦٠) من طريق ريحان بن سعيد، عن عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قلابة به. ليس فيه ذكر لا المولود ولا المعتوه ولا الهرم ولا من مات في الفترة، لكن بلفظ: "يؤتى بأهل الجاهلية يوم القيامة يحملون أوثانهم على ظهورهم". قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين". والطريقان واهيان، ففي الإسناد الأول الذي صححه الحاكم إسحاق بن إدريس الأسواري متروك متهم بالكذب (انظر: ميزان الاعتدال: ١٨٤/١). وفي الإسناد الثاني ثلاث علل: **الأولى**: فيه عباد بن منصور، قال الإمام أحمد (كما في إكمال تهذيب الكمال: ١٨٣/٧): "كانت أحاديثه منكرة وكان قدريًا، وكان يدلس". **الثانية**: أنه يدلس عن أيوب ـ خاصة ـ بإسقاط الضعفاء، قال الساجي (المرجع السابق: ١٨٣/٧): "يدلس عن أيوب روى أحاديث مناكير". **الثالثة**: أن ريحان بن سعيد ـ وإن كان صدوقاً ـ فروايته عن عباد بن منصور منكرة، قال ابن حبان في كتاب الثقات عنه (٢٤٥/٨): "ويعتبر حديثه من غير روايته عن عباد بن منصور". وقال البرديجي في كتاب المراسيل (كما في إكمال تهذيب الكمال: ١٦/٥): "فأما حديث ريحان ابن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة، فهي مناكير. وفيه قال العجلي: "ريحان الذي يحدث عن عباد منكر الحديث".

أَوْ يَدْخُلُهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللهِ سَعِيدًا، لَوْ أَدْرَكَ الْعَمَلَ، وَيُمْسِكُ عَنْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللهِ شَقِيًّا لَوْ أَدْرَكَ الْعَمَلَ، قَالَ: فَيَقُولُ: إِيَّايَ عَصَيْتُمْ، فَكَيْفَ بِرُسُلِي بِالْغَيْبِ أَتَتْكُمْ؟». وفي رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا». ووجه الدلالة هنا ظاهرٌ بأن الأطفال يمتحنون يوم القيامة، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا ومن أبى بقي فيها.

❊ وأجيب عن هذا الاستدلال بأجوبة:

١ ـ أن الأحاديث لم تخص أطفال المشركين، بل جميع الأطفال الذين لم يدركوا الحلم، وهم لا يقولون بامتحان أولاد المسلمين.

٢ ـ أن الأحاديث التي استدلوا بها كلها ضعيفة ولا يحتج بها على ما بينت في التخريج، وأقوى ما فيها حديث الأسود وأبي هريرة وليس فيها ذكر للأطفال.

٣ ـ أن الآخرة ليست دار امتحان وابتلاء.

٤ ـ كيف يكلفون بما لا يطيقون، وما ليس بوسعهم.

ـ لذا قال ابن عبد البر: "وهذه الأحاديث كلها ليست بالقوية، ولا تقوم بها حجة، وأهل العلم ينكرون أحاديث هذا الباب؛ لأن الآخرة دار جزاء، وليست دار عمل ولا ابتلاء، وكيف يكلفون دخول النار، وليس ذلك في وسع المخلوقين، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها"[1].

---

(١) الاستذكار (٣/١١٤).

ـ وأجاب ابن القيم في كتابه[(١)] عن ذلك بأجوبة كثيرة من أقواها:

١ ـ أن هذه الأحاديث متعاضدة صحح الحفاظ بعضها، وأنه قد صح القول بها عن جماعة من الصحابة والسلف، وحكاه الأشعري مذهباً للسلف.

٢ ـ أما امتناع وقوع الابتلاء في الآخرة فيردُّه ما ثبت في الرجل الذي هو آخر أهل الجنة دخولاً إليها: أن الله تعالى يأخذ عهوده، ومواثيقه ألا يسأله غير الذي يعطيه، فيخالفه ويسأله غيره، وهذه معصية منه. وكذا الأمر بالسجود يوم القيامة ليتميز المنافقون، وقبله الامتحان في القبور مع انقطاع التكليف.

٣ ـ أما أمرهم بدخول النار فليس عقوبة لهم، وإنما هو امتحان واختبار لهم، كما أمر الله سبحانه الخليل بذبح ولده، ولم يكن مراده سوى توطين نفسه على الامتثال والتسليم، فلما فعل ذلك رفع عنه الأمر بالذبح.

ـ ويمكن أن يجاب عن كلام ابن القيم بأجوبة:

١ ـ بأن تصحيحه للأحاديث لا يلزم المخالف الذي يقول: إنها مخالفة للأصول والقواعد الكلية، وإن الأصول لا تنقض بأحاديث لا تخلو من ضعف.

٢ ـ أما ما ذكر من أدلة على وقوع الاختبار في الآخرة فلا دلالة فيه؛ لأنها ليست من باب الامتحان لأطفال المشركين، بل هي تمييز للمكلفين من المنافقين والكفار؛ لذا فلن يحصل لهم السجود في القيامة، ولا الجواب في القبر قطعاً.

٣ ـ أما الاستدلال بمن أخذ الله عليه الميثاق؛ فهو كذلك ليس اختباراً؛

(١) أحكام أهل الذمة (٢/١١٤٩).

لأنه لم يوف بكل عهوده، ومع ذلك أدخل الجنة، فهو عكس ما أورد له من دلالة.

٤ ـ وأما أمر إبراهيم بذبح ابنه، فهو كذلك ليس من هذا الباب؛ لأنه عليه السلام رسولٌ نبيٌّ يوحى إليه، ورؤيا الأنبياء حق، بخلاف من مات طفلاً لم يبلغه دين ولا شرع، ثم يبعث ويقال له: ادخل النار.

ـ (القول الثالث): أن أطفال المشركين في الجنة، واستدلوا:

١ ـ أن كل ما ذكروه مخالف لقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فكيف يعذبون قبل أن تقام عليهم حجة الله بالتكليف والرسل؟.

٢ ـ روى البخاري عن سمرة رضي الله عنه في حديث الرؤيا الطويل حين قالت الملائكة للنبي ﷺ: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ. قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ»(١). فهذا الحديث الصحيح صريح في أنهم في الجنة، ورؤيا الأنبياء وحيٌ.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ

---

(١) صحيح البخاري (٩/٤٤ ـ ٧٠٤٧)، [باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح]، كتاب التعبير.

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ»، متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[(١)]، وفي مسلم عن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه قال ﷺ: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ»[(٢)]، فإذا مات قبل التهويد والتنصير مات حنيفاً على الفطرة فيدخل الجنة؛ لقوله ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» رواه مسلم[(٣)].

٤ ـ روى الشيخان عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ: أن الله تبارك تعالى لمّا قال للجنَّة والنَّار: «وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا» قال: «فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ تبارك وتعالى رِجْلَهُ، تَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»[(٤)]. فهذا الحديث يبين عدل الله تعالى مع رحمته لعباده من وجهين:

أ ـ أنه لا يظلم من خلقه أحداً حين لم يخلق خلقاً يدخلهم النار بلا تكليف وإرسال رسل كما خلق للجنة أهلاً، وإلا لخلق للنار أهلاً واختبرهم بدخولها، فإذا أبوا أدخلهم لتمتلئ بهم.

ب ـ أن أطفال المشركين لا يختلفون عمن يخلقهم الله للجنة دون عمل

---

(١) صحيح البخاري (٢/٩٤ ـ ١٣٥٨)، [باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه]، كتاب الجنائز، ومسلم (٤/٢٠٤٧ ـ ٢٦٥٨)، كتاب القدر.

(٢) صحيح مسلم (٤/٢١٩٧ ـ ٢٨٦٥)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) صحيح مسلم (٤/٢٢٠٦ ـ ٢٨٧٨)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) صحيح البخاري (٦/١٣٨ ـ ٤٨٥٠)، [باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾]، كتاب التفسير، ومسلم (٤/٢١٨٧ ـ ٢٨٤٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

تفضلاً وكرماً، فكلهم مشتركون بعلة واحدةٍ وهي عدم التكليف وإقامة الحجة، فليس من كسبهم أنهم خلقوا أبناء للمشركين، بل إن من أبناء المشركين من يسلم لو عاش، كما أن من أبناء المسلمين من يرتد لو عاش، فلماذا يكون هؤلاء بالجنة وأولئك في النار دون امتحان.

٥ ـ روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما: النبي ﷺ سُئِلَ عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ، فقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ إِذْ خَلَقَهُمْ»(١). فلو كانوا في النار تبعاً لآبائهم لصرح ﷺ بذلك، ولما أحال على علم الله الذي يتناول من كفر أو أسلم لو عاش. والله لا يعذب أحداً إلا بما عمل، فرحمته تعالى تسبق غضبه.

٦ ـ وبما روى أبو يعلى والطبراني وغيرهما، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي اللَّاهِينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْبَشَرِ أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ، فَأَعْطَانِيهِمْ»، صححه الضياء وحسنه الحافظ ابن حجر وبعده الألباني(٢). وهو حديث معلول لا يصح من من جميع طرقه(٣).

(١) صحيح البخاري (٢/١٠٠ ـ ١٣٨٣)، [باب ما قيل في أولاد المشركين]، كتاب الجنائز، ومسلم (٤/٢٠٤٩ ـ ٢٦٦٠)، كتاب القدر.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/٢٤٦) بعد حديث سمرة رضي الله عنه: "ويؤيده ما رواه أبو يعلى من حديث أنس مرفوعًا (سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم)، إسناده حسن"، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٤/ ٥٠٢ ـ ١٨٨١).

(٣) الحديث رواه محمد بن المنكدر عن الرقاشي واختلف فيه من أوجه: (الأول) رواه جماعة، عن عبد العزيز بن الماجشون، عن ابن المنكدر، عن يزيد الرقاشي، عن أنس رضي الله عنه، رواه ابن الجعد (٤٢٥ ـ ٢٩٠٦)، وأبو يعلى (٧/١٣٨ ـ ٤١٠١)، والبيهقي في القضاء والقدر=

. . . .

= (٣٥٥ ـ ٦٢٩)، [باب ذكر البيان أن القلم لما جرى بما هو كائن كان فيما جرى ما يفعله بنو آدم]. قال البيهقي: "تفرد به يزيد الرقاشي، ويزيد لا يحتج به". (الثاني): بإسقاط يزيد الرقاشي، حيث رواه عبد الرحمن بن حسان الكناني، وعبد الله بن زياد بن سمعان المدني، وعبد الرحمن بن إسحاق المدني، (ثلاثتهم)، عن محمد بن المنكدر، عن أنس به. رواه أبو يعلى (٦/ ٣١٦ ـ ٣٦٣٦)، وابن الأعرابي في معجمه (٢/ ٤١٧ ـ ٨١٤)، وابن عدي (٥/١٨٠٠)، والمخلص في المخلصيات (٣/ ١٢٢ ـ ٢١٤٣)، ومن طريقه صححه الضياء في المختارة (٧/٢٠١ ـ ٢٦٣٩). ولا يصح من هذا الوجه فابن سمعان الْمَدَنِيِّ، وعمرو بن مالك الراسبي ـ الذي روي حديث عبد الرحمن بن إسحاق ـ متهمان، وقد تركا (انظر: ميزان الاعتدال: ٢/٤٢٣ ـ ٣/٢٨٥). بقي حديث عبد الرحمن بن حسن الكناني، الذي صححه الضياء من طريق صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم عنه، ورجاله ثقات لكن الوليد وصفوان كانا يدلسان تدليس التسوية فأحدهما أسقط الرقاشي. (الثالث): إبدال الرقاشي بالزهري، حيث رواه عبد الرحمن بن المتوكل البصري، عن فضيل بن سليمان، عن عبد الرحمن بن إسحاق المدني، عن الزهري، عن أنس، رواه أبو يعلى (٦/٢٦٧ ـ ٣٥٧٠)، والطبراني في الأوسط (٦/١١١ ـ ٥٩٥٧)، وابن عدي في الكامل (٥/٤٩١ ـ ٧/١٣٠). قلت: عبد الرحمن بن المتوكل ذكره ابن حبان وحده في (الثقات: ٨/ ٣٧٩)، وفضيل بن سليمان الأكثر على ضعفه (تهذيب الكمال (٢٣/٢٧١). وقال الدار قطني في العلل (١٢/٢٢٩ ـ ٢٦٥٦): "وليس بثابت عنه" يعني عن الزهري. (الرابع): قال الدار قطني في العلل (١٢/٢٢٩ ـ ٢٦٥٦): "وخالفهم ربيعة بن عثمان، فرواه عن ابن المنكدر، عن الحسن البصري مرسلاً، عن النبي ﷺ. وقد رواه أبو حازم الأعرج، عن يزيد الرقاشي، عن أنس". أي فأسقط ابن المنكدر. وبهذا يتبين أن الحديث حديث الرقاشي عن أنس، وهو ضعيف، قال الآجري (كما في تهذيب التهذيب: ٨/ ٢٩٢): "سألت أبا داود عن حديث فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري، فقال: ليس بشيء إنما هو حديث ابن المنكدر، وحديث عبد العزيز الماجشون أصح" يعني بذكر الرقاشي لا غير. قال ابن الجوزي: "هذا حديث لا يثبت ويزيد لا يعول عليه". ومع ذلك حسنه الحافظ ابن حجر وبعده الألباني وصححه الضياء. وقد عارضه حديثان أقوى منه عن ابن عباس،=

٧ ـ وبما روى أحمد وأبو داود وغيرهما، عن حَسْنَاء ابْنَة مُعَاوِيَةَ الصُّرَيْمِيَّةُ عَنْ عَمِّهَا، قَالَ: قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْءُودَةُ فِي الْجَنَّةِ". حسنه الحافظ ابن حجر وتبعه الألباني"(١)، وفيه تابعية لم توثق، لكن له شواهد(٢).

= وعن أبي هريرة ﵁: "أن النبي ﷺ سئل عن اللاهين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين". رواه الفريابي في القدر (١٣٩ ـ ١٦٩)، والبزار في البحر الزخار (١٤/٣٢٥ ـ ٧٩٨٩) من طريق أبي أُسَامَةُ حَمَّادِ بنِ أُسَامَة، عن مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وهو حديث حسن لكن غريب جداً، قال البزار: "هذا الحديث لا نعلم رواه بهذا اللفظ إلا أبو أسامة". ورواه الفريابي في القدر (١٤٣ ـ ١٧٧)، والطبراني في الأوسط (٢/٢٨٤ ـ ١٩٩٧)، وصححه الضياء في المختارة (١٢/٢٩٦ ـ ٣٢٨) من طريق أَبِي عَوَانَةَ، عَنْ هِلالِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عباس، قال الهيثمي (مجمع الزوائد: ٧/٢١٨): "وفيه هلال بن خباب وهو ثقة وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح". قلت: قال ابن حبان (المجروحين: ٣/٨٧): "اختلط في آخر عمره فكان يحدث بالشيء على التوهم، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد".

(١) فتح الباري (٣/٢٤٦)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١/٥٧٨=٢٨٧).

(٢) رواه أحمد مسند (٣٤/١٩٠ ـ ٢٠٥٨٣، ٢٠٥٨٥)، وأبو داود (٣/١٥ ـ ٢٥٢١)، كِتَاب الجِهَادِ، [بَابٌ فِي فَضْلِ الشَّهَادَةِ]، وابن أبي شيبة في مسنده (٢/٣٤ ـ ٥٤٢)، والبيهقي في القضاء والقدر (٣٥٥ ـ ٦٣١)، [باب بيان معنى قوله «خلقت عبادي حنفاء»]، وابن عبد البر في التمهيد (١٨/١١٦) من طرق عن عوف الأعرابي، عن حسناء ابنة معاوية الصريمية به. وحسناء ذكرها الذهبي في (ميزان الاعتدال: ٤/٦٠٥) في النسوة المجهولات، وقال: "عن عمها وله صحبة. تفرد عنها عوف الأعرابي". قلت حسنه الحافظ بناء على القاعدة التي ذكرها الذهبي نفسه في آخر (ديوان الضعفاء): "أما المجهولون من الرواة؛ فإن كان الرجل من كبار التابعين، أو أوساطهم احتمل حديثه، وتلقي بحسن الظن إذا سلم من مخالفة الأصول وركاكة الألفاظ". وللحديث شواهد منها: (١) حديث ابن عباس ﵄: رواه البزار (١١/٣٢٠ ـ ٥١٢٩)، والطبراني في الكبير (١٢/٥٩ ـ ١٢٤٦٧)، وتمام في فوائده=

ـ والخلاصة أنه لا يصح في امتحان الأطفال يوم القيامة حديث، وأقوى ما في الباب أنهم في الجنة ثم القول بالامتحان، مع استبعاد القول الأول قطعاً لمخالفته للأدلة المبينة بأن الله لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة الرسالية، لكني أقف عند قوله ﷺ حين سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللهُ إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»، وهو أصح وأصرح ما جاء في الباب، والله أعلم.

= (٢/١٢٠ ـ ١٣١١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/٣٠٣)، وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب (٢/٢٥٥ ـ ١٥٢٥)، وفيه خلف بن خليفة صدوق اختلط بأخرة، ولم يتميز (ميزان الاعتدال: ١/٦٥٩). (٢) حديث أنس: رواه البزار (١٤/١٠٤ ـ ٧٥٩٥)، والطبراني في الأوسط (٢/٢٠٦ ـ ١٧٤٣) والصغير (١/٨٩ ـ ١١٨)، ومن طريقه أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب (٢/٢٥٠ ـ ١٥٢٥). وفي إسناد البزار مختار بن أبي مختار عن عبد الوارث، وفي إسناد الباقين إبراهيم بن زياد القرشي، ثلاثتهم مجاهيل. انظر: (ميزان الاعتدال: ٢/٦٧٨، ١/٣٢، ٤/٨٠)، (لسان الميزان: ٤/ ٨٥، ١/٦١، ٦/٧). (٣) حديث الأسود بن سريع: رواه الطبراني في الكبير (١/٢٨٦ ـ ٨٣٨)، والبيهقي في القضاء والقدر (٣٥٦ ـ ٦٣٢)، [باب بيان معنى قوله «خلقت عبادي حنفاء»]. وإسناد البزار فيه سلام بن سليمان المدائني ضعيف، والحسن البصري لم يسمع من الأسود رضي الله عنه. وتابع سلام عند الطبراني أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف أيضاً (ميزان الاعتدال: ٢/١٧٨، ٤/٤٩٧). (٤) حديث كعب بن عجرة: رواه خيثمة بن سليمان في حديثه (ص: ٩٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/١٤٠ ـ ٣٠٧)، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات (٢/٧٩٠ ـ ١٠٩٩)، وفي إسناده السري بن إسماعيل ضعيف. وأخرجه ابن عدي (٤/٤٦٨) من نفس الطريق لكن بإسقاط السري بن إسماعيل، وأعله بالراوي عن تلميذ السري، وقال: "هذا الحديث الذي ذكرته وغير ما ذكرت أحاديث ليست بمحفوظة". قلت الحديث حسن بحديث حسناء عن عمها وحديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال المصنف:

"ثم الإيمان بأن محمداً نبينا ﷺ، خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، بعثه إلينا، وإلى الخلق أجمعين، وهو سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، فآدم ومن دونه تحت لوائه، الشاهد لكل نبي، والشاهد على كل أمة، أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء بالإيمان والبشارة به ووصفهِ، وتبيانهِ في كتبهم، مع ما اختصه الله به من قبل النبوة وبعدها من الآيات المعجزات الباهرات".

انتقل المصنف إلى الواجب اعتقاده في نبينا محمد ﷺ، وفيه مسائل:

* م الأولى: قوله "رسول رب العالمين"، أي الإيمان بأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى، وهذه الشهادة هي إحدى أصلي الإيمان: الشهادة لله تعالى بالوحدانية "أشهد أن لا إله إلا الله"، والشهادة لنبينا محمد ﷺ بالرسالة "أشهد أن محمداً رسول الله"، لا تقبل إحداهما بدون الأخرى لا في الإسلام ولا في عبادة كالأذان، فمن لم يقرّ بنبوة محمد ﷺ، ولم يصدق بأخباره الثابتة، ولم يتعبد لله بشرعه، فلا ينفعه أن يشهد لله بالوحدانية؛ لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء: ٦٥]، ولقوله ﷺ فيما روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١).

(١) صحيح مسلم (١/١٣٤ ـ ١٥٣)، كتاب الإيمان.

* م الثانية: قوله "سيد المرسلين، وإمام المتقين"، أي يجب أن يعتقد بأن محمدًا نبينا ﷺ "سيد المرسلين"، فهو الذي له السؤدد في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا جعلت شريعته الشريعة الكاملة المهيمنة على شرائع المرسلين قبله الناسخة لها، وأخذ الميثاق على الأنبياء قبله أن يتبعوه لو بعث فيهم، واجتمع فيه ﷺ كل ما تفرق في الأنبياء من الخصائص من الاصطفاء والخُلَّة والتكليم وغيرها. وفي الآخرة هو إمامهم صاحب المقام المحمود الذي يحمده عليه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام، والمقدم عليهم في الشفاعة والمرور على الصراط ودخول الجنة وغير ذلك. وأنه "إمام المتقين": أي المقدم على الأنبياء وأتباعهم في التقوى كما قال هو ﷺ لأصحابه ـ فيما روى الشيخان عن جابر رضي الله عنه ـ: «قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَصْدَقُكُمْ وَأَبَرُّكُمْ»(١)، وهو من يقتدي به ﷺ المتقون من أمته عليه الصلاة والسلام من لدن أصحابه إلى أن يقبض الله أرواح المؤمنين قبل قيام الساعة، وقد جاء وصف النبي ﷺ بهذا الوصف وصفاً خاصًّا وعاماً، فأما الوصف الخاص بإمامة المتقين؛ فكما روى ابن ماجة وأبو يعلى عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أنه قَالَ ـ وَهْوَ يُعلِّمُ الصَّلَاةَ عَلَى النبيِّ ﷺ ـ: "قُولُوا: اللهُمَّ اجْعَلْ صَلاتَكَ، وَرَحْمَتَكَ، وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ". حسنه المنذري والبوصيري والسخاوي، وصححه مغلطاي موقوفًا(٢)، وله شاهد آخر من قول ابن عمر رضي الله عنهما

---

(١) صحيح البخاري (٩/١١٢ ـ ٧٣٦٧)، [باب نهي النبي ﷺ على التحريم إلا ما تعرف إباحته، وكذلك أمره]، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (٢/٨٨٣ ـ ١٢١٦)، كتاب الحج.

(٢) الأثر رواه ابن ماجه (١/٢٩٣ ـ ٩٠٦)، والشاشي في مسنده (٢/٨٩ ـ ٦١١)، وأبو يعلى في مسنده (٩/١٧٥ ـ ٥٢٦٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/١١٥ ـ ٨٥٩٤)، وفي الدعوات الكبير (١/٢٥٨ ـ ١٧٧)، والدارقطني في العلل (٥/١٥ ـ ٦٨٢)، والبيهقي في=

في "مسند" أحمد بن مَنيع بإسناد فيه لين[(١)]. كذلك جاء وصف النبي ﷺ وصفاً خاصاً بإمامة النبيين، في الحديث المرفوع الذي صححه الترمذي والحاكم والضياء من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أَنَّه ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ

= شعب الإيمان (٣/١٢٢ ـ ١٤٥٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/٢٧١)، من طرق عن المسعودي، عن عون بن عبد الله، عن أبي فاختة، عن الأسود بن يزيد، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا، وقد حسَّن إسناده البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/٥٠٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/٣٢٩)، وفيه علتان: **الأولى**: اختلاط المسعودي قال السخاوي في (القول البديع: ص٥٨): "وإسناد الموقوف حسن، بل قال الشيخ علاء الدين مغلطاي أنه صحيح، لكن قد تعقب بعض المتأخرين على المنذري حيث حسنه بما حاصله: كيف يكون حسناً؟ وفي إسناده المسعودي، وقد قال ابن حبان: إنه اختلط بآخره ولم يتميز حديثه الأول من الآخر فأستحق الترك". قلت: رواه عنه جماعة ممن ذكر الإمام أحمد أنهم سمعوه منه قبل الاختلاط بالكوفة (شرح علل الترمذي ٢/٧٤٨، والتقييد والإيضاح للعراقي: ص ٤٥٤)، كعبد الله بن رجاء في الكبير للطبراني، وجعفر بن عون في الدعوات الكبير له، وعلي بن عاصم عند أبي نعيم في حلية الأولياء، بل قال الإمام أحمد عن علي بن عاصم (العلل رواية المروذي: ١٢٩): "كان حديثه صحيحاً، حديث شعبة والمسعودي، ما كان أصحها". **الثانية**: الاختلاف على ابن عون حيث رواه عبد الرزاق (٢/٢١٣ ـ ٣١٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/٢١٣ ـ ٣١٠٩) من طريقه، عن الثوري، عن أبي سلمة، عن عون بن عبد الله، عن رجل، عن الأسود بن يزيد، عن ابن مسعود. قال الدارقطني: "وخالفه عمرو بن مرة فرواه عن عون بن عبد الله، عن الأسود، أو رجل من أصحاب عبد الله، عن عبد الله ولم يذكر أبا فاختة، وقول المسعودي أصح". قلت: أكثر الثقات رووه على ما رجحه الدارقطني. ورواه الديلمي مرفوعاً ذكر ذلك السخاوي ثم قال (القول البديع: ص ٥٨): "والمعروف أنه موقوف".

(١) رواه المحاملي في الأمالي (٢٨٧ ـ ٢٩٤)، وأحمد بن مَنيع في مسنده (كما في ١٣/٨٠٦ ـ ٣٣٣٢) من طريق أبي بَلْجٍ، عن ثُوَيْرٌ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، قُلْتُ لابْنِ عُمَرَ: كَيْفَ الصَّلاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فذكر نحوه، وفيه ثُوير بن أبي فاختة ضعيف (انظر: ميزان الاعتدال (١/٣٧٥). وضعف حديثه هذا السخاوي في القول البديع (ص: ٥١).

الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ، غَيْرَ فَخْرٍ»(١).

* م الثالثة: قوله: "خاتم النبيين": أي لا بد من أن يعتقد أن محمداً ﷺ النبي العربي خاتم النبيين فلا نبي بعده، فمن كذب بعقيدة ختم النبوة به فهو كافر، مكذب لقوله تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ولقوله ﷺ فيما روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «إن مَثَلي وَمَثَلَ الأنبياءِ من قبلي، كمثل رجل بنى بُنْياناً فَأَحْسَنَه وأَجْمَلَه، إلا موضعَ لَبِنَة من زاوية من زواياه، فجعل الناسُ يطوفون به، ويَعْجَبون له، ويقولون: هلا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ؟ قال: فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خَاتَم النَّبِيِّين»(٢)، ورويا عنه رضي الله عنه، قال ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩/٣٥ ـ ٢١٢٤٥، ٢١٢٤٧، ٢١٢٤٩)، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٧٧/٣٥ ـ ٢١٢٥٦)، والترمذي (٥٨٦/٥ ـ ٣٦١٣)، [أبواب المناقب]، وابن ماجة (١٤٤٣/٢ ـ ٤٣١٤)، [باب ذكر الشفاعة]، كتاب الزهد، وعبد بن حميد في المنتخب (٩٠ ـ ١٧١)، وابن عدي في الكامل (٢٠٨/٥)، والحاكم في المستدرك (١٤٣/١ ـ ٢٤٠، ٢٤١)، [كتاب الإيمان]، والضياء في المختارة (٣٨٥/٣ ـ ١١٧٩، ١١٨٣)، كلهم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه مرفوعاً رضي الله عنه. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، وصححه الحاكم والضياء، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل مختلف فيه والأكثر على ضعفه، واختصر الحافظ ابن حجر الحكم عليه فقال (تقريب التهذيب: ٣٢١): "صدوق وفي حديثه لين، ويقال: تغير بآخره". وذكر ابن القيسراني الحديث في ذخيرة الحفاظ (٣٥٥/١ ـ ٣٩٨) فقال: "وعبد الله ضعيف".

(٢) صحيح البخاري (١٨٦/٤ ـ ٣٥٣٥)، [باب خاتم النبيين ﷺ]، كتاب المناقب، ومسلم (١٧٩١/٤ ـ ٢٢٨٦)، كتاب الفضائل.

(٣) صحيح البخاري (١٦٩/٤ ـ ٣٤٥٥)، [باب ما ذكر عن بني إسرائيل]، كتاب أحاديث=

* **م الرابعة:** قوله: "**بعثه إلينا، وإلى الخلق أجمعين**": أي يجب الإيمان ببعثة النبيِّ ﷺ لجميع الناس: عربهم وعجمهم إنسهم وجنهم، فشريعته لا تنسخ، ودينه هو المهيمن إلى قيام الساعة، بل لو بعث الأنبياء بعد بعثته ما وسعهم إلا اتباعه ﷺ، ومن اعتقد أنه ﷺ نبي العرب خاصة، فلا يكون مؤمناً برسالته؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقول النبي ﷺ فيما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبي ﷺ ذكر فيما أعطيه دون من قبله من الأنبياء، فقَالَ: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(١).

* **م الخامسة:** قوله: "**وهو سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض**"، أي عند نفخة البعث حينما يخرج الناس من الأجداث ينسلون، فيكون نبينا ﷺ أول من يخرجه الله من المدفونين بانشقاق الأرض، لثبوت ذلك عنه ﷺ؛ ففي صحيح مسلم عنْ أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(٢).

* **م السادسة:** قوله: "**فآدم ومن دونه تحت لوائه**". أي أن النبي ﷺ يبعث يوم القيامة فيكون إمام الأنبياء والناس، وكلهم تحت لوائه الذي يسمى لواء الحمد؛ ينتظرون الفرج من الله بشفاعته، لما ثبت عن أنس رضي الله عنه من طرق

= الأنبياء، ومسلم (٣/١٤٧١ ـ ١٨٤٢)، كتاب الإمارة.

(١) صحيح البخاري (١/٧٤ ـ ٣٣٥)، كتاب التيمم، ومسلم (١/٣٧٠ ـ ٥٢١)، كتاب المساجد، ولفظه: "كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود".

(٢) صحيح مسلم (٤/١٧٨٢ ـ ٢٢٧٨)، كتاب الفضائل.

كثيرة صحيحة، قال: قال ﷺ: «إِنِّي لأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأُعْطَى لِوَاءَ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»، صححه ابن منده والضياء، وحسنه الترمذي(١)، وفي رواية: «وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَآدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي»(٢). والحديث صحيح، فقد روي من طرق ثمانية من الصحابة رضي الله عنهم، صحح بعضها ابن حبان والحاكم(٣). **واللواء**: الراية التي

(١) رواه أحمد (٤٥١/١٩ ـ ١٢٤٦٩)، والدارمي (١٩/١ ٨ ـ ٥٣)، [باب ما أعطي النبي ﷺمن الفضل]، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٦/١ ـ ٢٦٨)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٧١٠/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٤/٣ ـ ١٤٠٩)، وابن منده في الإيمان (٨٤٦/٢ ـ ٨٧٧)، والضياء في المختارة (٣٢٣/٦ ـ ٢٣٤٥)، من طريق الليث، عن ابن الهاد، عن عمرو ابن أبي عمرو، عن أنس بن مالك به. صححه الضياء، وقال ابن منده: "هذا حديث صحيح مشهور عن ابن الهاد"، لكن فيه عمرو بن أبي عمرو حسن الحديث، قال الذهبي (ميزان الاعتدال: ٢٨٢/٣): "صدوق حديثه مخرج في الصحيحين في الأصول". وحسنه الترمذي (٥٨٥/٥ ـ ٣٦١٠)، [أبواب المناقب]، من طريق الربيع ابن أنس، عن أنس بلفظ: «لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر»، قال: "هذا حديث حسن غريب".

(٢) رويت هذه اللفظة عن أنس رضي الله عنه من طرق متعاضدة، فرواه البزار في مسنده البحر الزخار (٧١/١٣ ـ ٦٤١٣) من طريق مبارك مولي عبد العزيز بن صهيب، عن ابن صهيب. ورواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٢/١ ـ ٢٦٥) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت. ورواه الآجري في الشريعة (١٢٣٩/٣ ـ ٨٠٩)، [باب الإيمان بأن أقواما يخرجون من النار] من طريق خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال. ثلاثتهم عن أنس بن مالك به بلفظ: "وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلا فَخْرَ، وَآدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي".

(٣) صححه ابن حبان (٣٩٨/١٤ ـ ٦٤٧٨) من حديث عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، بلفظ "بيدي لواء الحمد، تحتي آدم فمن دونه". وصححه الحاكم في المستدرك (٨٣/١ ـ ٨٢) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وسيأتي. وفي الباب حديث أبي سعيد، وحديث عبد الله بن=

يمسكها قائد الجيش.

وزعم بعضهم أن لواء الحمد كناية عن الشهرة وانفراده بالحمد على رءوس الخلائق، ونصوص الأحاديث تأباه، ثم لا يجوز أن يصار إلى المجاز مع إمكان الحقيقة، ففي حديث عُبَادَة بن الصامت رضي الله عنه الذي صححه الحاكم: «مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ لِوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْتَظِرُ الْفَرَجَ، وَإِنَّ مَعِي لِوَاءَ الْحَمْدِ، أَنَا أَمْشِي وَيَمْشِي النَّاسُ مَعِي حَتَّى آتِيَ بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لواء الحمد بيد النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة صورة ومعنى، إشارة إلى سيادته لجميع الخلائق، فيكون الخلق تحت لوائه، كما يكون الأجناد تحت ألوية الملوك، وحامله المقدم الذي يكون خطيب الأنبياء إذا وفدوا، وإمامهم إذا اجتمعوا، وهو الذي يتقدم للشفاعة، فيحمد ربه بمحامد لا يحمده بها غيره، وهو محمد وأحمد، وأمته الحمّادون الذين يحمدون على السراء والضراء، وهو أول من يدعى إلى الجنة، فلا تفتح لأحد قبل صاحب لواء الحمد صلى الله عليه وسلم"(٢).

= عباس، وحديث أبي هريرة، وحديث جابر، وحديث أبي موسى، وحديث عمرو بن قيس رضي الله عنهم، ولا يخلو واحد منها من ضعف، وأقوى ما في الباب حديث أنس رضي الله عنه.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٣/١ ـ ٨٢)، [كتاب الإيمان]، من طريق فضيل بن سليمان، عن موسى بن عقبة، عن إسحاق بن يحيى، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وأخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٣٧٦/١٠) قال الحاكم: "هذا حديث كبير في الصفات والرؤية صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وقال الهيثمي: "وإسحاق بن يحيى لم يدرك عبادة، وبقية رجاله ثقات". قلت: وفيه جهالة إسحاق بن يحيى، وفضيل مختلف فيه. قال ابن عدي في الكامل (٥٥٢/١) عن إسحاق: "يروي عن عبادة بن الصامت أحاديث عداداً، يروي عنه موسى بن عقبة لا يرويه غيره.. وعامتها غير محفوظة".

(٢) مختصر الفتاوى المصرية (ص: ٥٧٩)

※ **م السابعة:** قوله: "**الشاهد لكل نبي، والشاهد على كل أمة**". أي أن النبي ﷺ يشهد للأنبياء قبله من لدن نوح إلى عيسى عليهما السلام بأنهم بلغوا رسالات الله، يؤتى يوم القيامة بالنبي عليه السلام، فيقال: هل بلغت رسالة ربك؟ فيقول: نعم، فتنكر أمته يقولون: ما جاءنا من نذير، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فتشهد هذه الأمة بنبيها ﷺ على جميع الأمم، فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]»(١).

※ **م الثامنة:** قوله: "**أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء بالإيمان، والبشارة به**". أي يعتقد المسلم أن الله تعالى أخذ ميثاق كل نبي لئن بُعِثَ محمد ﷺ وهو حيٌّ بأن يؤمن به ويتبعه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١]، وفي الآية تفسيران:

الأول: ما أشار له المصنف من أخذ الميثاق على جميع الأنبياء بالإيمان بمحمد ﷺ واتباعه إذا بعث وهو حيٌّ، قَالَ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: «مَا بعث الله

(١) صحيح البخاري (٦/٢١ ـ ٤٤٨٧)، [باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾]، كتاب تفسير القرآن.

نَبِيًّا إِلَّا أَخذ عَلَيْهِ الْمِيثَاق لَئِن بعث مُحَمَّد وَهُوَ حَيّ لَيُؤْمِنن بِهِ ولينصرنه، وَأمره أَن يَأْخُذ الْمِيثَاق على أمته»، عزاه الحافظان ابن حجر في "الفتح"، وابن كثير في "جامع المسانيد" للبخاري[١]، ولم أقف عليه فيه، لكن رأيته عند الطبري وابن أبي حاتم بنحوه[٢]. وروى الإمام أحمد وغيره عن جَابِرٍ رضي الله عنه: أنه ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[٣]، فيه مجالد بن سعيد ضعيف[٤].

الثاني: أن الله أخذ ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضًا، فأخذ ميثاق الأول من الأنبياء ليؤمنن بما جاء به الآخر منهم، وإنما أخذ الميثاق على النبيين ليأخذوا العهد على أممهم بذلك. قال الطبري بعد نقله للقولين: "وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضًا، وأخذ الأنبياء على أممها وتُبَّاعها الميثاق بنحو الذي أخذ عليها ربها من تصديق أنبياء الله ورسله بما جاءتها به"[٥].

ويؤيد هذا القول أن الثابت في الكتاب والسنة بشارة عيسى بمحمد

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/٤٣٤)، جامع المسانيد والسنن لابن كثير (١/٥٦).
(٢) انظر: تفسير الطبري جامع البيان (٦/٥٥٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/٦٩٤ ـ ٣٧٦٤) وفي المطبوع منه سقط. وفيه محمد بن أبي محمد الأنصاري عن عكرمة أو سعيد بن جبير، مجهول (تهذيب الكمال: ٢٦/٣٨٢).
(٣) رواه أحمد (٢٣/٣٤٩ ـ ١٥١٥٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/٣١٢ ـ ٢٦٤٢١)، [من كره النظر في كتب أهل الكتاب]، كتاب الأدب، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٤٧ ـ ١٧٥). وله طرق كلها ضعيف ذكرها محقق مسند أحمد في الموضع المذكور.
(٤) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٤٣٨).
(٥) تفسيره (٦/٥٥٧).

عليهما الصلاة والسلام دون غيره من الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وروى أحمد وغيره عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، قَالَ ﷺ: «إِنِّي عَبْدُ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ»(١)، وله شاهدان عن بعض أصحاب النبي ﷺ(٢)، ....

(١) رواه أحمد (٣٧٩/٢٨ ـ ١٧١٥٠)، وابنه في السنة (٣٩٨/٢ ـ ٨٦٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٦٨/٦)، والطبري في تفسيره (٨٣/٣ ـ ٢٠٧١)، والبزار (كما في كشف الأستار: ١١٣/٣)، والطبراني في الكبير (٢٥٢/١٨ ـ ٦٢٩)، والآجري في الشريعة (١٤٠٨/٣ ـ ٩٤٨)، [باب ذكر متى وجبت النبوة للنبي ﷺ]، والحاكم (٦٥٦/٢ ـ ٤١٧٥)، [ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين]، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٤٨ ـ ٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٨٠/١)، من طرق عن معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرباض رضي الله عنه، إلا أن الحاكم والبزار روياه من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن سعيد بن سويد، عن العرباض دون ذكر عبد الأعلى، وابن أبي مريم ضعيف. قال الحافظ ابن حجر عن سعيد بن سويد في تعجيل المنفعة (٥٨٤/١): "قال البخاري لم يصح حديثه.. وخالفه بن حبان والحاكم فصححاه". قلت: سعيد بن سويد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال البزار بعد حديثه: "شامي ليس به بأس". وعبد الأعلى بن هلال ذكره ابن حبان وحده في (الثقات: ١٢٨/٥). وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (١٤٣/٧): "وروايته في مسند الإمام أحمد، وما علمت به بأسًا".

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٨٢/٣ ـ ٢٠٧٠)، والحاكم في المستدرك (٦٥٦/٢ ـ ٤١٧٤)، [ذكر أخبار سيد المرسلين]، والبيهقي في دلائل النبوة (٨٣/١) من طريق ابن إسحاق، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله ﷺ، قال الحاكم: "خالد بن معدان من خيار التابعين، صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة، فإذا أسند حديثًا إلى الصحابة فإنه صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". وقال ابن كثير (تفسيره: ١١٠/٨): "وهذا إسناد جيد". قلت: رواية الطبري: "أن نفرًا من أصحاب رسول الله"، ولم يسنده.=

وعن أبي أمامة رضي الله عنه(١).

* م التاسعة: قوله: "**والبشارة به ووصفهِ وتبيانهِ في كتبهم**". أي أن كل كتاب أنزل على نبي قبل محمد ﷺ ذكر فيه البشارة بمحمد ﷺ، ووصفه وتبيانه وصفاً وتبياناً يعرفونه به كما يعرفون أبناءهم، لكن كما تقدم أن الثابت أن الله أخذ الميثاق على أهل الكتاب بالإيمان به ﷺ دون غيرهم:

أما البشارة به: فكما تقدم في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، وقوله ﷺ آنفاً: «وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ».

وأما وصفه: فكذلك جاء في التوراة: فقد روى البخاري عنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أنه قال عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ

= واختلف فيه أيضاً على ثور بن يزيد، فرواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/١٥٠) عن عبد الوهاب بن عطاء والواقدي عن ثور عن خالد بن معدان مرسلاً. قلت: المتصل أصح، وهو يقوى حديث العرباض.

(١) رواه أحمد (٥/٢٦٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/١٧٥ ـ ٧٧٢٩)، وابن عدي في الكامل (٧/١٤٣)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٤/٨٣٠ ـ ١٤٠٤)، [سياق ما روي في نبوة النبي ﷺ متى كانت]، والبيهقي في دلائل النبوة (١/٨٤)، والأصبهاني في دلائل النبوة (٣١ ـ ١) من طرق عن الفرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه نحوه، قال الهيثمي (مجمع الزوائد: ٨/٢٢٢): "إسناده حسن، وله شواهد تقويه". لكن فيه الفرج، قال ابن عدي في ترجمته: "وهذه الأحاديث التي أمليتها عن لقمان ابن عامر، عن أبي أمامة غير محفوظة". لكنه قال آخر ترجمته: "وهو مع ضعفه يكتب حديثه".

بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»[(١)].

* م العاشرة: قوله: "**مع ما اختصه الله به من قبل النبوة وبعدها من الآيات المعجزات الباهرات**". أما قبل النبوة فمنها سقوط شرفات إيوان كسرى وقيصر، ورأت أمه نورًا بين السماء والأرض عند ولادته، وشق بطنه وأخذ حظ الشيطان منه وهو صبي، وتظليل الغمامة له، وأما بعد النبوة فالآيات المعجزات كثيرة لا حصر لها ولا عد، منها إخباره عن غيوب أو أشراط حصلت، ومنها الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وتكليم الحجر وسلامه عليه، وأخبر الذراع المسموم بما فيه، وحنين الجذع، واهتزاز الجبل، وتكثير الطعام بين يديه، وتكثير الماء القليل حتى كفى الجيش، والشجرتان اللتان التأمتا عليه ليقضي حاجته، روى الترمذي وصححه، هو وابن حبان، والحاكم والبيهقي، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أنه قال: «عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ، فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي، فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ، قَالَ: أَلَا تَتَّقِي اللهَ، تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَجَبِي! ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ، يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الإِنْسِ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ ﷺ بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، فجاء للنبي ﷺ فأخبره»، وله شاهدان فيهما ضعف[(٢)]. وقد سرد العلماء تلك المعجزات في كتب التأريخ

(١) صحيح البخاري (٣/٦٦ ـ ٢١٢٥)، [باب كراهية السخب في السوق]، كتاب البيوع.

(٢) رواه أحمد (١٨/٣١٥ ـ ١١٧٩٢)، والترمذي (٤/٤٧٦ ـ ٢١٨١)، [باب ما جاء في كلام السباع]، أبواب الفتن مختصراً، وعبد بن حميد في "المنتخب" (٢/٧٢ ـ ٨٧٥)،=

والسير ككتاب "البداية والنهاية" لابن كثير، ثم ألف العلماء في ذلك مؤلفات في "خصائص النبي ﷺ"، و"دلائل النبوة".

= والبزار (كما في كشف الأستار: ٣/١٤٣ ـ ٢٤٣١)، والطحاوي في المشكل (١٥/٤٨٠ ـ ٦١٧٨)، وابن حبان (١٤/٤١٨ ـ ٦٤٩٤)، والعقيلي (٣/٤٧٧)، والحاكم (٤/٥١٤ ـ ٨٤٤٤)، والبيهقي في الدلائل (٦/٤١)، والأصبهاني في دلائل النبوة (١١٢ ـ ١١٦)، كلهم من طرق عن القاسم بن الفضل الحداني، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد رضي الله عنه. إلا أنه وقع عند ابن حبان زيادة الجريري بين الحداني وأبي نضرة، وهو وهم، والصواب عن الحداني عن أبي نضرة، فقد صرح بسماعه منه في أكثر الروايات، وأسند العقيلي أن شعبة قال للحداني: "لعلك سمعته من شهر بن حوشب؟ قال: لا، حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد، فما سكت حتى سكت شعبة". ولذا قال الترمذي: "وهذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث". وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، وقال البيهقي: "هذا إسناد صحيح". وله شاهد عن أهبان بن أوس وأبي هريرة رضي الله عنهما، وفي إسنادهما لين.

❁ قال المصنف:

"من ذلك كتابه المهيمن على كل كتاب، والمخبر عنها والشاهد لها والمصدق بها، لا يشبه الشعر ولا الرسائل، البائن على كل كلام، بزع الأسماع والأفهام، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، الذي عجزت الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، كتاب جمع فيه النظم والإعجاز، والبسط والإيجاز، والفصاحة والبلاغة، والتحذير والزجر، والأمر بكل طاعة وتكرمة وأدب، والنهي عن كل منكر وسرف ومعصية، وفعل قبيح مذموم، والتعبد بكل فعل شريف مذكور من طهارة وصلاة، وصيام وزكاة، وحج وجهاد، وصلة الأرحام، والبذل والعطاء، والصدق والوفاء، والخوف والرجاء، وما يكثر تعداده مما لا يحصى، مع محاجته ﷺ لقومه حين قالوا: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾، فأجابهم: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ من ربي. ثم قال لهم: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥ - ١٦] - يعني أربعين سنة - إني يتيم فقير، لا أكتب، ولا أختلف إلى معلم، ولا ساحر ولا كاهن، ولا شاعر، أفلا تدبرون ذلك، وتعلمون أن هذه الآية لا يقدر عليها إلا الله. قال: فإن لم تفعلوا فيما مضى، ولن يفعلوا فيما يستقبلون. فجعل هذه الآية في القرآن في حياته، وبعد وفاته؛ لا يقدر أحد أن يأتي بمثله، أو سورة منه على نظمه وتأليفه وصدقه، وصحة معانيه، وكبر فوائده وعلومه، ومع عجز الخليقة عن إدراك فهمه، وبلوغ نهاية علمه، وإخباره ﷺ في زمن زبر الأولين والآخرين بقوله: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ

﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١ ـ ٤]، وبقوله: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، فأخبر بذلك قبل كونه. وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ﴾ [هود: ٤٩]".

انتقل المصنف إلى ذكر أعظم معجزات النبي ﷺ، وهو القرآن العظيم وتضمن وصفه أموراً:

* م الأولى: قوله: "**من ذلك كتابه المهيمن على كل كتاب، والمخبر عنها والشاهد لها والمصدق بها**": أي أن هذا الكتاب ـ وهو القرآن الذي أنزله الله على محمد، والموجود بين دفتي المصحف، المنقول إلينا بالتواتر، والسالم من الزيادة والنقص ـ مهيمن على كل كتاب قبله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة: ٤٨]، وفي معنى مهيمن: أربعة أقوال:

أحدها: أن القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب.

الثاني: أنه الشاهد لها.

الثالث: أنه المصدِّق لخبرها.

والرابع: أنه الرقيب الحافظ.

وهذه المعاني متقاربة، ومعنى الكل: أنه الحاكم عليها، فكل كتاب يشهد بصدقه القرآن؛ فهو من الكتب المنزلة من الله كالتوراة والإنجيل والزبور،

وكل خبر نقله القرآن عنها فهو حقٌّ، فهو يصدق ما فيها من الحق، وينفي الباطل عنها؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨]، أي أن هذه الآيات بنفسها جاءت في الكتب السابقة للقرآن، أو أن فيها ذكر فلاح المتزكي والمصلي، وإيثار الخلق للدنيا على الآخرة، وأن الآخرة خير وأبقى.

* م الثانية: قوله: "**لا يشبه الشعر ولا الرسائل، البائن على كل كلام، بزع الأسماع والأفهام**": أي القرآن كلام الله المعجز بلغة العرب لا يشبه الشعر الذي تقوله فصحاء العرب، ولا يشبه الرسائل التي يكتبها فطاحلة الأدباء، فهو مباينٌ لكل كلام فصاحة وبياناً؛ لأنه كلام رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]، وقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤١ ـ ٤٣]، لذا فعلى ما اختاره كثير من العلماء: أن الله ما ذكر الحروف المقطعة في أول سور القرآن إلا ليتحدى العرب بفصاحتهم أن يعارضوه بمثله، مع كونه مركباً من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، فلم يستطيعوا. لذا قال المصنف "**بزع الأسماع والأفهام**": أي قرعها وأفزعها بفصاحته، فكان له الوقع العظيم فيها، لذا لما سمع الوليد بن المغيرة القرآن، قال: وإنه ليعلو وما يُعلى عليه، وما هو من قول البشر. وفي البخاري وأصله في مسلم عن جُبَيْر بْنِ مُطْعِم قبل أن يسلم أنه لمّا سمع النبي ﷺ يقرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧]، قَالَ: «كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»(١). ولما قرأ النبي ﷺ سورة النجم وسجد بمكة سجد معه المشركون،

(١) رواه البخاري (٦/١٤٠ ـ ٤٨٥٤)، [سورة ﴿والطور﴾]، أبواب سجود القرآن، ورواه مسلم=

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا سَجَدَ». رواه الشيخان(١).

* **م الثالثة:** قوله: **"الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد"**: هذا الوصف للقرآن وصفه الله به، فقال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فقد وصف الله القرآن العظيم بثلاثة أمور تدل على كمال حفظه:

ـ "لا يأتيه الباطل"، أي لا يلحقه التكذيب، ولا يدخله التبديل بزيادة باطل أو إنقاص حق من الشيطان وأعوانه.

ـ "من بين يديه ولا من خلفه" أي ينتفي عنه الباطل من جميع الجهات تحقيقاً لكمال الحفظ، ويتضمن ذلك: أن الباطل لا يلحقه بين يدي تنزيله ولا بعده، ولا في إخباره عما تقدم ولا عما تأخر، وكما أنه ليس قبله كتاب يناقضه، فكذا لا يأتي بعده كتاب يُبْطله.

ـ "تنزيل من حكيم حميد"، أي أن القرآن مشتمل على الحكمة التي هي كمال المعرفة الموافقة للحق والعدل؛ لأنه لا يصدر عن الحكيم إلا الكلام الحكيم الذي لا يشوبه الباطل، ولا عن الحميد إلا الكلام الذي يحمد عليه لكونه دليلاً للخيرات.

* **م الرابعة:** قوله: **"الذي عجزت الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان**

= (١/٣٣٨ ـ ٤٦٣)، كتاب الطهارة مختصراً، فاقتصر منه على ما روى البخاري أوله: "سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب".

(١) رواه البخاري (٢/٤١ ـ ١٠٧٠)، [باب سجدة النجم]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١/٤٠٥ ـ ٥٧٦)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

بعضهم لبعض ظهيراً": لأن الله تحدى البشر أن يأتوا بمثله فعجزوا، بل بسورة منه فعجزوا، قال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]. وروى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّه ﷺ قَالَ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

❊ **م الخامسة:** قوله: **"كتاب جمع فيه النظم والإعجاز، والبسط والإيجاز، والفصاحة والبلاغة، والتحذير والزجر، والأمر بكل طاعة وتكرمة وأدب، والنهي عن كل منكر وسرف ومعصية، وفعل قبيح مذموم، والتعبد بكل فعل شريف مذكور: من طهارة وصلاة، وصيام وزكاة، وحج وجهاد، وصلة الأرحام، والبذل والعطاء، والصدق والوفاء، والخوف والرجاء، وما يكثر تعداده مما لا يحصى"**: أي أن القرآن جاء بنظم معجز، معجز في البسط والإطناب، فتارة يذكر القصة مطولة وأخرى مختصرة كقصة نوح أو قصة موسى عليهما السلام، فيكون كلا النظمين معجزاً يأخذ اللب ببلاغته وفصاحته كما تقدم عند قول المصنف **"بزع الأسماع والأفهام"** حين أخذ بألباب العرب الأقحاح، وكما تكون بلاغته وفصاحته في القصص، كذلك في جميع نظمه سواء في التحذير والزجر والنهي من الأفعال القبيحة أو المعاصي، أو بالأمر بالطاعات كالصلاة وصلة الأرحام أو مكارم الآداب كالبذل والعطاء، وانظر إلى هذه الآية التي بلغت في الفصاحة والبلاغة المنتهى في الأمر والنهي والتشبيه في

(١) صحيح البخاري (٦/١٨٢ ـ ٤٩٨١)، [باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل]، كتاب فضائل القرآن، ومسلم (١/١٣٤ ـ ١٥٢)، كتاب الإيمان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ [النحل: ٩٠ ـ ٩٢]؛ لذا قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، إذ لا حديث أحسن منه، لا تمله القلوب، ولا تسأمه الأسماع بل تِرداده يزيده تجمُّلاً وطراوة وتكثير حلاوة، وهذا من إعجازه.

❊ م السادسة: قوله: "مع محاجته ﷺ لقومه حين قالوا: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾، فأجابهم: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ من ربي. ثم قال لهم: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥ ـ ١٦] ـ يعني أربعين سنة ـ إني يتيم فقير، لا أكتب، ولا أختلف إلى معلم، ولا ساحر ولا كاهن، ولا شاعر، أفلا تدبرون ذلك، وتعلمون أن هذه الآية لا يقدر عليها إلا الله. قال: فإن لم تفعلوا فيما مضى، ولن يفعلوا فيما يستقبلون. فجعل هذه الآية في القرآن في حياته، وبعد وفاته؛ لا يقدر أحد أن يأتي بمثله، أو سورة منه على نظمه وتأليفه وصدقه، وصحة معانيه، وكبر فوائده وعلومه، ومع عجز الخليقة عن إدراك فهمه، وبلوغ نهاية علمه":

أراد المصنف بيان إعجاز هذا القرآن العظيم إذ أنزله الله على نبيه ﷺ، وأنهم كانوا يعلمون ـ وهو فيهم أربعين سنة ـ يتمه وفقره فيهم، وأنه أميٌّ لا يكتب ولا يقرأ حيث لم يختلف إلى من يعلمه، ويعلمون أنه لا يعرف نظم الشعر،

ويعلمون صدقه وأخلاقه فلا يختلف مثله إلى كاهن أو ساحر أو عراف، ويعلمون فوق ذلك أن هذا النظم ليس نظم شاعر ولا كاهن ولا ساحر، ومع ذلك يقولون عناداً وزيادة في الطغيان: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾، فقد ذكر مقاتل: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد! إن كنت تريد أن نؤمن لك: فأت بقرآن ليس فيه سب لآلهتنا، وليس فيه تحريم ما أحللناه، وليس فيه ذكر البعث والنشور، وإن لم ينزله الله هكذا، فقله من عند نفسك، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥ ـ ١٦][(١)]، أي قل لهم يا محمد: لا أملك تغييره أو تبديله، إذ لو شاء الله ما أنزله عليَّ لأتلوه عليكم، ولا أعلمكم به، فقد مكثت فيكم أربعين سنة قبل أن يوحيه إليّ، فأين عقولكم؟ إذ لو كنت منتحلاً ما ليس لي من القول، لكنت قد انتحلته في أيّام شبابي وقوتي، فلو لم أومر بتلاوته عليكم لكان لي في كبر سني مندوحةٌ عن معاداتكم وتلقي أذيتكم، كيف؟ وقد تحداكم الله بمجاراته ولو بسورة وأنا بينكم، وسيستمر التحدي لكم ولمن بعدكم ولجميع الخلائق ولن يستطيع ذلك أحد، فدل على أن هذا القرآن العظيم لا يقدر على الإتيان به أو بمثله إلا الله، وأنه الكتاب المعجز الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٢٧٣) عند قوله تعالى في [سورة يونس: ١٥]: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾، وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٦٤)، تفسير البغوي (٤/١٢٥)، تفسير السمعاني (٢/٣٧٠)، تفسير روح المعاني الألوسي (٦/٨٠).

* م **السابعة:** قوله: "وإخباره ﷺ في زمن زبر الأولين والآخرين بقوله: ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ③ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٤]، وبقوله: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، فأخبر بذلك قبل كونه. وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩]": أراد المصنف بيان إعجاز هذه القرآن العظيم من جهة إخباره بالغيوب، فذكر في علم المستقبل أمرين، وثالثهما في أخبار الأولين:

(الأول): تأويل قوله تعالى عن الروم: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾، حيث إن سبب نزولها أن فارس غلبت الرُّومَ، فشقَّ ذلك على المسلمين لكون الروم أهل كتاب، وفرح المشركون لكون الفرس عباد أوثان، فنزلت هذه الآية تخبر بأن الروم بعد هزيمتهم سيغلبون ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾، وهو ما بين الثلاث إلى التسع، فتم نصر الروم على الفرس في السنة السابعة، ففرح المسلمون بذلك(١).

(١) رواه الترمذي (٥/٣٤٣ ـ ٣١٩٣)، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، [بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الرُّومِ]، وأحمد (٤/٤٩٠ ـ ٢٧٦٩) (٤/٢٩٦ ـ ٢٤٩٥)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٥)، والطبري في تفسيره جامع البيان (٢٠/٦٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧/٤٣٨ ـ ٢٩٨٨)، والطبراني المعجم الكبير (١٢/٢٩ ـ ١٢٣٧٧)، والحاكم (٢/٤٤٥ ـ ٣٥٤٠) كِتَابُ التَّفْسِيرِ، [تَفْسِيرُ سُورَةِ الرُّومِ]، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٣٠)، والضياء في المختارة (١٠/١٤٦ ـ ١٤٥)، من طرق، عن أبي إسحاق الفزاري، عن سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه. وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة"، وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"،=

(الثاني): في إخبار الله تعالى في قوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾، يعني بالجمع: جمع كفار مكة حين يهزمون في بدر، وهذا مما أخبر الله به نبيه من علم الغيب، روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ خرج من قبة يوم بدر، وهو يقول: «﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾»[(١)]. وروى عبد الرزاق بسند جيد عنْ عِكْرِمَةَ: أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾، جَعَلْتُ أَقُولُ: أَيُّ جَمْعٍ يُهْزَمُ؟ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ:

= وأقره الذهبي. وروي من وجه آخر عن ابن عباس، أخرجه الترمذي مختصراً (٥/٣٤٢ ـ ٣١٩١)، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، [بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الرُّومِ]، والطبري في تفسير جامع البيان (٢٠/٦٨)، والطبراني في المعجم الأوسط (٩/٦٩ ـ ٩١٤٦)، والضياء في المختارة (١١/١٥٨ ـ ١٤٦) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي وعبد الله بن عبد العزيز الليثي. والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧/٤٤١ ـ ٢٩٩٠) من طريق نعيم بن حماد، عن عبد الله بن المبارك، يونس بن يزيد، ثلاثتهم (الجمحي والليثي والأيلي)، عن ابن شهاب الزهري، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابنِ عباس رضي الله عنه. قال الترمذي: "غريب من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس". قلت: الثلاثة ـ الجمحي والليثي ونعيم بن حماد ـ ضعفاء (انظر: تهذيب الكمال (١٥/٢٣٠، ٢٣٨ ـ ٢٩/٤٦٦). وخالفهم عقيل بن خالد الأيلي الحافظ الثبت فرواه عن الزهري عن عبيد الله مرسلاً، أخرجه البيهقي في الدلائل النبوة (٢/ ٣٣٢)، وإسناد صحيح، وهو أصح. وفي الباب عن نيار بن مُكرم الأسلمي والبراء بن عازب رضي الله عنه. انظر: جامع الأصول (٢/٣٠٠)، وجامع المسانيد والسنن (١/ ٤٣٤ ـ ٨٥٢). وفيه قَالَ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ»، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ، فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلاً، فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلَ أَجَلاً خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمْ يَظْهَرُوا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَلَا جَعَلْتَهُ إِلَى دُونَ» ـ قَالَ: أُرَاهُ العَشْرَ، قَالَ سَعِيدٌ: وَالْبِضْعُ مَا دُونَ العَشْرِ ـ قَالَ: ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ. قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾.

(١) صحيح البخاري (٦/١٤٣ ـ ٤٨٧٥)، [بَابُ قَوْلِهِ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾]، كتاب تفسير القرآن.

يَثِبُ فِي الدِّرْعِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾"[١].

(الثالث): في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩]، قال ذلك سبحانه في سورة هود بعد أن بسط قصة نوح وقومه، فقوله ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات القرآن التي ذكر فيها قصة نوح، وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ أي من قبل القرآن. والمعنى: تلك من أخبار ما غاب عنك وعن قومك.

ـ فبذلك كما ذكر المصنف يتضح إعجاز هذا القرآن العظيم من جهة إخباره بالغيوب المستقبلة التي لا يعلمها إلا الله، والماضية التي لا يعلمها العرب، فوقعت كما أخبر القرآن، مما يدل على أنه من عند علام الغيوب.

(١) كتاب التفسير له (٣/٢٦١ ـ ٣٠٦٩)، عن معمر، عن قتادة، وعن أيوب، عن عكرمة به.

❁ قال المصنف:

"وله صلى الله عليه الآية العظمى التي ظهرت له في الأرض والسماء، التي لم يشركه فيها بشر، ولم يبلغ الذي بلغه أحد من النُّذُر، التي إذا تدبرها ذو فهم وعقل وبصيرة علم أن الله قد جمع له فيها شرف المنازل والرتب، ما فضله بها على الأولين والآخرين، وهو أنه ركب البراق، وأتى بيت المقدس من ليلته، ثم عرج به إلى السموات، فسلم على الملائكة والأنبياء، وصلى بهم، ودخل الجنة، ورأى النار، وافترض عليه في تلك الليلة الصلوات، ورأى ربه، وأدناه، وقربه، وكلمه، وشرّفه، وشاهد الكرامات والدلالات، حتى دنا من ربه فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى. وأن الله وضع يده بين كتفيه فوجد بردها بين ثدييه فعلم علم الأولين والآخرين، وقال ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. وهي رؤيا يقظة لا منام. ثم رجع في ليلته بجسده إلى مكة".

انتقل المصنف إلى ذكر آية من آيات النبي ﷺ، وهي آية الإسراء والمعراج، فقوله: "وله صلى الله عليه الآية العظمى التي ظهرت له في الأرض والسماء، التي لم يشركه فيها بشر، ولم يبلغ الذي بلغه أحد من النُّذُر، التي إذا تدبرها ذو فهم وعقل وبصيرة علم أن الله قد جمع له فيها شرف المنازل والرتب، ما فضله بها على الأولين والآخرين، وهو أنه ركب البراق، وأتى بيت المقدس من ليلته، ثم عرج به إلى السموات "، أي أن النبي ﷺ أكرمه الله بآية الإسراء والمعراج، وفيه مسائل:

* م الأولى: الإسراء: هو السير بمحمد ﷺ ليلاً من مكة إلى بيت المقدس، فصلى بالأنبياء، ثم عرج به. والمعراج: هو الصعود بالنبي ﷺ من الأرض إلى السماء السابعة، إلى أن بلغ سدرة المنتهى التي ينتهي إليها كل شيء صعد من الأرض، حتى سمع ﷺ فيه صريف الأقلام، وهو مكان ما بلغه أحد من البشر. وهذه الآية العظيمة ذكرها ﷻ في كتابه والنبي ﷺ في سنته:

ـ أما القرآن فبين الله أنه أسرى به وعرج به ليريه من آياته الكبرى كما قال تعالى في الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وقال في المعراج: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨].

ـ وفي السنة جاء في "الصحيحين" عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عن الإسراء: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»[(١)]. ولهما عن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه، عنه ﷺ أنه قَالَ: «فُرِجَ سَقْفِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ

(١) رواه البخاري (٥/٥٢ ـ ٣٨٨٦) [باب حديث الإسراء]، كتاب مناقب الأنصار، ومسلم (١/١٥٦ ـ ١٧٠)، كتاب الإيمان.

جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ»[(١)]، فذكر الحديث الطويل في استفتاح كل سماء، والسلام فيها على الأنبياء، وفرض الصلاة خمسين، ثم تردد محمد ﷺ بين ربه وموسى ﷺ في طريق نزوله طلباً للتخفيف بطلب من موسى ﷺ، حتى أمضاها الله خمساً، وخمسين في الميزان. وفي لفظ حديث مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّه ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَرَكِبْتُهُ، حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ..»[(٢)]. وفي مسلم عن ابن مسعُوْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»، قَالَ: «﴿إِذْ يَغْشَى﴾، السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى»، قَالَ: «فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ»، قَالَ: «فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ»[(٣)]. لكن قال الحافظ ابن رجب: "قول ابن

(١) رواه البخاري (٢/١٥٦ ـ ١٦٣٦) [باب ما جاء في زمزم]، كتاب الحج، ومسلم (١/١٤٨ ـ ١٦٣)، كتاب الإيمان.

(٢) صحيح مسلم (١/١٤٥ ـ ١٦٢)، كتاب الإيمان.

(٣) صحيح مسلم (١/١٥٧ ـ ١٧٣)، كتاب الإيمان.

مسعود: أن سدرة المنتهى في السماء السادسة، يعارضه حديث أنس المرفوع من طرقه كلها؛ فإنه يدل على أنها في السماء السابعة، أو فوق السماء السابعة، والمرفوع أولى من الموقوف"(١).

* م الثانية: اختلف في وصف طريقة معراجه ﷺ على رأيين:

ـ (الأول): أن معراجه ﷺ كان بآلة العروج التي يعرج بها، وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها، وبذلك فسره أكثر العلماء المتأخرين كشارح الطحاوية ابن أبي العز حين قال: "المعراج: مفعال، من العروج، أي الآلة التي يعرج فيها، أي يصعد، وهو بمنزلة السلم، لكن لا يعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته"(٢). وقال ابن كثير: "نصب له المعراج ـ وهو السلم ـ فصعد فيه إلى السماء، ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس، بل كان البراق مربوطًا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة"(٣).

وحجة القائلين بهذا القول ما جاء في حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ الذي رواه عبد الرزاق في "تفسيره"، والطبري في "جامع البيان"، والحارث بن أبي أسامة في "مسنده"، والبيهقي في "البعث"، والآجري في "الشريعة" قال ﷺ: «ثُمَّ جِيءَ بِالْمِعْرَاجِ الَّذِي تَعْرُجُ فِيهِ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ، فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَيِّتِ كَيْفَ يُحَدُّ بَصَرُهُ إِلَيْهِ، فَعَرَجَ بِنَا فِيهِ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى

(١) فتح الباري (٢/٣٢٣).
(٢) شرح الطحاوية (١٩٥).
(٣) البداية والنهاية (٤/٢٧٦).

بَابِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، لكنه لا يصح؛ لتفرد أبي هارون العبدي به عن أبي سعيد رضي الله عنه، وهو متروك الحديث، وكذبه جماعة[(١)]. ولذا لما وصف الذهبي الحديث بأنه غريب عجيب، قال: "وبسياق مثل هذا الحديث صار أبو هارون متروكًا"[(٢)].

ـ (الثاني): أن معراجه ﷺ كإسرائه كان بالبراق لا فرق، لذا قال البربهاري عن معراج النبي ﷺ: "حمله جبريل على البراق حتى أداره في السماوات، وفرضت عليه الصلاة في تلك الليلة، ورجع إلى مكة في تلك الليلة"[(٣)]. وهو الأقوى من حيث الرواية، حيث استدل لهذا القول بأدلة:

١ ـ ما جاء في "الصحيحين" من حديث مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنه، قَالَ ﷺ: «وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ: البُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا»[(٤)]. فظاهره أنه ﷺ استمر على البراق حتى السماء، إلا أن الإشكال فيه عدم ذكر الإسراء لبيت المقدس، ولذا احتج به من قال بتعدد المعراج إلى السماء، أو أن المعراج كان في ليلة والإسراء في

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٨٢ ـ ١٥٢٧)، والطبري في تفسيره جامع البيان (١٧/٣٤٤)، والحارث بن أسامة في مسنده (كما في بغية الباحث: ١/١٧٠ ـ ٢٧)، والآجري في الشريعة (٣/١٥٢٩ ـ ١٠٢٧) [باب ذكر ما خص الله عز وجل به النبي ﷺ]، والبيهقي في البعث والنشور (١٤٣ ـ ١٨٣) مختصرًا، كلهم من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد رضي الله عنه رفعه في حديث طويل. وأبو هارون العبدي متروك ومنهم من كذبه، انظر: ميزان الاعتدال (٣/١٧٣).

(٢) السير (١/٢٨٧). وقال الألباني (الضعيفة: ١٣/٤٣٧): "موضوع، ولوائح الوضع عليه ظاهرة".

(٣) شرح السنة (ص: ٨١).

(٤) صحيح البخاري (٤/١٠٩ ـ ٣٢٠٧)، [باب ذكر الملائكة]، كتاب بدء الخلق. ومسلم (١/١٤٩ ـ ١٦٤)، كتاب الإيمان.

ليلة أخرى، إلا أن الحافظ ابن حجر مال إلى أن في هذا الحديث حذفاً ليتوافق مع الأحاديث الأخرى فجعل تقديره: "حتى أتى بي بيت المقدس، ثم أتى بالمعراج"[١]. لكن للمخالف أن يقول: يتوجه هنا ما قاله الحافظ ابن حجر لو ثبت حديث المعراج، وما دام أنه شبه الموضوع، لمَ لا يكون تقديره: حتى أتى بي بيت المقدس، ثم أتى بالبراق.

٢ ـ ما روى الشيخان عن أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال عن جبريل عليه السلام: «ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا..»[٢]، فلم يذكر سلماً ولا آلة معراج، لذا لما ذكر الحافظ ابن حجر هذا الحديث قال: "الذي يظهر أن جبريل في تلك الحالة كان دليلاً له فيما قصد له، فلذلك جاء سياق الكلام يشعر بذلك قوله (حتى أتى السماء الدنيا) ظاهره أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء، وهو مقتضى كلام ابن أبي جمرة المذكور"[٣]. قلت: وكلام ابن أبي جمرة نقله الحافظ قبل ذلك بورقتين أنه قال: "والقدرة كانت صالحة لأن يصعد بنفسه من غير براق، ولكن ركوب البراق كان زيادة له في تشريفه؛ لأنه لو صعد بنفسه لكان في صورة ماش، والراكب أعز من الماشي"[٤].

٣ ـ صحح الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث حُذَيْفَةَ رضي الله عنه ـ وَهُوَ

(١) انظر: فتح الباري (١٣/٤٨١).

(٢) صحيح البخاري (٤/١٣٥ ـ ٣٣٤٢)، [باب ذكر إدريس]، كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١/١٤٨ ـ ١٦٣)، كتاب الإيمان.

(٣) انظر: فتح الباري (٧/٢٠٨).

(٤) المرجع السابق (٧/٢٠٦).

يُحَدِّثُ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ـ فقال فيه: «وَاللهِ! مَا صَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَتَئِذٍ، لَوْ صَلَّى فِيهِ لَكُتِبَ عَلَيْكُمْ صَلَاةٌ فِيهِ، كَمَا كُتِبَ عَلَيْكُمْ صَلَاةٌ فِي الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَاللهِ مَا زَايَلَا الْبُرَاقَ حَتَّى فُتِحَتْ لَهُمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَرَأَيَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَوَعْدَ الآخِرَةِ أَجْمَعَ، ثُمَّ عَادَا عَوْدَهُمَا عَلَى بَدْئِهِمَا، قَالَ: ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ، قَالَ: وَيُحَدِّثُونَ أَنَّهُ رَبَطَهُ أَلِيَفِرَّ مِنْهُ؟ وَإِنَّمَا سَخَّرَهُ لَهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ». ولفظ البزار مرفوعاً: قال رَسُولَ اللهِ ﷺ: «فَمَا زَايَلْنَا ظَهْرَها أَنَا وَجِبْرِيلُ حَتَّى رَأَيْنَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»[(١)]. فأثبت حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ وجبريل عليه السلام لم يغادرا البراق حتى استفتحا السماء الدنيا، وهذا نص محكم، ولا يرد على هذا نفي حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ لم يصلِّ في بيت المقدس أو نفيه لربط البراق؛ لأن المثبت من أحاديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم الآخرين مقدم على نفيه رضي الله عنه، بخلاف ذكر المعراج بالبراق

---

(١) رواه أحمد (٣٨/٣٢١ ـ ٢٣٢٨٥)، والتِّرْمِذِيّ (٥/٣٠٧ ـ ٣١٤٧)، [باب: ومن سورة بني إسرائيل]، أبواب تفسير القرآن، والطيالسي (٣٢٧ ـ ٤١١)، والحُمَيْدِي (١/٤١٢ ـ ٤٥٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٣٣٥ ـ ٣٦٥٧٣)، [حديث المعراج حين أسري بالنبي عليه السلام]، كتاب المغازي، والبزار في البحر الزخار (٧/٣١٥ ـ ٢٩١٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٢/٥٤٣ ـ ٥٠١٤)، وابن حبان (١/٢٣٣ ـ ٤٥)، [ذكر ركوب المصطفى ﷺ البراق]، والحاكم (٢/٣٩١ ـ ٣٣٦٩)، [ومن تفسير سورة بني إسرائيل]، كتاب التفسير، من طرق عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن حذيفة رضي الله عنه به مرفوعاً. صححه ابن حبان والحاكم، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، قلت: لشواهده، وإلا فهو حسن لأن عاصم بن أبي النجود صدوق، قال أبو عمرو البزار (كما في إكمال تهذيب الكمال: ٧/١٠٠): "لم يكن بالحافظ ولا نعلم أن أحداً ترك حديثه". قلت: رواه مسعر وأبو بكر بن عياش وحماد بن سلمة عن زر عن حذيفة من قوله «فما زايلا ظهر البراق»، ورواه شيبان بن عبد الرحمن عن زر عن حذيفة فجعله من قول النبي ﷺ: «فما زايلنا ظهرها». قلت: وشيبان ثقة حجة، صاحب كتاب.

فلا معارض صحيح له.

* **م الثالثة:** قوله: **"فسلم على الملائكة والأنبياء، وصلى بهم، ودخل الجنة، ورأى النار، وافترض عليه في تلك الليلة الصلوات"**، ذكر المصنف هنا أربع وقائع:

١ ـ قوله **"وصلى بهم"**، أي صلى النبي ﷺ بالأنبياء، وهذا وقع ببيت المقدس لا في المعراج، فقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: «فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ ـ يَعْنِي نَفْسَهُ ـ فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ»[(١)].

٢ ـ قوله **"فسلم على الملائكة والأنبياء"**، أي أن النبي ﷺ سلم على الملائكة والأنبياء في المعراج لما صعد ﷺ إلى السماء كما في "الصحيحين" عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنه قال ـ وذكر قصة الإسراء ـ: «ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ، وَفَوْقَ الحِمَارِ أَبْيَضَ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ،

(١) صحيح مسلم (١/١٥٦ ـ ١٧٢)، كتب الإيمان.

فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ..»، فذكر مثله، إلا أنه ذكر ﷺ أنه لقي في السماء الثانية: يحيى وعيسى، وفي السماء الثالثة: يوسف، وفي السماء الرابعة: إدريس، وفي السماء الخامسة: هارون، وفي السماء السادسة: موسى، وفي السماء السابعة: إبراهيم عليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم، وكلهم يقول: «مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»، إلا إبراهيم فقال ما قال آدم: «بِالابْنِ الصَّالِحِ». وقال ﷺ في لقاء موسى: «فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي؛ لأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي»(١). وقد قيل: الذي رآه في السماء من الأنبياء عليهم السلام إنما هو أرواحهم، إلا عيسى عليه السلام فإنه رفع بجسده إلى السماء. وقيل: بل أشخاصهم؛ لأنه نقل بعض السلف: أن جميع الرسل لا يتركون بعد موتهم في الأرض أكثر من أربعين يوماً، ثم ترفع أجسادهم إلى السماء(٢). وأما قول المصنف "**فسلم على الملائكة**"، فالمراد من صادفهم في معراجه كالذين على أبواب السموات آنفاً، ففي حديث مسلم

(١) صحيح البخاري (٥/٥٢ ـ ٣٨٨٧) [باب المعراج]، كتاب مناقب الأنصار، ومسلم (١/١٤٩ ـ ١٦٤)، كتاب الإيمان.

(٢) قال البيهقي في حياة الأنبياء في قبورهم (٧٦ ـ ٥): "رَوَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، فِي الْجَامِعِ فَقَالَ: قَالَ شَيْخٌ لَنَا، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: مَا مَكَثَ نَبِيٌّ فِي قَبْرِهِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً حَتَّى يُرْفَعَ".

عن أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم قريباً: «فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ».

وقد روى ابن أبي حاتم من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام: "مَا لي لم آتِ على أهل سَمَاء إِلَّا رحبوا بِي وَضَحِكُوا إِلَيّ غير رجل وَاحِد سلمت عَلَيْهِ، فَرد عَليّ السَّلَام ورحب بِي وَلم يضْحك إِلَيّ؟ قَالَ: ذَاك مَالك خَازِن النَّار لم يضْحك مُنْذُ خلق وَلَو ضحك لأحد لضحك إِلَيْك"، وفيه خالد بن يزيد ضعيف[١]، قال ابن كثير بعد أن ساقه بإسناده: "هذا سياق فيه غرائب عجيبة"[٢].

٣ ـ قوله "**وافترض عليه في تلك الليلة الصلوات**"، أي أن الله افترض على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته في المعراج الصلوات المفروضة خمسين صلاة ثم خففها إلى خمس في العمل وخمسين في الأجر، ففي حديث مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنه الآنف واللفظ للبخاري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ! قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى

---

(١) انظر: ميزان الاعتدال (١/٦٤٥).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٥/١٤). وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/١٨٨)، وكتاب الإسراء والمعراج للألباني (ص: ٤٨).

مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»[(١)].

٤ ـ قوله "**ودخل الجنة، ورأى النار**": أما دخول النبي ﷺ الجنة في معراجه ذلك، فقد ثبت في "الصحيحين" مرفوعاً من حديث أبي ذر رضي الله عنه، أنه ﷺ قال بعد سياق فرض الصلاة: «ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى بِي السِّدْرَةَ المُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ»[(٢)].

والجنابذ: بفتح الجيم والنون، جمع جنبذة وهي القبة، أي فيها قباب اللؤلؤ، وكأنها شبهت بجنابذ الورد قبل تفتحها، وفي رواية للبخاري: «فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ»[(٣)]، بالحاء المهملة واللام: أي قلائد وعقود اللؤلؤ، أو حبال الرمل، أي في الجنة تلالٌ من لؤلؤ. لكن ذكروا أن رواية "الحبايل"

---

(١) صحيح البخاري (٥/٥٢ ـ ٣٨٨٧)، [باب المعراج]، كتاب مناقب الأنصار.

(٢) صحيح البخاري (٤/١٣٥ ـ ٣٣٤٢)، [باب ذكر إدريس]، كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١/١٤٨ ـ ١٦٣)، كتاب الإيمان.

(٣) صحيح البخاري (١/٧٨ ـ ٣٤٩)، [باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء]، كتاب الصلاة.

تصحيف، وصوبوا الرواية المتفق عليها "جنابذ"[(١)]، وهي الموافقة لما روى البخاري عَنْ أَنَسٍ ﷺ أنه ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ»[(٢)].

والظاهر أن المراد بالقباب هنا خيام المؤمنين في الجنة التي جاء وصفها في "الصحيحين" عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُونَ»[(٣)].

ـ وفرق المصنف بين الجنة فذكرها بالدخول، وأما النار فذكر أنه ﷺ رآها؛ لأنه لا يدخلها إلا من أخزاه الله، وقد ثبتت رؤيته ﷺ للنار في المعراج موقوفاً فيما روى الإمام أحمد وغيره بإسناد حسن عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ ـ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ـ حيث قال: «وَاللهِ مَا زَايَلَا الْبُرَاقَ حَتَّى فُتِحَتْ لَهُمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَرَأَيَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَوَعْدَ الآخِرَةِ أَجْمَعَ»[(٤)]. وفي حديث أبي سعيد ﷺ عند البيهقي في "البعث": «ثُمَّ عُرِضْتُ عَلَى النَّارِ، فَإِذَا فِيهَا غَضَبُ اللهِ وَزَجْرُهُ، وَنِقْمَتُهُ، لَوْ طُرِحَ فِيهَا الْحِجَارَةُ، وَالْحَدِيدُ لأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أُغْلِقَتْ دُونِي»، وهو كما تقدم ضعيف جداً[(٥)].

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٦٣/١ ـ ٣٤٩) عند شرح الحديث.
(٢) صحيح البخاري (١٢٠/٨ ـ ٦٥٨١)، [باب في الحوض]، كتاب الرقاق.
(٣) صحيح البخاري (١٤٥/٦ ـ ٤٨٧٩)، [باب ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢١٨٢/٤ ـ ٢٨٣٨)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.
(٤) تقدم تخريجه في المسألة السابقة وهو الدليل الثالث للقول الثاني: أن معراجه ﷺ كان بالبراق.
(٥) رواه البيهقي في البعث والنشور (١٤٣ ـ ١٨٣) [باب ما يستدل به على أن النبي ﷺ رأى=

* م الرابعة: قوله: "ورأى ربه، وأدناه وقربه، وكلمه وشرّفه، وشاهد الكرامات والدلالات": ذكر المصنف هنا أموراً، فأما الرؤية فسيأتي الكلام عنها، وأما الكلام والشرف فقد تقدم في مراجعته ﷺ ربه ﷻ في تخفيف الصلاة. ونذكر هنا الأمرين الباقيين:

١ ـ الدنو والقرب: فقد صُعد بنبينا ﷺ إلى مكان ما يعلم أن أحداً بلغه من البشر حين مر بموسى الكليم في السادسة، وإبراهيم الخليل في السابعة، ثم جاوز منزلتيهما حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام:

ففي حديث شَرِيكِ بْنِ أَبِيْ نَمِرْ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالكٍ ﷺ عند البخاري: «فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى»[(١)].

وفي مسلم عن ابنِ مسعُوْدٍ ﷺ، قَالَ: «انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.. إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»[(٢)].

وفي "الصحيحين" عن ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبي حَيَّةَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قال ﷺ:

= الجنة، والنار] بهذا اللفظ، وتقدم أصل الحديث عند جماعة بدون هذا اللفظ في المسألة السابقة عند دليل القول الأول: أن معراجه ﷺ كان بآلة العروج بلفظ: " ثُمَّ جِيءَ بِالْمِعْرَاجِ»، وفيه أبو هارون العبدي وهو متروك الحديث، وكذبه جماعة كما تقدم، وانظر: السير للذهبي (٢٨٧/١) ".

(١) صحيح البخاري (١٤٩/٩ ـ ٧٥١٧)، [باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾]، كتاب التوحيد.

(٢) صحيح مسلم (١٥٧/١ ـ ١٧٣)، كتاب الإيمان.

«ثُمَّ عُرِجَ بِي، حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ صَرِيفَ الأَقْلَامِ»(١)، أي صوت ما تكتبه الملائكة بأقلامها من أقضية الله تعالى ووحيه، ومعنى "ظَهَرْت": أي علوت، فالآدمي لا يبلغ أن يسمع صريف القلم إلا بمكان قد تناهى في القرب؛ لذا قال العلماء: أقام الله محمدًا ﷺ مقاماً لا يبلغه غيره من البشر، مقام من لا يطوى عنه سر حين سمع صريف الأقلام. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوى يسمع فيه صريف الأقلام، وعلا على مقامات الملائكة"(٢). لكن ما يذكر عن جبريل عليه السلام أنه قال للنبي ﷺ: (تقدم أنت وأما أنا فليس لي أن أتقدم خطوة واحدة)، فهو من الكذب الذي لا أصل له في السنة.

٢ ـ مشاهدة الآيات والدلالات: فهذا ما نص عليه في بيان الحكمة من الإسراء والمعراج، فقال تعالى في الإسراء: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وقال في المعراج: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، فمن هذه الآيات: شقُّ صدره ﷺ وغسْله بماء زمزم وملؤه حكمة وعلماً، وركوبه البراق الذي يضع حافره حيث ينتهي بصره، والإسراء به ﷺ إلى المسجد الأقصى، وصلاته بالأنبياء في المسجد الأقصى، والعروج به ﷺ للسماء الدنيا، وسلامه على الأنبياء الذين في السماوات بحسب منازلهم، ورفعه فوق ذلك عند سدرة المنتهى ورؤيته ما يغشاها من فراش من ذهب وألوان متعددة، ورأى جبريل عندها على صورته وله ستمائة جناح،

(١) صحيح البخاري (٤/١٣٥ ـ ٣٣٤٢)، [باب ذكر إدريس]، كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١/١٤٨ ـ ١٦٣)، كتاب الإيمان.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٩).

ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق. ثم رفعه إلى مستوى يسمع صريف الأقلام، وكلام الله تعالى له بفرض الصلوات. وأعطي خواتم سورة البقرة من كنز تحت العرش، وغفر لمن لم يشرك من أمته الْمُقْحِمَاتُ، ورآى آدم وعن يمينه أسودة وهم أهل الجنة، وعن شماله أسودة وهم أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، ورأى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، ورأى الجنة والنار، ورأى بعض المعذبين في النار، ودخل ﷺ الجنة فرأى ما فيها من قباب وخيام وقصور وأنهار، وأعطي فيها الكوثر، وعاد في ليلته، ولما حدث قريشاً بالإسراء سألوه عن بناء بيت المقدس فرفع له بيت المقدس فوصفه وهو ينظر إليه.

* **م الخامسة:** قوله: "**ورأى ربه... حتى دنا من ربه فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى**"، ذكر المصنف هنا من خصائص النبي ﷺ في قصة المعراج أمرين يعترض عليه في كليهما:

ـ (الاعتراض الأول): قوله: "**ورأى ربه**": أي أن النبي ﷺ رأى ربه ﷻ في المعراج، وقد اختلفت الروايات عن الصحابة ومن بعدهم في هذا على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه ﷺ رأى ربه في المعراج، وهذا القول مروي عن جماعة من السلف منهم ابن عباس رضي الله عنهما، ونسب للإمام أحمد، ونصره ابن جرير واختاره أبو الحسن الأشعري. فقد روى أصحاب "السنن" و"المسانيد" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَوْلِهِ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، قَالَ: «رَأَى

رَبَّهُ ﷻ". ورواه الترمذي بلفظ: «قَدْ رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ». وهو ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما[(١)].

القول الثاني: أنه ﷺ إنما رأى جبريل عند سدرة المنتهى ولم ير ربه ﷻ، وهو القول المرفوع إلى النبي ﷺ من وجهين:

(الأول): روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها، ولفظ مسلم أنها قالت لمن احتج عندها بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] على رؤيته ﷺ لربه ﷻ في المعراج: «أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ». ولفظ البخاري: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ»[(٢)].

(١) رواه أحمد (٣٥٠/٤ ـ ٢٥٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١٨٩/١ ـ ٤٣٤)، [باب ما ذكر من رؤية النبي ﷺ ربه تعالى]، والآجري في الشريعة (١٠٤٨/٢ ـ ٦٢٧)، والدارقطني في كتاب رؤية الله (٣٤٦ ـ ٢٦٥)، (٣٤٨ ـ ٢٦٩)، (٣٤٩ ـ ٢٧١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥٦٧/٣ ـ ٨٩٧)، وابن منده في كتاب الإيمان (٧٦٠/٢ ـ ٧٦)، والضياء في المختارة (٢٣٣/١٢ ـ ٢٥٧)، من طرق متعددة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الترمذي (٣٩٥/٥ ـ ٣٢٨٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٧/٦ ـ ٣١٨٠٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١٩١/١ ـ ٤٣٩)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٤٩٠/٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٩٩/١٠ ـ ١٠٧٢٧)، والآجري في الشريعة (١٥٤١/٣ ـ ١٠٣٢)، من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسنه الترمذي، وصحح الضياء الأول، وهو ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما. لكن قيدت بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما بأنه رآه بفؤاده كما سيأتي.

(٢) صحيح البخاري (١١٥/٤ ـ ٣٢٣٤)، [باب إذا قال أحدكم آمين]، كتاب بدء الخلق، صحيح مسلم (١٥٩/١ ـ ١٧٧)، كتاب الإيمان.

وروى أحمد وغيره عن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عَلَيْهِ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، يُنْتَثَرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاوِيلُ: الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ»(١).

(الثاني): نفي النبي ﷺ لرؤية ربه ﷻ، ففي مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»(٢)، قال ابن القيم: "فكيف يخبر القرآن أنه رآه مرتين، ثم يقول رسول الله ﷺ: (أنى أراه؟)، وهذا أبلغ من قوله: لم أره؛ لأنه مع النفي يقتضي الإخبار عن عدم الرؤية فقط، وهذا يتضمن النفي، وطرفا من الإنكار على السائل"(٣).

وهو قول الأكثر من الصحابة رضي الله عنهم:

١ ـ فروى الشيخان أن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قالت: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]» لفظ البخاري(٤).

(١) رواه أحمد (٧/٣١ ـ ٣٩١٥)، وأبو يعلى (٩/٢٤٣ ـ ٥٣٦٠)، والطبري في تفسيره (٢٢/٥٠٩)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/٥٠٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٧٢)، من طرق عن حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن عبد الله رضي الله عنه، به. وإسناده حسن، لأن عاصم بن بهدلة صدوق وسط، قال أبو عمرو البزار (كما في إكمال تهذيب الكمال: ٧/١٠٠): "لم يكن بالحافظ ولا نعلم أن أحداً ترك حديثه".

(٢) صحيح مسلم (١/١٦١ ـ ١٧٨)، كتاب الإيمان.

(٣) مدارج السالكين (٣/٣٠٢).

(٤) صحيح البخاري (٦/١٤٠ ـ ٤٨٥٥)، [سورة والنجم]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١/١٥٩ ـ ١٧٧)، كتاب الإيمان.

٢ ـ ورويا أيضاً عن ابْنُ مَسْعُودٍ في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]، قَالَ: «رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»[١].

٣ ـ وروى مسلم أيضاً عن أَبِي هُرَيْرَةَ: «﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ»[٢].

القول الثالث: هو الوقوف عن القطع بالنفي أو الإثبات في هذه المسألة، وقد رجح هذا جماعة منهم أبو العباس القرطبي[٣]، وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع.

ـ والصواب القول الثاني، وهو نفي رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ بعيني رأسه في المعراج أو غيره لأمرين ظاهرين:

١ ـ أن معول مثبتي رؤية العين على آية النجم، وقد نوزعوا في تفسيرها ممن هم أكثر وأجلّ، ومع ذلك فقد رفع هذا التنازع تفسير النبي ﷺ لها في مرفوع عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما، وليس لأحد قول مع رسول الله ﷺ.

٢ ـ أن الثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق كثيرة ما رواه مسلم وغيره عنه أنه قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، قَالَ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»[٤]. واستند ابن عباس رضي الله عنهما ـ كما قال ابن القيم[٥] ـ بقوله

(١) صحيح البخاري (٤/١١٥ ـ ٣٢٣٢)، [باب إذا قال أحدكم آمين]، كتاب بدء الخلق، ومسلم (١/١٥٧ ـ ١٧٤)، كتاب الإيمان.
(٢) صحيح مسلم (١/١٥٨ ـ ١٧٥)، كتاب الإيمان.
(٣) المفهم في شرح صحيح مسلم (٣/٢٠).
(٤) صحيح مسلم (١/١٥٨ ـ ١٧٦)، كتاب الإيمان.
(٥) زاد المعاد (٣/٣٤).

«رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ» إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، وأن قول ابن عباس هذا هو مستند الإمام أحمد في قوله: "رآه بفؤاده". لذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد تارة، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. ولا عن الإمام أحمد، لكن فهم ذلك من كلامهما المطلق، ورد شيخ الإسلام هذا الفهم غير الصحيح بثلاثة أمور:

١ ـ أنه لم يثبت في الكتاب والسنة ما يدل على أن النبي ﷺ رأى ربه بعينيه، ولا عن أحد من الصحابة؛ لذا حكى الدارمي إجماع الصحابة على عدم رؤية النبي ﷺ لربه بعينيه(١).

٢ ـ أن النصوص الصحيحة على نفيه أدل، كما تقدم في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟».

٣ ـ أن الله تعالى قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١]، ولو كان قد أَرَاهُ نَفْسَه بعينه لكان ذكر ذلك أولى(٢).

ـ (الاعتراض الثاني): قوله: "**حتى دنا من ربه فتدلى**"، والكلام فيه كالكلام في الذي قبله، فمراد المصنف أن الله تعالى هو الذي دنا من محمد ﷺ

---

(١) قال في كتاب الرد على الجهمية (ص: ١٢٤) في خطابه للجهمي: "وأنتم وجميع الأمة تقولون به: إنه لم ير، ولا يرى في الدنيا، فأما في الآخرة فما أكبر نعيم أهل الجنة إلا النظر إلى وجهه، والخيبة لمن حرمه".

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٥٠٩).

في المعراج في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨ ـ ٩]، واستدلوا بأدلة منها:

١ ـ ما روى البخاري من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس رضي الله عنه، قال: «حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ: خَمْسِينَ صَلَاةً»[(١)].

٢ ـ ولما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري واللالكائي وأبي طاهر المخلص والسراج والبيهقي[(٢)] فِي قَوْلِهِ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ قَالَ: «دَنَا رَبُّهُ مِنْهُ فتدَلَّى فكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى». وزعم ابن القيم[(٣)] في أن الدنو والتدلي في آية النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ هو تدلي ودنو جبريل إلى الأرض، وأما الدنو والتدلي في حديث شريك عن أنس رضي الله عنه في حديث المعراج فهو تدلي ودنو الجبار جل جلاله لمحمد صلى الله عليه وسلم. والجواب عن ذلك كله: أن الآية تدل على دنو جبريل عليه السلام من النبي صلى الله عليه وسلم لا أن الرب دنا فتدلى، وذلك من أوجه:

١ ـ أن حديث أنس رضي الله عنه من طريق شريك بن أبي نمر، وقد غلَّط المحدثون شريكاً في حديثه الطويل، وقالوا: خلط وزاد زيادات لم يروها

(١) صحيح البخاري (١٤٩/٩ ـ ٧٥١٧)، [باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾]، كتاب التوحيد

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٥٠٢/٢٢)، وأبو طاهر المخلص في المخلصيات (٣٦٢/٢ ـ ١٧٥٨)، والسراج في حديثه (٣٤٢/٢ ـ ١٣٩٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥٧٠/٣ ـ ٩٠٦).

(٣) مدارج السالكين (٣٠٠/٣).

غيره ممن هو أحفظ منه، فليس في رواية ثابت ولا قتادة عن أنس ﵁ لفظ "الدنو"، ولا "التدني"، ولا المكان، ولا في رواية الزهري عن أنس وأبي ذر ﵄. ثم إنه خلط في مقامات الأنبياء، وقال في آخر حديثه: "فاستيقظ وهو في المسجد الحرام"، والمعراج إنما كان رؤية عين[(١)]. ولذا لما بوب البخاري في كتاب التفسير بالآية: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾، أورد تفسيرها من حديث ابن مسعود الآتي في كون المتدلي جبريل ﵇[(٢)]، ولم يعتمد على تخليط شريك في حديث أنس ﵁.

٢ ـ وأما حديث ابن عباس ﵄ فرواه من تقدم ذكره من طريق: سعيد ابن يحيى الأموي عن أبيه عن مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، وهو معلول بعلتين:

أ ـ أن سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي كان يهم، خاصة في روايته عن أبيه كما في هذا الحديث، فنقل الدارقطني أنه اختلطت عليه بعض أحاديث أبيه[(٣)]، لذا رواه الترمذي في "سننه"، ومحمد بن إسحاق الصغاني عند البيهقي في "الأسماء والصفات" عنه دون ذكر التدلي[(٤)]، ورواه ثقتان عن محمد بن عمرو فلم يذكرا التدلي كذلك: حيث رواه عبدة بن سليمان

(١) انظر: فتح الباري لابن رجب (٢/٣١٨)، وفتح الباري لابن حجر (١/٣٨٣).

(٢) انظر كتاب التفسير (٦/١٤١ ـ ٤٨٥٦)، [بابُ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾].

(٣) انظر: تهذيب التهذيب (٤/٩٨)، علل الدارقطني (٧/١٠٠). وقال تلميذه الحافظ صالح بن محمد (تاريخ بغداد: ٩/٩٣: "صدوق إلا أنه كان يغلط"، وقال ابن حبان في الثقات (٨/٢٧٠): "ربما أخطأ".

(٤) سنن الترمذي (٥/٣٩٥ ـ ٣٢٨٠)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/٣٦٠ ـ ٩٣٣).

الكلابي عند ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم والطبراني والآجري والدارقطني[(١)]، ويزيد بن هارون عند ابن خزيمة واللالكائي والدارقطني[(٢)] بدون ذكر التدلي، وإنما قالا فيه: «رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ»، وعند اللالكائي قَالَ: «رَآهُ بِقَلْبِهِ».

ب ـ أن ذكر تفسير الآية بتدلي الرب ﷻ عن ابن عباس مخالف للثابت عند الشيخين عن النبي ﷺ أن الذي تدلى ورآه هو جبريل ﷺ كما تقدم؛ لذا قال العلامة الألباني عن هذه الرواية: "وبالجملة فتفسير الآية عن ابن عباس برؤية الله ﵎ ثابت عنه، لكن الأخذ بالتفسير الذي ذكر عَنْهُ ﷺ مرفوعًا أولى منه، والأخذ [به] واجب دون الموقوف، لا سيما وقد اضطرب الرواة عنه في هذه الرؤية، فمنهم من أطلقها كما في حديث الترجمة وغيره، ومنهم من قيدها بالفؤاد، كما في رواية مسلم المذكورة، وهي أصح الروايات عنه"[(٣)].

٣ ـ أنه تقدم تفسيره من قول النبي ﷺ في حديث عائشة ﵂ في الصحيح حينما سألته عن الرؤية في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٤]، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ». وحديث عبدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﵁، قَالَ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى»، وسياق الآيات من أولها لآخرها كلها لجبريل ﷺ.

---

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٦/٣٢٧ ـ ٣١٨٠٣)، والسنة لابن أبي عاصم (١/١٩١ ـ ٤٣٩)، والمعجم الكبير للطبراني (١٠/٢٩٩ ـ ١٠٧٢٧)، والشريعة للآجري (٣/١٥٤١ ـ ١٠٣٢)، وكتاب رؤية الله للدارقطني (٣٥٢ ـ ٢٧٥).

(٢) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٤٩٠)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/٥٧٣ ـ ٩١٣)، وكتاب رؤية الله للدارقطني (٣٥٢ ـ ٢٧٦).

(٣) ظلال الجنة في تخريج السنة (١/١٩١).

لذا أشار ابن القيم إلى أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور وهو العبد، لا إلى ما لم يذكر وهو الله ﷻ في قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾، وقال: "مفسر الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾، وفي قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾، وفي قوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾، وفي قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم: ٧] واحد، فلا يجوز أن يخالف بين المُفسِّر والمُفسَّر من غير دليل"(١).

٤ ـ أن ذلك هو الذي نص عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فقد روى الشيخان واللفظ للبخاري عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨ ـ ٩]؟ قَالَتْ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ المَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الأُفُقَ»(٢). وروى الشيخان عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قَالَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»(٣).

* **م السادسة:** قوله: "**وأن الله وضع يده بين كتفيه فوجد بردها بين ثدييه فعلم علم الأولين والآخرين**"، ذكر المصنف هنا من خصائص النبي ﷺ في قصة المعراج أن النبي ﷺ رأى ربه فوضع يديه بين كتفيه فعلم علم الأولين

(١) مدارج السالكين (٣/٣٠٢).

(٢) صحيح البخاري (٤/١١٥ ـ ٣٢٣٥)، [باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء: آمين]، كتاب بدء الخلق، ومسلم (١/١٥٩ ـ ١٧٧)، كتاب الإيمان. قالت: «أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ».

(٣) صحيح البخاري (٤/١١٥ ـ ٣٢٣٢)، [باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء: آمين]، كتاب بدء الخلق، ومسلم (١/١٥٧ ـ ١٧٤)، كتاب الإيمان.

والآخرين، والحديث رواه أحمد والترمذي وغيرهما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنه ﷺ قال: «أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: رَبِّ! لَا أَدْرِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»، وله شواهد عديدة من طريق اثني عشر صحابياً لا يسلم شيء منها من علة واختلاف[1]، ويعترض على المصنف فيه كذلك من أوجه:

(الاعتراض الأول): الحديث عند أهل الحديث مضطرب اضطراباً لا يعرف وجه الصواب فيه، قال الإمام أحمد بعد ذكر الاختلاف في طرقه: "أصل الحديث واحد، وقد اضطربوا فيه"[2]. وذكر البخاري حديث عبد الرحمن بن عائش مدار الحديث، فقال: "يضطربون فيه، وهو حديث الرؤية"[3]، وذكره الحافظ أبو نصر المروزي من طريق ابن عائش، ثم قال: "وفي الباب عن ثوبان، وابن عباس، ومعاذ بن جبل، وأبي أمامة رضي الله عنهم: هذا حديث قد اضطربت الرواة في إسناده على ما بينَّا، وليس يثبت إسناده عند أهل المعرفة بالحديث"[4]. وذكره العقيلي من حديث عمران رضي الله عنه ثم قال: "والرواية في هذا الباب فيها لين واضطراب"[5]. وقال ابن خزيمة: "لا تثبت

(١) انظر للتوسع في طرقها والكلام فيها كتاب: أنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري (١١/١٠٨٩ ـ ١١٩٩).

(٢) انظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى (١٤٠ ـ ١٣٦)، وتلبيس الجهمية لابن تيمية (٧/٢١٧).
قال أبو يعلى بعده: "وظاهر هذا الكلام من أحمد التوقف في طريقه لأجل الاختلاف فيه".

(٣) أسنده عنه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/٧٣ ـ ٦٤٥)، ونقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/٥٧١)، وابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٢٧٣).

(٤) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (ص: ٥٥).

(٥) الضعفاء الكبير (٣/١٢٦).

عند أحد له معرفة بصناعة الحديث"[١]. وقال الدارقطني: "ليس فيها صحيح، وكلها مضطربة"[٢]. وذكر البيهقي كلام البخاري الآنف ثم قال: "وقد روي من وجه آخر، وكلها ضعيف"[٣]، وذكره ابن الجوزي من طريق معاذ ﵁ ثم قال: "أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة، قال الدارقطني: كل أسانيده مضطربة، ليس فيها صحيح"[٤]. وقال الذهبي في ترجمة عبد الرحمن بن عائش عن هذا الحديث: "حديثه عجيب غريب"[٥]. ولما أسند البزار حديث ثوبان ﵁، من طريق معاوية بن صالح، عن أبي يحيى سليم بن عامر، عن أبي أسماء، عن ثوبان ﵁، قال: "وهذا الحديث قد روي عن النبي ﷺ بنحو كلامه من وجوه، فذكرنا حديث ثوبان دون غيره؛ لأن في الأحاديث الأُخَرَ اضطرابًا"[٦]. قلت: إسناد البزار فيه سقط وإبدال، فصار الإسناد مجوداً بذلك، فقد أسنده ابن أبي عاصم وابن خزيمة والطبراني والدارقطني والروياني والبغوي على الصواب من طرق عن معاوية بن صالح، عن أبي يحيى، عن أبي يزيد، عن أبي سلام الحبشي، عن ثوبان[٧]. فسقط من إسناد

(١) التوحيد (٢٠١/١).

(٢) كتاب العلل (٥٧/٦).

(٣) الأسماء والصفات (٧٣/٢ ـ ٦٤٥).

(٤) العلل المتناهية (٢٠/١ ـ ١٣).

(٥) ميزان الاعتدال (٥٧١/٢).

(٦) البحر الزخار (١١٠/١٠ ـ ٤١٧٢)، وهو كذلك في كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي (١٣/٣ ـ ٢١٢٨).

(٧) رواه هكذا ابن أبي عاصم في السنة (٢٠٤/١ ـ ٤٧٠)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٥٤٣/٢ ـ ٥٩)، والطبراني في الدعاء (٤١٩ ـ ١٤١٧)، والدارقطني في كتاب رؤية الله (٣٣٧ ـ ٢٥٣حتى ٢٥٦)، والروياني في مسنده (٤٢٩/١ ـ ٦٥٦)، والبغوي في شرح السنة (٣٨/٤ ـ ٩٢٥).

البزار (أبو يزيد)، وأُبدل (أبو سلام) (بأبي أسماء)، قال ابن خزيمة: "لست أعرف أبا يزيد هذا بعدالة ولا جرح". فطرق الحديث تدور على الضعفاء والمجاهيل ومخرجها واحد، فلا يعتضد بعضها ببعض، وهو ظاهر عند النظر فيها. وتفرد الترمذي بتصحيحه، ونقل تصحيحه عن البخاري، لكن نقل البيهقي والذهبي وابن حجر عن البخاري أنه قال: "يضطربون فيه"[(١)].

(الاعتراض الثاني): لو صح الحديث فلا علاقة لهذه الرؤية بحادثة المعراج، بل هي رؤيا منامية، كما جاء في حديث معاذ ﵁ عند الترمذي وغيره، قَالَ: «احْتُبِسَ عَنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى عَيْنَ الشَّمْسِ»، وفي آخره قال ﷺ: «مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الغَدَاةَ: أَنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَثْقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي ﵎ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»، فذكر نحوه. لذا قال ابن القيم وذكر الحديث: "لم يكن هذا في الإسراء، ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه ﵎ تلك الليلة في منامه"[(٢)].

ثم لو أننا قلنا بصحة هذا الحديث فهذه الرؤيا المنامية للرب ﷿ التي مدخلها باب الصفات لا تكون لغير رسول الله ﷺ؛ لأن رؤياه ﷺ حقٌّ، وليس ذلك لغيره يقظة أو مناماً، وقد اتفق سلف هذه الأمة على ذلك وإن

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٧٣ ـ ٦٤٥)، ميزان الاعتدال (٢/٥٧١) للذهبي، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/٢٧٣). وقد استغرب الذهبي بعض نقول الترمذي عن البخاري، فقال في سير أعلام النبلاء (٥/١٦٧) في ترجمة عمرو بن شعيب: "أستبعد صدور هذِه الألفاظ من البخاري، أخاف أن يكون أبو عيسى وهم".

(٢) زاد المعاد (٣/٣٣).

اختلفوا في رؤيته ﷺ لربه ﷻ، لما روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال ﷺ: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ»[(١)]. أما ما يذكره بعض المعبرين في تأويل رؤيا الرب ﷻ في المنام لعامة الناس، فهي مثل يضربه الملك الموكل بالرؤيا، فالرائي يرى أمثالاً تليق بإيمانه قوة وضعفاً؛ لأنها ليست رؤية حقيقية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به سبحانه وتعالى، وإنما ذلك بحسب حال الرائي، وصحة إيمانه وفساده، واستقامة حاله وانحرافه. وقول من يقول: ما خطر بالبال، أو دار في الخيال فالله بخلافه، ونحو ذلك إذا حمل على مثل هذا كان محملاً صحيحًا، فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور، أن الله في نفسه مثل ذلك، فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك، بل نفس الجن والملائكة، لا يتصورها الإنسان، ويتخيلها على حقيقتها، بل هي على خلاف ما يتخيله، ويتصوره في منامه ويقظته، وإن كان ما رآه مناسبًا مشابهًا لها؛ فالله تعالى أجل وأعظم"[(٢)].

(الاعتراض الثالث): في قوله "**فعلم علم الأولين والآخرين**"، هذه العبارة لم ترد في جميع طرق الحديث التي وردت عن الصحابة في هذا الباب، وإطلاق المصنف يوهم باطلاً، وهو أن النبي ﷺ صار بذلك يعلم الغيب، وهذا باطل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ويقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ويأمر النبي ﷺ أن يقول: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٣٢/٤/١٦٩)، كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) تلبيس الجهمية (٣٢٧/١).

ﵟٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُﵞ [الأعراف: ١٨٨]، لكن الحديث جاء بلفظ: «فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ»، وهذا اللفظ أيضاً يحتاج لتوجيه من وجهين:

الأول: أن لفظ: «فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ» هو لفظ حديث ابن عباس ﭭ، ولكون الأحاديث مخرجها واحد، فقد اضطرب رواة الحديث بألفاظه كما اضطربوا في إسناده أيضاً، ففي بعض طرق حديث ابن عباس ﭭ: «فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»، وفي حديث مُعَاذٍ ﭬ، قال: «فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ، وَعَرَفْتُ»، وفي حديث أَبِي أُمَامَةَ، وحديث ابن عمر، وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ، وحديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﭫ: «فَعَلِمْتُ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ»، وفي حديث أَبِي ثَعْلَبَةَ ﭬ لم يذكر ذلك كله. فمع هذا الاضطراب الكثير لا يجوز أن نثبت وصف علم الأولين والآخرين، أو علم السموات والأرض إلى بشرٍ، والله يقول: ﵟقُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚﵞ [النمل: ٦٥]، فالموافق لسياق أكثر الروايات للحديث أنه ﷺ علم ما سئل عنه من الكفارات ونحوها، ثم أجاب عنها؛ كما في ألفاظ الطرق الأخيرة.

الثاني: أنه جاء في بعض ألفاظ الحديث: «فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَتَلَا: ﵟوَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَﵞ [الأنعام: ٧٥]»، فيكون معنى الحديث كمعنى ما جاء عن إبراهيم ﵇ من أن الله أطلعه على أعيان الأشياء، فقد ذكر في بعض الآثار أنه فرجت له السموات فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى بصره إلى العرش، وفرجت له الأرضون السبع فنظر إلى ما فيهن، وهو ما جاء عن نبينا ﷺ كذلك أنه قال: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأَعْطَانِي الْكَنْزَيْنِ:

الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»[(١)]. وكذا ما جاء عن آدم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

* **م السابعة:** قوله: "**وقال ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾** [الإسراء: ٦٠]**. وهي رؤيا يقظة لا منام، ثم رجع في ليلته بجسده إلى مكة**"، أراد المصنف أن يرد على من قال أن الإسراء والمعراج كان مناماً؛ لأن الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، ظاهرها أن ذلك وقع مناماً، وكذلك رد ما نقله ابن إسحاق عن عائشة[(٢)] ومعاوية[(٣)] رضي الله عنهما أن الإسراء كان بروحه ﷺ ولم يفقد جسده. ورد ما نقل عن آخرين من أنه كان له

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢١٥ ـ ٢٨٨٩)، كتاب الفتن وأشراط الساعة

(٢) رواه ابن اسحاق في السيرة (ص: ٢٩٥)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٧/٣٥٠)، قال: حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة إنها كانت تقول: "ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله ﷻ أسرى بروحه". وفيه جهالة وإعضال، قال الصالحي في سبل الهدى والرشاد (٣/٧٠): "وأما ما يعزى لعائشة رضي الله عنها، فلم يرد بسند يصلح للحجة، بل في سنده انقطاع وراوٍ مجهول كما تقدم. وقال أبو الخطاب بن دحية في التنوير: إنه حديث موضوع عليها. وقال في معراجه الصغير: قال إمام الشافعية القاضي أبو العباس بن سريج: هذا حديث لا يصح، وإنما وُضِعَ ردًا للحديث الصحيح". وقال ابن عبد البر (الأجوبة المستوعبة: ص١٣٤): " وهذا من الكذب الواضح؛ لأن عائشة لم تكن وقت الإسراء معه، وإنما ضمها بعد ذلك بسنين كثيرة بالمدينة".

(٣) رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية (كما في سيرة ابن هشام: ١/٤٠٠)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٧/٣٤٩)، قال: "حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن معاوية ابن أبي سفيان، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ، قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة". قال الصالحي (سبل الهدى والرشاد: ٣/٦٩): "ويعقوب وإن كان ثقة، إلا أنه لم يدرك معاوية فالحجة منقطعة". قلت: ليس في ذكره رضي الله عنه للرؤيا نفي الإسراء بالجسد كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.

معراجان: معراج رؤية، ومعراج رؤيا. والصحيح ما قرره المصنف من: أن الإسراء والمعراج كان مرة واحدة بجسده ﷺ وروحه، وأن المراد بالرؤيا في هذه الآية رؤية العين يقظة، وهي ما رآه ﷺ ليلة أسري به وعرج من العجائب والآيات الكبرى، ودليل ذلك من أوجه:

١ ـ أن القرآن الكريم استعمل الرؤيا بمعنى الرؤية على ما جاء في لغة العرب، فالعرب تقول: رأيته بعيني رؤية ورؤيا، يجوز كل واحد منهما في هذا السياق، إلا أن الرؤيا يكثر استعمالها في المنام. ومن ذلك قول أبي الفوارس بن صيفي:

لو نِيلَ بالقولِ مطلوبٌ لَما حُرِمَ
الرُّؤْيَا الكَلِيمُ مُوسى وكان الحَظُّ للجبلِ[١]

٢ ـ أن الثابت عن الصحابة رضي الله عنهم أن الرؤيا في هذه الآية رؤية العين، فقد روى البخاري في (بَابُ المِعْرَاجِ)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، قَالَ: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ»[٢]، وأخرج سعيد بن منصور عَن أبي مَالك رضي الله عنه فِي قَوْله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ قَالَ: "مَا أرِي فِي طَرِيقه إِلَى بَيت الْمُقَدّس"[٣]. واختاره الطبري، فقال في تفسير الآية: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى

(١) انظر: زاد المسير (٣/٣٤).
(٢) صحيح البخاري (٥/٥٤ ـ ٣٨٨٨)، كتاب مناقب الأنصار.
(٣) انظر: الدر المنثور (٥/٣٠٩).

من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس، وبيت المقدس ليلة أسري به، وقد ذكرنا بعض ذلك في أول هذه السورة[(١)].

أما ما نقل عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما، فكما قال ابن أبي العز: بأنه ليس مرادهما أنهما من رؤيا المنام التي يرى فيها أن روحه فعلت شيئاً لم يفعل حقيقة لكونه ضرب أمثال، بل أرادا أنه أسري وعرج بروحه ذاتها وفارقت الجسد، فلاقت أرواح الأنبياء، وبينهما فرق عظيم. فروح غيره ﷺ لا تنال الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الموت[(٢)].

ومع ذلك فما نقل عنهما لا يثبت، ولو ثبت فهو مخالف لظاهر الكتاب والسنة، وما عليه أكثر السلف والخلف؛ لذا لمّا رجح الطبري بأن الرؤيا في هذه الآية رؤية عين لا رؤية منام أو عروج روح فقط، قال: "وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عنى الله عز وجل بها"[(٣)].

٣ ـ مما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، ويؤيده قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]؛ لأن البصر من آلات الذات لا الروح، وكذا الفؤاد في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١].
ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] فجعل رؤية النَّبيّ ﷺ لجبريل عند سدرة المنتهى مقابلاً لرؤيته إياه في الأبطح، وهي رؤية عين

(١) تفسير الطبري جامع البيان (٤٨٣/١٧).
(٢) شرح الطحاوية (ص: ١٩٦).
(٣) تفسيره جامع البيان (٤٨٣/١٧).

حقيقة لا مناماً. ومن ذلك أيضاً: ركوبه ﷺ على البراق مما يدل على أن الإسراء بجسمه؛ لأن الروح ليس من شأنه الركوب على الدواب كما هو معروف.

٤ ـ أنها لو كان الإسراء والمعراج رؤيا منام كما زعموا لما كانت فتنة ولا سبباً لتكذيب قريش من أوجه:

أحدها: أن رؤيا المنام ليست محل إنكار عند العقلاء.

الثاني: أن الإسراء والمعراج بالروح ليسا بمعجزة.

الثالث: أنها لو كانت مناماً لم تستبعده قريش، فتقول: كنا نضرب أكبادَ الإبل إلى بيت المقدس شهراً ذهاباً وشهراً إياباً، ومحمدٌ يزعم أنه أُسري به إليه وأصبح فينا، ولهذا لما أخبروا الصديق الخبر قال: إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء.

❁ قال المصنف:

"وأخبر في كتابه أنه يعطيه في الآخرة من الفضل والشرف أكثر مما أعطاه في الدنيا بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]".

أورد هذه الآية كتوطئة لبيان تفسير المقام المحمود بإقعاد النبي ﷺ على العرش كما يأتي بعده، ولكن هذه الآية مع دلالتها على ما أعده الله لنبيه ﷺ يوم القيامة من الثواب والنعيم والمنزلة حتى يرضيه ـ كما جاء في مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه ﷺ ذكر منزلة الوسيلة التي لا تنبغي إلا لعبد واحد[(١)]، يرجو أن يكون هو ﷺ ـ إلا أن العلماء ذكروا في هذه الآية ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] تفسيرين غير مطلق الثواب والكرامة ليس منهما ما أشار إليه المصنف بعدها من الإقعاد على العرش:

الأول: ألف قصر في الجنة، للحديث الذي صححه الحاكم والضياء في "المختارة"، واختلف في رفعه ووقفه، ووصله وإرساله، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ قَالَ: «أَعْطَاهُ اللهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ قَصْرٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ، تُرَابُهَا الْمِسْكُ، فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ»[(٢)].

(١) صحيح مسلم (١/٢٨٨ ـ ٣٨٤)، كتاب الصلاة، بلفظ: "ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ".

(٢) رواه الطبري في تفسيره جامع البيان (٢٤/٤٨٧)، والطبراني في الكبير (١٠/٢٧٧ ـ ١٠٦٥٠)، والأوسط (١/١٧٩ ـ ٥٧٢)، والحاكم في المستدرك (٢/٥٧٣ ـ ٣٩٤٣)، [تفسير سورة ﴿والضحى﴾]، كتاب التفسير، وتمام في فوائده (١/١٩٢ ـ ٤٤٨)، وأبو نُعيم في الحلية (٣/٢١٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/٦١)، [باب فتور الوحي]، كلهم من طريق الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله المخزومي، عن علي بن عبد الله بن عباس،=

....

= عن أبيه رضي الله عنه. إلا الطبراني في الأوسط، والضياء في المختارة، فمن طريق معاوية ابن أبي العباس عن إسماعيل بن عبيد الله به. صححه الحاكم، وابن كثير في تفسيره (٤٢٦/٨)، والسيوطي في مناهل الصفا (١١٠ ـ ٤٩٠)، والألباني في السلسة الصحيحة (٦٨٧/٦ ـ ٢٧٩٠)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩/٧ ـ ١١٤٩٩)، قال أبو نعيم: "هذا حديث غريب من حديث علي بن عبد الله بن العباس". قلت: وهو معلول، فقد رواه عن الأوزاعي ثلاثة: (١) عمرو بن هاشم البيروتي، وقد قال الحافظ ابن واره عنه (تهذيب الكمال: ٢٧٦/٢٢): "ليس بذاك: كان صغيرًا حين كتب عن الأوزاعي"، وذكره العقيلي في الضعفاء (٢٩٤/٣)، وقال: "مجهول النقل ولا يتابع على حديثه". ولذا ذكر ابن أبي حاتم في العلل (١٨/٥ ـ ١٧٧٥) ترجيح أبيه أبي حاتم وأبي زرعة لإرساله بلا ذكر (أبيه) ابن عباس، وأن أبا زرعة سمعه منه من هذا الوجه المرسل، وقال أبو حاتم: "ذكره غلط من عمرو بن هشام، وهو مما أنكر عليه، ثم قال ابن أبي حاتم: "فأحسب أنه سمع أبو زرعة من عمرو بن هاشم بمكة على الصحة، ثم لعله لقن بعد ذلك: (عن أبيه)، فتلقن". (٢) رواد بن الجراح، وهو الذي صحح الحاكم الحديث من طريقه، قال عنه ابن حجر (التقريب: ٢١١): "صدوق اختلط بأخرة فترك، وفى حديثه عن الثوري ضعف شديد". قلت: لذا رواه الطبري من طريقه فجعله من قول علي بن عبد الله بن عباس مقطوعاً. (٣) سفيان الثوري، وتفرد به عنه قبيصة ابن عقبة، وقد تكلم أحمد وابن معين وصالح بن محمد الحافظ في حديثه عن سفيان، فقال أحمد (تهذيب الكمال: ٤٨٤/٢٣): "كان كثير الغلط... كان صغيرًا لا يضبط". ورواه البيهقي عنه في دلائل النبوة من طريق آخر عن علي بن عبيد الله بن عباس، عن النبي ﷺ فذكره مرسلاً. قال ابن أبي حاتم (العلل: ١٨/٥ ـ ١٧٧٥): "والصحيح عند أبي زرعة: ما حدثنا به عن قبيصة بن عقبة، عن سفيان، عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن علي بن عبد الله بن عباس، مرسل". ثم إنه قد خولف قبيصة في رفعه، قال البيهقي في الدلائل: "قال أبو عبد الله: سمعت أبا علي الحافظ يقول: لم يحدث به عن الثوري غير قبيصة. ورواه يحيى بن اليمان: عن الثوري، فوقفه". قلت: أما متابعة معاوية ابن أبي العباس للأوزاعي آنفاً والتي صححها الضياء فلا يفرح بها؛ لأنه رواها معاوية بن مروان الفزاري عنه، وهي رواية الثوري بعينها سرقت أو دلست، قال البرذعي (سؤالات البرذعي: ٣٦٥/٢):=

الثاني: أنه الشفاعة في أمته ليرضى، وقد ذكر المصنفون هذه الآية في أبواب الشفاعة كالتفسير لقوله ﷺ حينما رَفَعَ يَدَيْه، وَقَالَ: «اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ». رواه مسلم عَنِ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما[(١)]. وقد روى البيهقي بإسناد ضعيف عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَقَالَ فِي الآية: "رِضَاهُ أَنْ تَدْخلَ أُمَّتُهُ كُلُّهُمُ الْجَنَّةَ"[(٢)]، ورواه الطبري بلفظ "مِنْ رِضَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَلَّا يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ النَّارَ"[(٣)].

= "سألت أبا زرعة، عن معاوية بن أبي العباس؟ فقال: نظرت بدمشق في كتاب لمروان بن معاوية، عن معاوية هذا، فرأيت أحاديث، عن شيوخ الثوري، وأحاديث يعرف بها الثوري، وأبوابًا للثوري، فاستربته وتركته. قال أبو زرعة: فذكرت ذلك لابن نمير، فقال: كان هذا جار الثوري أخذ كتب الثوري فرواها عن شيوخه". وقال ابن حجر (لسان الميزان ٨/١٠٠): "وذكر عبد الغني بن سعيد في (إيضاح الإشكال) عن الدارقطني عن ابن عقدة قال: كان معاوية هذا يسرق أحاديث الثوري فيحدث بها عن شيوخه". وأما الدارقطني، فقال (كما في لسان الميزان: ٨/١٠٠): "قال لي أبو طالب أحمد بن نصر الحافظ: معاوية بن أبي العباس هو عندي: معاوية بن هشام القصار صاحب الثوري دلس اسمه مروان بن معاوية، وروى عنه عن شيوخ الثوري، وأسقط الثوري... وقول أبي طالب عندي أولى وأليق بمروان؛ لأنه يروي عن شيوخ فيدلس أسماء آبائهم ويكثر من ذلك". وبهذا يتبين عدم ثبوته عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) صحيح مسلم (١/١٩١ ـ ٢٠٢)، كتاب الإيمان.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٤٤ ـ ١٣٧٤) [فصل في حدب النبي ﷺ على أمته]، من طريق سلام بن سليمان أبو العباس الدمشقي، حدثنا شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وفيه سلام الدمشقي منكر الحديث، بل رمي برواية الموضوعات (انظر: ميزان الاعتدال: ٢/١٧٨، إكمال تهذيب الكمال: ٦/١٧٨)، وله طريق آخر عند الخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (١/١٧٣)، ولا يصح أيضاً؛ لأن فيه من لا يعرف بالرواية.

(٣) رواه الطبري في تفسيره جامع البيان (٢٤/٤٨٧)، من طريق الحكم بن ظهير، عن السدي، عن ابن عباس به. والحكم بن ظهير متروك الحديث (انظر: ميزان الاعتدال: ١/٥٧١).

قال المصنف:

"وبما له في الآخرة المقام المحمود الذي لا يدانيه فيه أحد من الأولين والآخرين، فنقلت من تاريخ ابن أبي خيثمة أبي بكر أحمد في أخبار المكيين بإسناده عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال: "يجلسه على العرش". وروى أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة بإسنادهما عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾. قال "يقعده على العرش" وكذلك روى عبد الله بن أحمد بإسناده عن مجاهد. وقد روى إسحاق بن راهويه عن ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، قال: "يجلسه معه على العرش". وقال ابن عمير: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل: وسئل عن حديث مجاهد: "يُقعد محمداً على العرش". فقال: "قد تلقته العلماء بالقبول، نسلم هذا الخبر كما جاء". وقال ابن الحارث: "نعم يقعد محمداً على العرش". وقال عبد الله بن أحمد: "وأنا منكر على كل من رد هذا الحديث". وعن ابن عباس في قوله: ﴿مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال: "يقعده على العرش". روى هذه الأخبار شيخنا أبو بكر المروزي، وصنف في ذلك كتاباً كبيراً. ورواه والدي - رحمه الله - عنه فيما أجازه لنا بإسناده عن ابن عمر عن النبي ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، قال: (يجلسه معه على السرير). وبإسناده عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال: (وعدني ربي القعود على العرش). وبإسناده عن ابن عمر، قال لي عمر بن الخطاب رحمة الله عليه: سألت النبي ﷺ عما يوعده ربه جل اسمه، فقال: (وعدني المقام المحمود، وهو: القعود على العرش). وله الحوض الموعود في اليوم الموعود".

انتقل المصنف هنا إلى بيان تفسير آخر للمقام المحمود للنبي ﷺ، وفيه مسائل:

* **م الأولى:** قوله "**وبما له في الآخرة المقام المحمود الذي لا يدانيه فيه أحد من الأولين والآخرين**"، ذكر المصنف المقام المحمود وهو أن الله ﷻ يجلس نبيه ﷺ على العرش يوم القيامة، والصحيح ـ كما تقدم ـ أن المقام المحمود هو الشفاعة الذي يحمده عليه الخلق ﷺ حتى إبراهيم عليه السلام، وقد جاء إثبات ذلك مرفوعاً وموقوفاً:

١ ـ أما المرفوع عن النبي ﷺ: فقد جاء عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، من ذلك:

ـ ما رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ جَدِّه رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ». وقد صححه ابن حبان والحاكم، وهو كذلك؛ لأن الراجح عند البخاري ثبوت سماع عبد الرحمن من جده رضي الله عنه(١).

(١) رواه أحمد (٢٥/٦٠ ـ ١٥٧٨٣)، والطبري في تفسيره جامع البيان (١٧/٥٢٩)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/٥٠ ـ ١٠١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/٧٢ ـ ١٤٢)، وابن حبان (١٤/٣٩٩ ـ ٦٤٧٩)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٩٥ ـ ٣٣٨٣)، [ومن تفسير سورة بني إسرائيل]، كتاب التفسير، من طريق محمد بن الوليد الزبيدي، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن جده كعب بن مالك رضي الله عنه رفعه. صححه ابن حبان، وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين". وقال الذهبي (تذكرة الحفاظ: ٢/٧١): "إسناده صالح، والمتن غريب". وقال الهيثمي (مجمع الزوائد: ٧/٥١): "رواه أحمد،=

ـ وروى الحاكم وغيره وصححه عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أو رجلٍ مِنْ أَصَحابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّه ﷺ، قَالَ: «ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فِي الشَّفَاعَةِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! عِبَادُكَ عَبَدُوكَ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ»، وروي من حديث علي بن الحسين عن رجل[(١)].

= ورجاله رجال الصحيح". قلت: رجاله رجال الشيخين، إلا أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، اختلف في سماعه من جده، فقد وقع تصريحه بسماعه منه في صحيح البخاري (٤/٤٨ ـ ٢٩٤٨)، قال: "سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه، يقول: كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها، إلا ورى بغيرها" إلا أنه في باقيها في الصحيحين يقع بينهما أبوه عبد الله بن كعب، لذا قال الذهلي (كما في تهذيب التهذيب: ٢١٥/٦): "ما أظنه سمع من جده شيئاً، وقال الدارقطني: "روايته عن جده مرسل".

(١) هذا الحديث اختلف فيه على الزهري: **(الأول)** عنه عن علي بن الحسين عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: رواه الحاكم في المستدرك (٤/٦١٤ ـ ٨٧٠١)، [كتاب العلم]، من طريق إبراهيم ابن حمزة الزبيري، ثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن علي بن حسين، عن جابر رضي الله عنه به، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه". قلت: خالف إبراهيم بن حمزة ثلاثة من الثقات فلم يذكروا جابراً كما في الوجه الثاني. **(الثاني)** عن الزهري عن علي بن الحسين عن رجل من أهل العلم مرفوعاً: رواه محمد بن جعفر الوركاني عند الحارث (بغية الباحث: ٢/١٠٠٨ ـ ١١٣١)، وأبي نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (١٤٥/٣). ورواه عاصم بن علي، ومحمد بن عثمان العثماني عند أبي بكر الشافعي في فوائده الغيلانيات (١/٩٨ ـ ٥٢، ٥٣)، ثلاثتهم (الوركاني، وعاصم، والعثماني)، عن إبراهيم بن سعد. ورواه كذلك ابن المبارك الزهد والرقائق (١١١/٢) عن معمر. والحاكم (٤/٦١٤ ـ ٨٧٠٢)، من طريق يونس بن يزيد. ثلاثتهم (ابن سعد، ومعمر، ويونس)، عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن رجل من أهل العلم أن النبي ﷺ، فذكره. **(الثالث)**: رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣١٣ ـ ١٦١٢). ومن طريقه الحاكم (٤/٦١٤ ـ ٨٧٠٣)، والطبري في تفسيره (٥٣٠/١٧). ورواه محمد بن ثور عند الطبري. كلاهما (عبد الرزاق، وابن ثور)، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين عن النبي ﷺ، مرسلاً. قلت: الوجه الثاني بذكر علي بن الحسين عن رجل لم يسم، هو الأقوى لرواية ثلاثة من الثقات له عن الزهري، إلا أنه تبقى فيه علة جهالة شيخ علي بن الحسين إلا إن كان=

ـ وفي الباب مرفوعاً كذلك من حديث ابن مسعود، وحديث أبي سعيد، وحديث أبي هريرة، وحديث سعد، وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم[(١)].

٢ ـ وأما عن الصحابة رضي الله عنهم موقوفاً فمن ذلك:

ـ ما روى البخاري في: (باب قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾)، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ! اشْفَعْ، يَا فُلَانُ! اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقَامَ المَحْمُودَ"[(٢)].

ـ وروى البخاري أيضاً بصورة التعليق عن شيخه أن أَنَساً رضي الله عنه ذكر الشفاعة وامتناع أولي العزم عليهم الصلاة والسلام عنها حتى تنتهي إلى محمد ﷺ فيشفع، وفي آخره: "ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾". قَالَ: "وَهَذَا المَقَامُ المَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُم ﷺ"[(٣)].

= صحابياً وهو احتمال، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٥٢/٨): "رجاله ثقات، وهو صحيح إن كان الرجل صحابيًا". لكن قال أبو نعيم بعد تخريجه من هذا الوجه: "صحيح تفرد بهذه الألفاظ علي بن الحسين لم يروه عنه إلا الزهري، ولا عنه إلا إبراهيم بن سعد، وعلي بن الحسين هو أفضل وأتقى من أن يرويه عن رجل لا يعتمده فينسبه إلى العلم، ويطلق القول به".

(١) انظر: جامع الأصول (٢١٥/٢)، مجمع الزوائد (٣٦٧/١٠)، المطالب العالية (٥٥٥/١٨).

(٢) صحيح البخاري (٨٦/٦ ـ ٤٧١٨) [باب قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾]، كتاب تفسير القرآن.

(٣) صحيح البخاري (١٣١/٩ ـ ٧٤٤٠)، [باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾]، كتاب التوحيد. قال البخاري معلقًا: "وقال حجاج بن منهال"، قال ابن حجر في فتح الباري (٤٢٩/١٣): "كذا عند الجميع إلا في رواية أبي زيد المروزي عن الفربري=

ـ وروى مسلم عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵄ أنه قال لرجل ينكر الشفاعة: "فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ ﵇ ـ يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ ـ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ"(١).

لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن تفسير المقام المحمود بالشفاعة العظمى هو التفسير القاطع الذي لا شك فيه"(٢).

* م الثانية: قوله "وقال ابن عمير: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل: وسئل عن حديث مجاهد: "يُقعد محمداً على العرش"". استدل المصنف على ما ذكره من تفسير المقام المحمود بأنه إقعاده ﷺ على العرش بأدلة لا يثبت منها شيء عن رسول الله ﷺ، ولا عن الصحابة من أوجه:

الأول: الأدلة المرفوعة: حيث استدل المصنف بأحاديث عن ابن عمر وعائشة وعمر ﵃ بأن المقام المحمود أنه ﷿ يجلس نبيه ﷺ على العرش، وكلها وغيرها رواها والد المصنف أبو يعلى الفراء في كتابه بأسانيد مسلسلة بمن لا يعرف من المجاهيل، والغالب أن مثل هؤلاء يسرقون الأحاديث من بعضهم(٣)؛ لذا قال الحافظ الذهبي: "ويروى مرفوعاً، وهو باطل"(٤). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قد صنف القاضي أبو يعلى كتابه في إبطال التأويل

= فقال فيها (حدثنا حجاج)، وقد وصله الإسماعيلي من طريق إسحاق بن إبراهيم، وأبو نعيم من طريق محمد بن أسلم الطوسي قالا (حدثنا حجاج بن منهال)، فذكره".

(١) صحيح مسلم (١/١٧٩ ـ ١٩١)، كتاب الإيمان.

(٢) شرح قاعدة جليلة (١١/٥).

(٣) إبطال التأويلات (٢/٤٧٦).

(٤) كتاب العرش للذهبي (٢/٢٨٠).

رداً لكتاب ابن فورك، وهو ـ وإن كان أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر من رواها ـ ففيها عدة أحاديث موضوعة؛ كحديث الرؤية عيانًا ليلة المعراج ونحوه، وفيها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة؛ كحديث قعود الرسول ﷺعلى العرش، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة"[(١)].

الثاني: الأدلة عن الصحابة رضي الله عنهم: حيث استدل بأثر ابن عباس رضي الله عنهما هذا بأن المقام المحمود "أن الله عز وجل يقعد نبيه ﷺ على العرش"، وهذا الأثر رواه الخلال في السنة، وأبو يعلى وجادة في إبطال التأويلات[(٢)]، وهو ضعيف جداً؛ فيه متروكان: عمر بن مدرك وجويبر بن سعيد[(٣)]، وانقطاع بين ابن عباس والراوي عنه؛ لذا قال الذهبي: "إسناده ساقط... اللام في العرش ليست للمعهود بل للجنس"[(٤)].

الثالث: الآثار عن التابعين: حيث ذكر عن مجاهد، أنه قال: "يجلسه على العرش". والمصنف ابتدأ بالأثر عن التابعي مجاهد قبل الأحاديث المرفوعة والموقوفة؛ لأنه العمدة للقائلين بهذا القول في تفسير المقام المحمود، وقد نص كبار المحدثين على ثبوته عن مجاهد بن جبر، حيث قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: "وإنما الثابت أنه عن مجاهد"[(٥)]، وقال الذهبي: "وأما عن مجاهد

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/٢٣٧).
(٢) السنة (١/٢٥١ ـ ٢٩٥)، إبطال التأويلات (٢/٤٩٤ ـ ٤٦٩)
(٣) انظر ميزان الاعتدال (١/٤٢٧، ٣/٢٢٣).
(٤) العلو للعلي الغفار (١٣١).
(٥) درء تعارض العقل والنقل (٥/٢٣٧).

فلا شك في ثبوته"[١]. مع أنه قد رواه عن مجاهد جماعة من الضعفاء، فرواه عنه ليث بن أبي سليم، وعطاء بن السائب، وجابر بن يزيد، وأبو يحيى القتات، خرجها عنهم الخلال في "السنة"، والآجري في "الشريعة"[٢]. لذا قال العلامة الألباني بعد أن ذكر تفسير المقام المحمود بالشفاعة: "هو الثابت عند مجاهد نفسه من طريقين عنه عند ابن جرير، وذاك الأثر عنه ليس له طريق معتبر، فقد ذكر المؤلف أنه روي: عَنْ ليث بن أبي سليم، وعطاء بن السائب، وأبي يحيى القتات، وجابر بن يزيد. قلت: والأولان مختلطان والآخران ضعيفان، بل الأخير متروك متهم"[٣]. وقد ذكر ابن عبد البر تأويل مجاهد لقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، أي تنظر الثواب، فقال: "ومجاهد ـ وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن ـ فإن له قولين في تأويل اثنين، هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما، أحدهما هذا، والآخر قوله في قول الله ﷻ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾"[٤].

الرابع: ما ذكره عن الأئمة والعلماء: حيث أورد قول الإمام أحمد عن حديث مجاهد: "يُقعد محمداً على العرش". فقال: "قد تلقته العلماء بالقبول، نسلم هذا الخبر كما جاء"[٥]. وقال ابنه عبد الله: "وما رأيت أحداً من المحدثين

(١) كتاب العرش (٢/٢٧٨).
(٢) السنة (١/٢٥١)، والشريعة (٤/١٦١٣).
(٣) مقدمة مختصر العلو (١٦).
(٤) التمهيد (٧/١٥٧).
(٥) رواه أبو بكر الخلال في السنة (١/٢٤٧) عن أبي بكر المروذي، وأبو يعلى في إبطال التأويلات (٢/٤٧) عن ابن عمير، كلاهما عن الإمام.

ينكره، وكان عندنا في وقت ما سمعناه من المشايخ: أن هذا الحديث إنما تنكره الجهمية، وأنا منكر على كل من رد هذا الحديث، وهو متهم على رسول الله ﷺ"[(١)]. وقال أبو داود: "ما ظننت أن أحدًا يذكر بالسنة يتكلم في هذا الحديث، إلا إنا علمنا أن الجهمية تنكره من جهة إثبات العرش، فإنهم ينكرون أمر العرش"[(٢)]. وقال الطبري: "غير محال في قول أحد ممن ينتحل الإسلام.. من أن الله ﷻ يقعد محمدًا على عرشه"[(٣)]. وقد نقل أبو بكر الخلال في كتاب "السنة"، والآجري في "الشريعة"، والذهبي في "كتاب العرش"[(٤)]: كلام كثير من العلماء القدماء الذين أفتوا به وجعلوه متلقاً بالقبول، ولا شك أن هذا أقوى ما في الباب، ولولا ما نقل عن هؤلاء الأئمة العلماء في هذا الباب لعُدَّ هذا القول من الأقوال المهجورة، لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه"[(٥)]. بل قال ابن القيم:

"واذكر كلام مجاهد في قوله | أقم الصلاة وتلك في سبحان
في ذكر تفسير المقام لأحمد | ما قيل ذا بالرأي والحسبان
إن كان تجسيمًا فإن مجاهدًا | هو شيخهم بل شيخه الفوقاني"[(٦)]

(١) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (١/٢٤٤).
(٢) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (١/٢٣٣).
(٣) تفسيره جامع البيان (١٧/٥٣٢).
(٤) انظر: السنة لأبي بكر بن الخلال (١/٢٠٩ ـ ٢٦٤)، [باب ذكر المقام المحمود]. والشريعة للآجري (٤/١٦٠٤ ـ ١٦١٦)، [باب ذكر ما خص الله ﷻ به النبي ﷺ من المقام المحمود يوم القيامة]. وكتاب العرش للذهبي (٢/٢٧٢ ـ ٢٨٨).
(٥) درء تعارض العقل والنقل (٥/٢٣٧).
(٦) الكافية الشافية (١١٠).

❊ م الثالثة: تقدم أن الجمهور فسروا المقام المحمود بالشفاعة، وطائفة فسرته بالقعود على العرش، وهناك طائفة ثالثة ذهبت إلى أنه لا مانع من أن يكون للأمرين جميعاً، ولا مانع من قبول إقعاد النبي ﷺ على العرش، وليس ذلك بمستشنع من ثلاثة أوجه:

❊ **الأول**: أن قعود النبي ﷺ على العرش يوم القيامة، لا ينافي علو الله ولا استواءه على عرشه؛ فالمقطوع به أن الله ﷻ فوق عرشه بائن منه، وصفة العلو له سبحانه صفة ذات لا تنفك عنه تعالى، حتى مع نزوله للسماء الدنيا، أو نزوله للفصل بين العباد يوم القيامة، بل حتى حين خلق ﷻ آدم بيده، أو حين خلق جنة عدن وغرس كرامة أهلها بيده، أو حين كتب التوراة بها، فهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وتأمل قوله تعالى عن بعض فعله يوم القيامة: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذه المسألة لا يمنع منها العقل، بعض الناس يستهولها عقلاً ويقول: كيف يكون على العرش؟ فنقول: العرش مخلوق والرسول ﷺ مخلوق، والله ﷻ يقدر ما يشاء، ويفعل ما يشاء، لكن لا يلزم من هذا أن يقف الإنسان عند ما يتخيله خياله من لوازم تتعلق باستواء الله على عرشه، فالله ليس كمثله شيء، والله قادر على أن يفعل ذلك، وكما أن الله ﷻ رفع مقام النبي ﷺ في المعراج إلى أن وصل سدرة المنتهى، ووصل إلى مقام لم يصله أحد قبله من الخلق، ولن يصله أحد بعده، فهو قادر على أن يجلسه على العرش، كما يليق بفعل الله ﷻ، وليس ذلك بممتنع، لكن أقول: إن

هذه المسألة ليست متفقاً عليها عند السلف، بل بعضهم عدها من غرائب الأقوال"[١].

الثاني: أنه لو ثبت أن الله يجلس نبيه على عرشه فهو ليس بأمر مستشنع، فقد روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»[٢]، فالعرش مخلوق وتحته ملائكة تحمله، وفوقه موضوع الكتاب الذي خلقه الله وكتب فيه مقادير الخلق، فلو ثبت جلوس نبينا ﷺ على العرش يوم القيامة لكان من جنس وجود الكتاب فوق العرش المجيد عند الله، وكلاهما مخلوق فوق مخلوق، والله فوق الجميع بائن من خلقه، بل العرش وحملته تحته، وما وضع ويوضع فوقه محمولون بقدرته ﷻ.

الثالث: أن استشكال بعض العلماء لفظ (يقعده معه) التي جاءت في بعض الآثار وأقوال العلماء، كالعلامة محمد ناصر الدين الألباني حين يقول: "إذا كان حقا أن الله تعالى أعظم من العرش، ومن كل شيء ـ كما بينه شيخ الإسلام فيما تقدم ـ، فيكون اعتقاد أن الله يجلس محمداً معه على العرش باطلا بداهة، وأما إجلاسه على العرش دون المعية، فهو ممكن جائز؛ لأن العرش خلق من خلق الله، فسواء أجلسه عليه، أو على منبر من نور ـ كما جاء ذلك في المتحابين في الله، وفي المقسطين العادلين ـ لا فرق بين الأمرين، لكن لا نرى القول بالإجلاس على العرش؛ لعدم ثبوت الحديث

---

(١) شرح قاعدة جليلة (٥/١١).

(٢) رواه البخاري (٤/١٠٦ ـ ٣١٩٤) [باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾]، كتاب بدء الخلق، ومسلم (٤/٢١٠٧ ـ ٢٧٥١)، كتاب التوبة.

به"[١]. فالظاهر أنه لو صح ذلك فلا إشكال فيه أيضاً؛ لأن معية الله الخاصة والعامة لخلقه لا تقتضي حلولاً ولا اختلاطاً، فهو معنا الآن ونحن على الأرض وهو على عرشه بذاته كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]، فتكون معية الله ﷻ فوق عرشه لنبيه ﷺ ـ لو صح ذلك ـ معية خاصة تقتضي الاشتراك في العلو فوق العرش والقرب منه، مع القطع بأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، واتفاق اللفظين لا يوجب اتفاق الحقيقتين كما في سائر ألفاظ الصفات من النزول والمجيء والفرح والضحك وغير ذلك، فعلى هذا فقعوده ﷺ مع الله على العرش لا يعني التماثل في الصفة، ولا أنه محاذٍ للرب ﷻ في علوه المطلق الذي هو من صفاته الإلٰهية الذاتية.

* م الرابعة: ما ورد في بعض نصوص العلماء بأن من أنكر أثر مجاهد بقعود النبي ﷺ على العرش: جهمي متهم على رسول الله ﷺ، فهو محمول على حال من رده من جهة إنكاره علو الله على العرش؛ لذا قال أبو داود: "إلا إنّا علمنا أن الجهمية تنكره من جهة إثبات العرش، فإنهم ينكرون أمر العرش، ويقولون: العرش عظمة، مع أنهم لم ينكروا منه فضيلة النبي ﷺ". وقال أيضاً: "ما زال الناس يحدثون بهذا، يريدون مغايظة الجهمية، وذلك أن الجهمية ينكرون أن على العرش شيئاً"[٢]. أما من أثبت علو الله على عرشه، وأنكر هذا الأثر لعدم ثبوته عن الله ﷻ ولا عن رسوله ﷺ ولا عن الصحابة

(١) السلسلة الضعيفة (١٣/١٠٤٨).
(٢) انظر لقوليه: السنة للخلال (١/٢١٤، ٢٣٣).

رضي الله عنهم، فليس هو بجهمي ولا بمتهم؛ لأن هذا القول أنكره طوائف من أئمة السلف والخلف، وقد تقدم قول الحافظ ابن عبد البر عن هذا القول أنه مهجور عند أهل العلم مرغوب عنه[(١)]. وكذا وصفه الذهبي بالنكارة[(٢)]؛ لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذه مسألة قال بها بعض السلف وأنكرها آخرون، فبعضهم جعلها مسألة من مسائل العقيدة والأصول، وبعضهم جعلها من الأمور التي تحتاج إلى تحقيق ونظر، وبعضهم أنكرها، وعلى هذا فإن تفسير المقام المحمود بالشفاعة العظمى هو التفسير القاطع الذي لا شك فيه"[(٣)].

وهو كذلك كما قاله شيخ الإسلام بأن تفسير المقام المحمود بالشفاعة العظمى تفسير قاطع، فقد روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه في ذكر المقام المحمود بالشفاعة قوله ﷺ: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عز وجل، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ»[(٤)]، فذكر ﷺ في هذا المقام المحمود، وهو مقام الشفاعة العظمى سجوده لربه تعالى تحت العرش لا فوقه.

❊ وهنا مسألتان مهمتان ذكرهما شيخ الإسلام يحسن ذكرهما في مثل هذا الباب الذي لا يكون الأصل فيها دليل من كتاب أو سنة:

ـ (المسألة الأولى): التفريق بين ما ثبت عن الله ورسوله وبين غيره:

(١) التمهيد (٧/١٥٧).
(٢) العلو للعلي الغفار (١٧١).
(٣) شرح قاعدة جليلة (٥/١١).
(٤) رواه البخاري (٦/٨٤ ـ ٤٧١٢)، [باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١/١٨٤ ـ ١٩٤)، كتاب الإيمان.

فلقد ذكر شيخ الإسلام ثبوت هذا الأثر عن مجاهد وأن السلف يروونه ولا ينكرونه ويتلقونه بالقبول، ثم قال بعده: "لكن لا بد من الفرق بين ما ثبت من ألفاظ الرسول، وما ثبت من كلام غيره، سواء كان من المقبول أو المردود"[(١)].

ـ (المسألة الثانية): وجه استدلال أهل السنة بالآثار في أبواب المعتقد:
قال شيخ الإسلام: "وقد رأيت غير واحد من المصنفين في السنة على مذهب أهل الحديث من أصحاب: مالك، وأحمد، والشافعي، وغيرهم من الصوفية وأهل الحديث وأهل الكلام منهم يحتجون في أصول الدين بأحاديث لا يجوز أن يعتمد عليها في فضائل الأعمال، فضلاً عن مسألة فقه، فضلاً عن أصول الدين، والأئمة كانوا يروون ما في الباب من الأحاديث التي لم يعلم أنها كذب من: المرفوع والمسند والموقوف وآثار الصحابة والتابعين؛ لأن ذلك يقوي بعضه بعضًا، كما تذكر المسألة من أصول الدين، ويذكر فيها مذاهب الأئمة والسلف، فثم أمور تذكر للاعتماد، وأمور تذكر للاعتضاد، وأمور تذكر لأنها لم يعلم أنها من نوع الفساد"[(٢)].

۞ **قال المصنف: "وله الحوض الموعود في اليوم الموعود"**. ذكر المصنف الحوض الموعود للنبي ﷺ في اليوم الموعود الذي هو يوم القيامة، وقد تقدم الكلام على الحوض بمسائله عند قول المصنف: "**ثم الإيمان بالحوض والشفاعة**... ". وبذلك سرد المصنف من كرامات النبي ﷺ: الإسراء والمعراج، والمقام المحمود، وهو الشفاعة، والقعود على العرش، والحوض المورود، ورؤية الآيات، ورؤية الجنة والنار. ثم سيسوق المصنف فضائل للنبي ﷺ فُضِّل بها على غيره من الأنبياء، وحقوق على أمته.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/٢٣٧).
(٢) الصفدية (١/٢٨٧).

۞ قال المصنف:

"وتوعد من رفع صوته على نبيه بذهاب عمله وبطلانه، فقال ﷻ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]".

ذكر المصنف أدباً عظيماً يعتبر من حقوق النبي ﷺ على أمته، حيث نهاهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وهو توطئة لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] فتضمنت الآية ثلاثة أمور:

الأول: في قوله تعالى ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾؛ أي لا ترفعوا أصواتكم في مجلس النبي ﷺ وبحضرته إذا كلم بعضكم بعضًا، كما جاء في سبب نزول الآية فيما روى البخاري في (بَابُ ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾)، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: «كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾. قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ»(١).

(١) صحيح البخاري (٦/١٣٧ ـ ٤٨٤٥)، [باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾]، كتاب تفسير القرآن.

الثاني: في قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، هذا نهي عن جهر آخر، فالأول نهي عن مطلق رفع الصوت بحضرته، وهنا نهي عن الجهر بالصوت عند خطابهم للرسول ﷺ؛ لقوله تعالى ﴿لَهُۥ﴾، واللام للتعدية، أي لا تجهروا له حال مخاطبته، وزاده وضوحًا الكاف في قوله: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، ثم عقب الآية بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. وهم قوم قدموا على النبي ﷺ، وجعلوا ينادونه من وراء الحجرات يا محمد! يا محمد! اخرج إلينا، وهو صحيح بمجموع طرقه(١).

(١) روى الحديث من طرق: (١) زيد بن أرقم رضي الله عنه: روى حديثه مسدد وإسحاق وأبو يعلى في مسانيدهم (كما في جامع المسانيد: ٣/١٠١ ـ ٣٣٠٦، والمطالب العالية: ١٥/٢٥١ ـ ٣٧٢٢، وإتحاف الخيرة: ٦/٢٧٢ ـ ٥٨٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢١٠ ـ ٥١٢٣)، وأبو طاهر المخلص في المخلصيات (١/١٢٢ ـ ٣٥)، طريق داود الطفاوى، عن أبي مسلم البجلي، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه. قال الهيثمى (مجمع الزوائد: ٧/١٠٨): "فيه داود بن راشد الطفاوى وثقه ابن حبان، وضعفه ابن معين، وبقية رجاله ثقات". قلت: أبو مسلم البجلي لم يوثقه غير ابن حبان (تهذيب الكمال: ٣٤/٢٨٩). (٢) من حديث البراء رضي الله عنه: ولفظه: "فِي قَوْلِهِ عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ"، فذكر نحوه: رواه الترمذي (٥/٣٨٧ ـ ٣٢٦٧)، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، [بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الحُجُرَاتِ]، والنسائي في الكبرى (١٠/٢٦٧ ـ ١١٤٥١)، كِتَابُ التَّفْسِيرِ، [قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾]، والطبري في تفسيره (٢٢/٢٨٣)، والروياني (٢٢٣ ـ ٣٠٧)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٢٦٦)، من طرق عن الحسين بن واقد، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه. قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، وقال ابن كثير (البداية والنهاية: ٧/٢٤٤): "وهذا إسناد جيد متصل". قلت: الحسين بن واقد مدلس ولم يصرح فيه بالسماع (تعريف أهل التقديس: ص: ٢٠). وأبو إسحاق السبيعي كان قد اختلط (تقريب التهذيب: ص٤٢٣)، ولم يتميز حديث الحسين بن واقد عنه. (٣) حديث الأقرع بن حابس رضي الله عنه: ولفظه: "عَنِ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ: أَنَّهُ نَادَى رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ"،=

الثالث: في قوله ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾، أي لئلا تحبط، أو مخافة أن تحبط، وهو المقصود الذي يتبين فيه حرمة النبي ﷺ حين جعل الله مجرد رفع الصوت عليه سبباً لحبوط العمل، أي فكلموه كلام المبجل المعظم له الدال على توفية حقه من التقدير والتعظيم. وهذا النهي مخصوص بغير المواضع التي يؤمر بالجهر فيها كالأذان والخطب بحضرته، ولذا روى الشيخان: أن ثابت بن قيس رضي الله عنه ـ وكان يخطب بين يدي النبي ﷺ إذا جاء الوفود بأمره ـ لما نزلت هذه الآية ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾، جلس في بيته يبكي، وقال إنه حبط عمله، قال أَنسٌ رضي الله عنه: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: "اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ"[(١)]؛ ولذا لما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الجهر

= رواه أحمد (٢٥/٣٦٩ ـ ١٥٩٩١) (٤٥/١٨٢ ـ ٢٧٢٠٤)، وابنُ أبي عاصم في الآحاد والمثاني الآحاد (٢/٣٨٨ ـ ١١٧٨)، والطبري في تفسيره جامع البيان (٢٢/٢٨٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١/٣٠٠ ـ ٨٧٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/٣٣٦ ـ ١٠٥٤)، من طريق وهيب بن خالد، عن موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن الأقرع بن حابس. قال البوصيري (إتحاف الخيرة: ٦/٢٧٣): "هذا إسناد صحيح". قلت: رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين إلا أن إسناده منقطع، فأبو سلمة بن عبد الرحمن لم يثبت سماعه من الأقرع بن حابس، قال الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة (١/٣١٨): "ورواية أبي سلمة عن الأقرع منقطعة"، ووقع في رواية جرير التصريح بسماع أبي سلمة من الأقرع، ولكن نقل الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة (١/٢٥٣) في ترجمة الأقرع عن ابن منده قوله: "رُوي عن أبي سلمة أن الأقرع بن حابس نادى، فذكره مرسلاً، وهو الأصح".

(١) البخاري (٦/١٣٧ ـ ٤٨٤٦)، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، [بَابُ ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾]،=

له ﷺ قد يحبط العمل، قال: "فمن المعلوم أن ذلك لما ينبغي له من التعزير والتوقير والتشريف والتعظيم والإكرام والإجلال، ولما أن رفع الصوت يشتمل على أذى له أو استخفاف به، وإن لم يقصد الرافع ذلك"(١).

= ومسلم (١/١١٠ ـ ١١٩)، كِتَابُ الإِيْمَانِ.

(١) الصارم المسلول (٥٥).

قال المصنف:

"وأدبهم في محاورة نبيه ﷺ وخطابه فقال: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾ [النور: ٦٣]، لا تقولوا: يا أحمد، يا محمد، يا أبا القاسم، أي قولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله".

ذكر المصنف أدباً آخر من حقوق النبي ﷺ على أمته، وهو النهي عن جعل دعائه كدعاء غيره، وفي تفسير الآية قولان:

الأول: ما ذكره المصنف في قوله "**لا تقولوا: يا أحمد، يا محمد، يا أبا القاسم، أي قولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله**"، فعلى هذا التفسير: يكون المصدر مضافاً إلى المفعول في قوله تعالى ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾، أي دعاءكم الرسول. فيكون المعنى لا تدعوه باسمه، كما يدعو بعضكم بعضًا، بل قولوا: يا رسول الله! يا نبي الله! أو بكنيته يا أبا القاسم! وكذا لا تدعوه من وراء الحجرات كما يفعل المنافقون والجفاة من الأعراب، ولا تلحوا في دعائه إذا لم يخرج إليكم؛ لأن ذلك كله من الجفاء والجلافة التي لا تليق بعظمة قدر الرسول ﷺ.

الثاني: لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضًا، فمن شاء أجاب، ومن شاء ترك، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بدٌّ من إجابته، ولم يسعكم التخلف عنه ألبتة، فنهاهم عن الإبطاء إذا أمرهم وعن التأخر إذا دعاهم، فعلى هذا فالمصدر مضاف إلى الفاعل، أي دعاؤه إياكم. وهو الأقرب لسياق الآية حينما ذكر الله أن المؤمن لا يذهب في الأمور الجامعة حتى يستأذن

النبي ﷺ، ثم قال تعالى ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾، وإذا كان هذا في حياته ﷺ فلا يعني أن ينقطع بعد موته، بل هذا الحكم باق، فلا يجوز أن نجعل دعاءه لنا بسنته لنا بمنزلة دعاء من دونه من الأقوال والآراء والمذاهب، ولذا ختم الآية بقوله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال ابن القيم في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢ - ٦٣]: "فإذا كان هذا مذهبًا مقيدًا بحاجة عارضة، ولم يوسع لهم فيه إلا بإذنه، فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين: أصوله، وفروعه، دقيقه، وجليله؟ هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه؟... ومن الأدب معه: أن لا يستشكل قوله، بل تستشكل الآراء لقوله. ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه. ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول. ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحد، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ، وهو عين الجرأة"(١).

(١) مدارج السالكين (٢/٣٦٨).

❁ قال المصنف:

"كما قال ﷻ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، فأمرهم بتعظيمه ﷺ".

أراد المصنف أن ما مضى ذكره من الآداب الأربعة، وهي:

(١) نهيهم عن رفع أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ.

(٢) ونهيهم عن الجهر بالصوت عند خطابهم له ﷺ.

(٣) ونهيهم عن مناداته ﷺ باسمه من قريب أو من وراء حجاب.

(٤) ونهيهم عن جعل دعائه ﷺ لهم بمنزلة دعاء بعضهم بعضاً.

أنها داخلة في القاعدة العامة التي بين الله تعالى أنها الغرض من إرساله ﷺ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٨ ـ ٩]، وفي الآية مسألتان:

❋ **م الأولى:** جاء في كلام أهل العلم أن في الآية قراءتين متواترتين:

١ ـ قرأ الجمهور الأفعال الأربعة في الآية بالمثناة الفوقية ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ﴾، والخطاب هنا لرسول الله ﷺ ولأمته، بمعنى: إنا أرسلناك شاهداً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه، ولهذا فهو محتاج هنا إلى إضمار؛ لأنه لا يقال للنبي ﷺ: إنا أرسلناك لتؤمن بأنك رسول، والمضمر هنا (قل لهم)، أي: قل لهم: إنا أرسلناك شاهداً لتؤمنوا.

ويحتمل أن الخطاب لرسول الله ﷺ ولأمته باعتبار أنه مأمور بالإيمان برسالة نفسه كما كان يقول في تشهده: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». والجمهور على أن الضميرين الأولين في: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعودان إلى النبي ﷺ، وهنا وقف تام، ثم يبتدئ بالثالث: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾.

٢ ـ وقرئ بياء الغيبة للأفعال الأربعة كلها: ﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ﴾، أي إنا أرسلناك شاهداً ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه، ولا حاجة إلى الإضمار هنا. وضمائر الغيبة المنصوبة الثلاثة عائدة إلى اسم الجلالة؛ لأن إفراد الضمائر مع كون المذكور قبلها اسمين دليل على أن المراد أحدهما، والقرينة هنا على تعيين المراد هو قوله "وتسبحوه"، ولذا قال الزمخشري: "ومن فرق الضمائر فقد أبعد"[(١)]. وأما عطف "ورسوله" على لفظ الجلالة في الآية ﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ فلأنه لا يتم الإيمان بالله إلا بالإيمان بالرسول ﷺ المبلغ عنه.

* **م الثانية:** بناء على ما تقدم في القراءتين سيختلف توجيه معنى قوله تعالى ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾:

١ ـ فعلى رأي من أعاد ضمائر الغيبة الثلاثة إلى اسم الجلالة في قوله تعالى ﴿وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ﴾؛ فيكون المعنى تعزروا الله وتوقروه: بأن تنصروه بنصرة دينه والجهاد مع رسوله، وتعظموه وتبجلوه بإثبات التوحيد له وحده لا شريك له وتنفوا عنه الشركاء.

٢ ـ أما على رأي الجمهور بعود الضميرين الأولين: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾

(١) الكشاف (٤/٣٣٤).

للنبي ﷺ، وضمير: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ يعود لله، فيكون معنى ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: أي تعاضدوا النبي ﷺ وتمنعوه وتقووه بتقوية دينه، والتعزير هنا زائد على النصر؛ لذا غاير الله بينهما بالعطف في قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فالنصر يكون بالذبِّ عنه باليد وغيرها، والتعزير يزيد بالذب باللسان. ومعنى ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾، أي: تعظموه وتبجلوه وتفخموه. وأما التسبيح فعند الجميع هو: الكلام الذي يدل على تنزيه الله تعالى عن كل النقائص[(١)].

ـ وعلى القول بأن الضمير في ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعود للنبي ﷺ استدل المصنف بالآية حين قال: "**فأمرهم بتعظيمه** ﷺ"، أي فلا بد من تعظيمه ﷺ وتوقيره وتبجيله وتعظيم وتقوية سنته وشرعه، بل حتى على القول بعود الضمائر إلى الله، فيكون من تعظيم الله تعظيم رسوله؛ لأنه ﷻ قرن الإيمان برسوله بالإيمان به، ثم ساق الأمر بالتعزير والتوقير، فقال: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، فيكون كقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/٢٠٧)، وتفسير القرطبي (١٦/٢٦٦)، والتحرير والتنوير (٢٦/١٥٦).

قال المصنف:

"كما عظمه وشرفه في خطابه على سائر أنبيائه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. وخاطب الأنبياء بأسمائهم: ﴿يا آدم﴾، ﴿يَا نُوح﴾، ﴿يا إبراهيم﴾، ﴿يا موسى﴾، ﴿يا عيسى﴾".

ذكر المصنف توقير الله ﷻ لرسوله ﷺ بالخطاب، وفيه مسائل:

* م الأولى: أن الله ﷻ لم يناد نبيه ﷺ باسمه "يا محمد" في كتابه المنزل في آية واحدة، بل كان يناديه بالرسالة والنبوة فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥]؛ لذا قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر هذا التشريف القرآني للنبي ﷺ: "فنحن أحق أن نتأدب في دعائه وخطابه"(١).

* م الثانية: قد يشكل ما جاء في كتاب الله تعالى من تسمية الله لنبيه ﷺ كمثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، لكن هذا يسوغ لأنه من باب الإخبار عنه؛ كقولنا في الأذان والصلاة: أشهد أن محمداً رسول الله. ولذا لما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية هذا، قال: "فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل، وبه يظهر الفرق بين ما يُدعى الله به من الأسماء الحسنى، وبين ما يخبر به عنه ﷻ مما هو حق ثابت.. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢٩٨/١).

بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، مع قوله ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٩]، ولا يقال في الدعاء: يا شيء"(١).

* م الثالثة: ذكر المصنف أن الله فضّل محمداً ﷺ على سائر الأنبياء حين ناداه بالنبوة والرسالة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، وخاطب الأنبياء بأسمائهم: ﴿يَا آدم﴾، ﴿يَا نُوح﴾، ﴿يا إبراهيم﴾، ﴿يا موسى﴾، ﴿يا عيسى﴾". وهذا الذي قرره المصنف، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية، لكن يظهر أن فيه تكلفاً؛ لأن ما جاء في القرآن عن الأنبياء السابقين من باب الخطاب المباشر في أحداث يحتاج فيها لتوجيه الخطاب باسمه؛ كقوله تعالى لنوح ﷺ حينما طلب نجاة ابنه، فقال الله: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ [هود: ٤٦]، وفي قوله تعالى لإبراهيم ﷺ حين جادل عن لوط: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ﴾ [هود: ٧٦]، وقوله تعالى لموسى ﷺ لما خاف عند تحرك الحية: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡ﴾ [القصص: ٣١]، ومثله حين يخاطب الله نبيه محمداً ﷺ يوم القيامة كما روى الشيخان في حديث الشفاعة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ الله ﷻ يقول له: «يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي»(٢). وفي مسلم عَنْ ثَوْبَان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ ﷺ: «وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ»(٣) الحديث. وروى الشيخان عن عَائِشَةَ رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال:

---

(١) المرجع السابق (١/٢٩٨).

(٢) صحيح البخاري (٦/١٧ ـ ٤٤٧٦)، [باب قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١/١٨٤ ـ ١٩٤)، كتاب الإيمان

(٣) صحيح مسلم (٤/٢٢١٥ ـ ٢٨٨٩)، كتاب الفتن وأشراط الساعة.

«فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ»[(١)]. فهذا بخلاف ما يذكر في الكتب المنزلة التي تتلى كالقرآن، ويكون الخطاب متعلقاً فيها بالأحكام، فإن الخطاب يناسب أن يبدأ بالنداء بالرسالة والنبوة.

(١) رواه البخاري (٤/١١٥ ـ ٣٢٣١)، [باب إذا قال أحدكم آمين]، كتاب بدء الخلق، ومسلم (٣/١٤٢٠ ـ ١٧٩٥)، كتاب الجهاد والسير.

❁ قال المصنف:

"وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]، فأقام أمره ونهيه مقام القرآن ونهيه".

ذكر المصنف من فضائل نبينا ﷺ أن الله أقام أمره ونهيه ﷺ مقام أمره ونهيه ﷻ في كتابه في قوله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾، بل إن القرآن كله مليء بوجوب اتباع النبي ﷺ، وأنه لا فرق بين ما أحله وحرمه رسول الله ﷺ، وما أحله وحرمه الله ﷻ؛ لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى. ومن ذلك:

١ ـ أن الله ﷻ أقام نبيه ﷺ مقامه في الرد عند التنازع كشرط للإيمان في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

٢ ـ أنه جعل قضاء نبيه ﷺ كقضائه ﷻ، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٣ ـ أنه جعل الرضا بحكمه ﷺ ظاهراً وباطناً شرطاً في الإيمان به ﷻ، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

وفي البخاري عَنِ ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: «لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُوتَشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ، وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فَبَلَغَ

ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]»[١].

(١) صحيح البخاري (٦/١٤٧ ـ ٤٨٨٦)، [باب: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾]، كتاب تفسير القرآن.

❁ قال المصنف:

"وجمع له بين صفتين من صفاته، فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]".

أراد المصنف أن يبين فضيلة من فضائل النبي ﷺ بأن الله جمع له بين صفتين من صفاته، فقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، والله وصف نفسه بذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥]، ولكن توسع المصنف بذكر مثل هذا العبارات فيه نظر؛ لأمرين:

الأول: أن هاتين الصفتين قد يتصف بهما كثير من الخلق مع رسول الله ﷺ فلا مزية في ذلك إلا من جهة وصف الله ﷻ له بذلك ومدحه. وقد تقدم أن صفات الله تعالى نوعان: **أحدهما**: يشترك في مطلقها الخلق مع الخالق كالرحمة والعلم والحياة، وهناك صفات يختص بها الخالق كالخلق والإحياء والإماتة.

الثاني: أنه لا ينبغي أن تذكر صفات البشر مقارنة بصفات الخالق خشية من إيهام التشبيه؛ فالله تعالى ليس كمثله شيء.

❁ قال المصنف:

"ولم يُقسم لأحد بالرسالة إلا له، فقال: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يس: ٤]. وقال: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

أراد المصنف بيان فضيلةٍ للنبي ﷺ بكون الله ﷻ تعالى اختصه بخصيصة تشريف وتعظيم ليست لغيره، حيث لم يقسم ﷻ لغيره ﷺ بالرسالة بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾. وكأن المصنف يلمح إلى ما يذكر في تفسير معنى ﴿يسٓ﴾، وهو أن "يس" اسم من أسماء النبي ﷺ أقسم الله به، قاله ابن الحنفية والضحاك، وهذا قول من خمسة أقوال في تفسيره، وهو غير ثابت(١). ولذا عطف المصنف عليه آية القسم بعمر النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ﴾، وقد روى أبو يعلى والطبري والبيهقي، وغيرهم: عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: "مَا خلق الله وَمَا ذَرأ وَمَا برأَ نفساً أكْرم عَلَيْهِ من مُحَمَّد ﷺ، وَمَا سَمِعت الله أقسم بحياة أحد غَيره"، قال الهيثمي: "إسناده جيد"(٢).

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٣/٥١٦).

(٢) رواه الحارث بن أسامة (بغية الباحث: ٢/٨٧١ ـ ٩٣٤)، ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة (٦٣ ـ ٢١)، والطبري في تفسيره (١٧/١١٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/٤٨٨)، من طريق سعيد بن زيد. ورواه أبو يعلى (٥/١٣٩ ـ ٢٧٥٤) من طريق أبي بكر بن عبد الله البكري. والطبري كذلك في تفسيره (١٧/١١٨) من طريق الحسن بن أبي جعفر. والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٦/١٨٠ ـ ٢٥٢٧) من طريق نوح بن قيس. أربعتهم عن عمرو ابن مالك النكري، عن أبي الجوْزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وعمرو بن مالك ذكره ابن حبان في الثقات (٨/٤٨٧)، وقال: "يغرب ويخطئ". وقال في مشاهير علماء الأمصار=

قال العلامة الشنقيطي: "وقوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾: معناه: أقسم بحياتك، والله ﷻ له أن يقسم بما شاء من خلقه ولم يقسم في القرآن بحياة أحد إلا نبينا ﷺ، وفي ذلك من التشريف له ﷺ ما لا يخفى، ولا يجوز لمخلوق: أن يحلف بغير الله؛ لقوله ﷺ: «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»[(١)]، وقوله: لعمرك، مبتدأ خبره محذوف، أي لعمرك قسمي"[(٢)].

= (ص: ٢٤٤): "وقعت المناكير في حديثه من رواية ابنه عنه، وهو في نفسه صدوق اللهجة". وقال ابن حجر في تقريب التهذيب (٤٢٦): "صدوق له أوهام"، وليس هذا الحديث من رواية ابنه فيكون كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦/٧): "رواه أبو يعلى وإسناده جيد".

(١) رواه البخاري (١٨٠/٣ ـ ٢٦٧٩)، [باب كيف يستحلف]، كتاب الشهادات، ومسلم (١٢٦٧/٣ ـ ١٦٤٦)، كتاب الأيمان، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أضواء البيان (١٨٩/٢).

❁ قال المصنف:

"وقال في حق إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧]، فأجابه إلى ذلك، وابتدأ به نبينا ﷺ من غير سؤال فقال: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨]، وقال موسى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]، فأجابه الله إلى ذلك، فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦]، وقال لنبينا: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

يريد المصنف أن من تشريف الله لنبيه ﷺ أنه كان لا يتركه يبدأ بطلب الشيء بل يعطيه إياه قبل ذلك، كمثل طلب إبراهيم عليه السلام النجاة والسلامة من خزي الآخرة، وطلب موسى أن يشرح الله له صدره، فأجابهم بعد الدعاء، أما نبينا محمد ﷺ فأجاره من الخزي وشرح صدره قبل أن يدعو، وهذا كقوله ـ آنفاً ـ في مخاطبة الأنبياء من التكلف، ونبينا له من الفضائل ما يغني عن مثل هذا. وقد روى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النَّبِيَّ ﷺ، قال: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ»[(١)]، وفيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أن رجلاً قال: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى العَالَمِينَ فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ النبي ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ»[(٢)]. مع أنه لا يسلم للمصنف أن النبي ﷺ لم يدعُ بذلك قبل، ولا أن الله ما أجار إبراهيم أو شرح صدر موسى عليهما الصلاة والسلام إلا بعد الدعاء.

(١) صحيح البخاري (٣/١٢١ ـ ٢٤١٢)، [باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود]، كتاب الخصومات، ومسلم (٤/١٨٤٥ ـ ٢٣٧٤)، كتاب الفضائل.

(٢) صحيح البخاري (٣/١٢٠ ـ ٢٤١١)، [باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود]، كتاب الخصومات، ومسلم (٤/١٨٤٤ ـ ٢٣٧٣)، كتاب الفضائل.

❁ قال المصنف:

"وغفر ذنبه مع ستره، وغفر ذنب غيره مع ظهوره، فقال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [طه: ١٢١ ـ ١٢٢]﴾، وقال في داود: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ إلى قوله ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]، وقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧] إلى قوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وقال لنبينا ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، ولم يذكر ذلك الذنب. وقال: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٣]، ولم يذكر الوزر.

يريد المصنف أن من تشريف الله لنبيه ﷺ أنه غفر ذنبه مع الستر، بينما غيره مع الظهور لها، لكن ما كان ينبغي أن يتوسع المصنف مع أنبياء الله تعالى المصطفين بمثل هذه الطريقة التي تشعر بالغض من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، بتعداد ما وقع منهم لبيان فضائل نبينا ﷺ، فهذا مضادّ لتوقيرهم وإجلالهم، ومضاد لأمر النبي ﷺ بتوقيرهم، وهو خطأ من وجهين:

الأول: أنه مخالف لمفهوم قول النبي ﷺ كما في "الصحيحين" من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن نبي الله يونس عليه السلام الذي ذكر الله من أمره ما حبسه في بطن الحوت: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»[(١)].

---

(١) رواه البخاري (٤/١٥٣ ـ ٣٣٩٥)، [باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾]، كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٤/١٨٤٦ ـ ٢٣٧٧)، كتاب الفضائل.

وفي البخاري عن أبي هريرة ﷺ، قَالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ»(١).

الثاني: أن الله عاتب جميع الأنبياء عند مخالفة أمره مع سبق رحمته لغضبه، وأظهر ذلك، فقد جاء العتاب لجميع الأنبياء مع كونهم مغفوراً لهم؛ لإثبات بشريتهم وكمال ربوبية الله لهم، كما قال الله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال لنبينا ﷺ خاصة: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤ ـ ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]، وفي البخاري عن أنس ﷺ، ومسلم عن عائشة ﷺ في قوله تعالى ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] قالا: «لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ»(٢).

---

(١) صحيح البخاري (٦/٥٠ ـ ٤٦٠٤)، [باب قوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾]، كتاب تفسير القرآن.

(٢) انظر: البخاري (٩/١٢٤ ـ ٧٤٢٠)، [باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾]، كتاب التوحيد، ومسلم (١/١٦٠ ـ ١٧٧)، كتب الإيمان.

❁ قال المصنف:

"ثم الإيمان بأن خير الخلق بعد رسول الله ﷺ، وأعظمهم منزلة بعد النبيين والمرسلين وأحقهم بخلافة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، ثم بعده على هذا الترتيب أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم على هذا النعت والصفة أبو الحسن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، ونشهد للعشرة بالجنة، وهم أصحاب... النبي: [أبو بكر][(١)]، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن [جراح]. ثم الترحم على جميع أصحاب الرسول ﷺ، أولهم وآخرهم وذكر محاسنهم. ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين".

انتقل المصنف إلى بيان حقوق نقلة الوحي من أصحاب رسول الله وبيان الواجب في الاعتقاد نحوهم، فذكره في مسائل:

❊ **م الأولى:** قوله **"ثم الإيمان بأن خير الخلق بعد رسول الله ﷺ، وأعظمهم منزلة بعد النبيين والمرسلين وأحقهم بخلافة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق"**، ذكر المصنف هنا أن أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، وهذه العبارة موهمة؛ فكان الأحسن أن يقول: بأن خير الخلق، وأعظمهم منزلة بعد رسول الله ﷺ والنبيين والمرسلين، وأحقهم بخلافة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ومن المعلوم

(١) في المطبوع من كتاب الاعتقاد للدكتور الخميس وفقه الله (ص: ٣٤): "نشهد للعشرة بالجنة وهم أصحاب (.....) (١) النبي وأبي بكر وعمر.. ". قال المحقق عن النقط: "كلمة غير واضحة".

أن خير الخلق بعد محمد ﷺ أولو العزم من الرسل ثم سائرهم، وقد قرر أهل السنة أن أصحاب محمد ﷺ أفضل أتباع الأنبياء والمرسلين على الإطلاق، ويستدل على هذا بأدلة عامة وخاصة:

❋ فمن الأدلة على فضل الصحابة على أتباع الأنبياء: قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، والأمة في الآيتين يراد بها الصحابة ﵃ وأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء، من وجهين:

أحدهما: لأنهم المخاطبون به أصالة، فيتنزل الخطاب عليهم.

ثانيها: لكون هذه الأمة أفضل الأمم على الإطلاق:

ـ ففي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: أَنَّه ﷺ، قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ»(١)، وفي "الصحيحين" عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»(٢)، وفي مسلم عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ»(٣)، وفي "سنن الترمذي" وغيره عنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﵁: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ

(١) صحيح البخاري (٤/١٨٩ ـ ٣٥٥٧)، [باب صفة النبي ﷺ]، كتاب المناقب.

(٢) صحيح البخاري (٣/١٧١ ـ ٢٦٥٢)، [باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد]، كتاب الشهادات، ومسلم (٤/١٩٦٣ ـ ٢٥٣٣)، كتاب الفضائل.

(٣) صحيح مسلم (٤/١٩٦٥ ـ ٢٥٣٦)، كتاب الفضائل.

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قَالَ: «أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ»، حسنه الترمذي وصححه الحاكم(١). فكل هذا دال على أن أصحاب النبي ﷺ أفضل أصحاب الأنبياء، رضي الله عنهم وأرضاهم.

ـ وأفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ﵄، ومن الأدلة على فضل أبي بكر وعمر على أتباع النبيين: ما روى الترمذي وغيره، عَنْ عَلِيٍّ ﵁، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَقَالَ: "يَا عَلِيُّ! هَذَانِ سَيِّدَا

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٤١٠ ـ ٤٤٦)، ومن طريقه الترمذي (٥/٢٢٦ ـ ٣٠٠١) [باب: ومن سورة آل عمران]، أبواب تفسير القرآن، والطبري في تفسيره جامع البيان (٥/٦٧٥)، ورواه أحمد (٣٣/٢٤٥ ـ ٢٠٠٤٩)، (٣٣/٢٣١ ـ ٢٠٠٢٩)، وابن المبارك في مسنده (٦٥ ـ ١٠٦) وفي الزهد (٢/١١٤)، والدارمي (٣/١٨١٦ ـ ٢٨٠٢)، [باب في قول النبي ﷺ: أنتم آخر الأمم]، كتاب الرقاق، وابن ماجه (٢/١٤٣٣ ـ ٤٢٨٧، ٤٢٨٨)، [باب صفة أمة محمد ﷺ]، كتاب الزهد، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/٤١٩ ـ ١٠١٢)، (١٩/٤٢٢ ـ ١٠٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤/٩٤ ـ ٦٩٨٧) [كتاب معرفة الصحابة]. من طرق عن معمر، وابن المبارك، ويحيى القطان، ويزيد بن هارون، والنضر ابن شميل، وإسماعيل بن علية، وسفيان الثوري، كلهم عن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده ﵁ به. صححه الحاكم، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن، وقد روى غير واحد هذا الحديث عن بهز بن حكيم نحو هذا، ولم يذكروا فيه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾". قلت: وهو كما قال فبهز وأبوه صدوقان، وقد تفرد بذكر الآية معمر دونهم. وقد توبع بهز بن حكيم على الرواية عن أبيه: فقد رواه الجريري، وأبو قزعة عن عمرو بن دينار، كلاهما عن حكيم بن معاوية عن أبيه به، خرج حديثهما أحمد (٣٣/٢٢٨ ـ ٢٠٠٢٥) (٣٣/٢١٣ ـ ٢٠٠١١)، والنسائي في الكبرى (١٠/٢٣٠ ـ ١١٣٦٧)، وعبد بن حميد (١٥٥ ـ ٤١٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/٣٥٧ ـ ٤١٦١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/٤٢٤ ـ ١٠٣٠) (١٩/٤٢٧ ـ ١٠٣٨)، والحاكم في المستدرك (٤/٩٤ ـ ٦٩٨٨). وبعض الرواة قصر فأسقط عمرو بن دينار فجعله من حديث أبي قزعة عن حكيم بن معاوية.

كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَشَبَابِهَا بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ" وهو صحيح(١). وله شواهد عن أنس رضي الله عنه عند الترمذي وحسنه(٢). وعن أبي جحيفة رضي الله عنه عند ابن حبان وصححه(٣)، وجاء عن جماعة غيرهم(٤).

وروى أحمد في "الفضائل" وغيره عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ ﷺ: «مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَلَا غَرَبَتْ، عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ»(٥).

(١) رواه عبد الله بن أحمد (٢/٤٠ ـ ٦٠٢)، والآجري في الشريعة (٥/٢٣١٦ ـ ١٨٠٠) من طريق حسن بن علي بن علي بن أبي طالب. والترمذي (٥/٦١١ ـ ٣٦٦٥)، [باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه] من طريق علي بن الحسين. والدولابي في الكنى (٣/٩٦٢ ـ ١٦٨٣)، وأبو بكر الشافعي في فوائده الغيلانيات (١/٥٦ ـ ٣)، وأبو طاهر المخلص في المخلصيات (٣/٦٦ ـ ٢٠٠٥)، وأبو الفضل الزهري في حديثه (٤٧٤ ـ ٤٨٦) من طريق زر بن حبيش. وأبو بكر الشافعي في فوائده الغيلانيات (١/٥٦ ـ ٢)، وابن عساكر في معجمه (١/٣٢ ـ ٢٣) من طريق عاصم بن ضمرة. والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/٢١٨ ـ ١٩٦٤)، من طريق زيد بن يثيع. وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٣٥٠ ـ ٣١٩٤١)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٦١٧ ـ ١٤١٩) من طريق خطاب أو أبي خطاب، ستتهم عن علي بن أبي طالب. وهو صحيح بمجموع طرقه. ورواه الترمذي (٥/٦١١ ـ ٣٦٦٦)، [باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه]، وابن ماجه (٩٥) من طريق الشعبي عن الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه. وبعض من المصنفين كالضياء في المختارة (٢/١٦٧ ـ ٥٤٥) صححه بإسقاط الحارث قال: الشعبي عن علي.

(٢) سنن الترمذي (٥/٦١٠ ـ ٣٦٦٤)، [باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه].

(٣) صحيح ابن حبان (١٥/٣٣٠ ـ ٦٩٠٤)، [ذكر البيان بأن الصديق والفاروق يكونان في الجنة سيدي كهول الأمم فيها].

(٤) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٩/٥٣)، فقد ذكره من حديث أبي سعيد، وجابر، وابن عمر رضي الله عنهم.

(٥) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/١٥٢ ـ ١٣٥)، وعبد بن حميد في مسنده (١/٢٠٠ ـ ٢١٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٧٦ ـ ١٢٢٤)، (٢/٥٧٦ ـ ١٢٢٤)، والآجري=

* **م الثانية:** قوله "**أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، ثم بعده على هذا الترتيب أبو حفص عمر بن الخطاب** رضي الله عنه"، ذكر المصنف هنا تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الفضل والسابقة على جميع الصحابة رضي الله عنهم، ثم تفضيل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وهذا مما لا خلاف فيه عند أئمة أهل السنة والجماعة، قال الإمام مالك: "ما أدركت أحدًا ممن اقتدي به، يشك في تقديم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما"[(١)]. وقال الإمام الشَّافعي: "ما اختلف أحدٌ من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة"[(٢)]. ومن أدلة أهل السنة في هذا التفضيل:

ـ ما رواه البخاري وغيره عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ـ في رواية أخرى: نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ ـ، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»[(٣)]،

= في الشريعة (١٨٤٤/٤ ـ ١٣٠٩)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١٣٥٨/٧ ـ ٢٤٣٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧٩٥/٩ ـ ٢٣٥)، وأبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين (٣٨ ـ ٩)، وحلية الأولياء (٣٢٥/٣)، وقوام السنة في الحجة في بيان المحجة (٣٥٨/٢ ـ ٣١٨)، من طريق جماعة عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبي الدرداء رضي الله عنه به. وفيه علتان: الأولى ابن جريج مدلس ولم يصرح بالسماع. الثانية: أن عطاء هذا لا يعلم هل هو ابن أبي رباح، أو الخراساني، أو الكَيْخَاراني؟ فإن كان ابن أبي رباح ـ وهو المشهور برواية ابن جريج عنه ـ ففي سماعه من أبي الدرداء كلام، وكذلك إن كان هو الخراساني أو الكيخُاراني. وقد جاء التصريح في أنه ابن أبي رباح من طريق لا يثبت عند الخطيب في الرحلة في طلب الحديث (١٨١ ـ ٨١)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢١٠/٣٠).

(١) انظر: مسند الموطأ للجوهري (ص: ١١٠)، والاستذكار لابن عبد البر (١١٠/٥).

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي (ص: ٣٦٩)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٨٦/٢).

(٣) صحيح البخاري (١٤/٥ ـ ٣٦٩٧)، [باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه]، كتاب أصحاب=

وفي لفظ أبي داود: «كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ» فذكره(١). وزاد أحمد في "فضائل الصحابة"، والحارث، والطبراني، وغيرهما: «فيسمع ذلك النبي ﷺ فلا ينكره»، وهي زيادة ثابتة من طرق كثيرة(٢).

ـ وقد روى البخاري كذلك عن مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: "قُلْتُ لأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ"(٣).

= النبي ﷺ، وفي (٥/٤ ـ ٣٦٥٥)، [باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ]، كتاب أصحاب النبي ﷺ.

(١) سنن أبي داود (٤/٢٠٦ ـ ٤٦٢٨)، [باب في التفضيل]، كتاب السنة.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/٥٢٠ ـ ٨٥٧)، والحارث في مسنده (بغية الباحث: ٢/٨٨٩ ـ ٩٦٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٦٧ ـ ١١٩٣)، وأبو يعلى في مسنده (٩/٤٥٤ ـ ٥٦٠٤)، والطبراني في مسند الشاميين (٣/٤٠ ـ ١٧٦٤)، وابن شاهين في كتاب شرح مذاهب أهل السنة (٣١٢ ـ ١٩٢)، وأبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين (١٣٥ ـ ١٥٨)، من طريق شعيب بن أبي حمزة ويزيد بن حبيب والزبيدي ثلاثتهم، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله عنه به، وهو إسناد كالشمس، وقال أبو نعيم: "رواه عن الزهري: ابن أبي عتيق، وسفيان بن عيينة، وثور بن يزيد، والجراح بن منهال". ولكن في إسناد ابن أبي عاصم أُبْدِلَ سالم بنافع. وفي مسند أبي يعلى أسقط نافعاً وسالماً، فجعله من رواية ابن حبيب عن ابن عمر، وكلاهما وهم. لكن رواه أبو بكر ابن الخلال في السنة (٢/٣٩٨ ـ ٥٧٧) من طريق عبد العزيز الماجشون، عن عبيد الله، عن نافع، وإسناده على شرط الصحيح إن كان محفوظاً. ورواه ابن الأعرابي في معجمه (٢/٦٦٢ ـ ١٣٢٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٦٨ ـ ١١٩٦)، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن ابن عمر.

(٣) صحيح البخاري (٥/٧ ـ ٣٦٧١)، [باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلاً]، كتاب أصحاب النبي ﷺ.

ـ وروى عبد الله بن أحمد في "السنة" وزوائد "فضائل الصحابة"، وابن أبي عاصم في "السنة"، والآجري في "الشريعة"، والبيهقي في "الاعتقاد"، عن الحكم بن جحل، عن عليٍّ أنه قال رضي الله عنه: لَا يُفَضِّلُنِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، أَوْ لَا أَجِدُ أَحَدًا يُفَضِّلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، إِلَّا وَجَلَدْتُهُ جَلْدَ حَدِّ الْمُفْتَرِي"[(١)]. ورواه الخطيب البغدادي في "الكفاية" بإسناده من طريق أبي الزعراء أو زيد بن وهب: أن سويد بن غفلة دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فذكره، وبين أنه قاله على المنبر. ثم نقل الخطيب عن الحافظ أبي عبد الله البوشنجي المتوفى (٢٩٠هـ) ـ وأقره ـ أنه قال: "هذا الحديث الذي سقناه ورويناه من الأخبار الثابتة؛ لأمانة حماله وثقة رجاله وإتقان أثرته، وشهرتهم بالعلم في كل عصر من أعصارهم إلى حيث بلغ من نقله إلى الإمام الهادي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حتى كأنك شاهد حول المنبر وعليٌّ فوقه"[(٢)].

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٥٦٢ ـ ١٣١٢)، وفي زوائد فضائل الصحابة (١/٨٣ ـ ٤٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٧٥ ـ ١٢١٩)، والآجري في الشريعة (٥/٢٣٢٦ ـ ١٨١٣)، والبيهقي في كتاب الاعتقاد (ص: ٣٥٨) كلهم من طرق عن محمد بن طلحة ابن مصرف، عن أبي عبيدة بن الحكم الأسدي، عن الحكم بن جحل، عن علي رضي الله عنه. وفيه أبو عبيدة أمية بن الحكم مجهول كما في لسان الميزان لابن حجر وأصله (٢/٢١٨).

(٢) الكفاية في علم الرواية (ص: ٣٧٦)، وزاد: أن أبا عبد الله البوشنجي الحافظ قال: "وليس مما يدخل إسناده وهن ولا ضعف، لقول الراوي عن أبي الزعراء، أو عن زيد بن وهب، لما لعله توهمه شكًا فيه، وليس مثل هذا بشك يوهن الخبر، ولا يضعف به الأثر، لأنه حكاه عن أحد الرجلين، فكل منهما ثقة مأمون، وبالعلم مشهور، إنما لو كان الشك فيه أن يقول: عن أبي الزعراء، أو غيره، أو عن زيد بن وهب، أو عن غيره، كان الوهن يدخله، إذ لا نعلم الغير من هو، فأما إذا صرح الراوي وأفصح بالناقلين أنه عن أحدهما، فليس هذا بموضع ارتياب، فتفهموا رحمكم الله. قال أبو بكر: قد مثل أبو عبد الله البوشنجي الشك الذي يوهن الخبر بما أغنى عن كلامنا فيه".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكر هذا الأثر: "وروي عنه بأسانيد جيدة أنه قال.. " فذكره[١]. لذا لما أشار شيخ الإسلام ابن تيمية لتواتر تفضيل عليٍّ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهم على نفسه؛ لكونه يروى عنه رضي الله عنه من نحو ثمانين وجهًا، قال: "فمن فضله على أبي بكر وعمر جلد ـ بمقتضى قوله رضي الله عنه ـ ثمانين سوطًا. وكان سفيان يقول: من فضل عليًا على أبي بكر فقد أزرى بالمهاجرين؛ وما أرى أنه يصعد له إلى الله عمل، وهو مقيم على ذلك"[٢].

* **م الثالثة:** قوله "**ثم ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم على هذا النعت والصفة أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه**"، ذكر المصنف تقديم عثمان ثم علي بالفضل بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، وهنا فرعان لهذه المسألة:

ـ **(الفرع الأول)**: حكم المفاضلة بينهما: فلقد أجمع السلف: على تقديم أبي بكر ثم عمر، واختلفوا في المفاضلة بين عثمان وعلي بعد الشيخين:

(١) فمنهم من ذكر عثمان وسكت عن عليٍّ.

(٢) ومنهم سكت عن عثمانَ وعليٍّ.

(٣) ومنهم من قدم عليًّا ثم عثمان.

(٤) والذي استقر عليه أمر سواد أهل السنة وصار اعتقاداً لهم وشعارًا، هو تقديم عثمان ثم علي بالفضل بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، والمخالفون في هذا قليل من السلف والبعض منهم رجع، ويدل على صحة ما ذهب إليه

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٧٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٤٢٢).

جمهور أهل السنة:

١ ـ إقرار النبي ﷺ: فقد تقدّم من قول ابن عمر رضي الله عنهما: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»، «فَيَسْمَعُ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ». وفي رواية «أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ».

٢ ـ إجماع الصحابة بعده: فقد روى البخاري: أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بقي ثلاثة أيام لم يذق غمضاً يشاور المهاجرين والأنصار في عثمان وعلي رضي الله عنهما: أيهما يفضلون للخلافة، وفي صبيحة اليوم الثالث: "أَرْسَلَ إِلَى مَنْ كَانَ حَاضِرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَأَرْسَلَ إِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ، وَكَانُوا وَافَوْا تِلْكَ الحَجَّةَ مَعَ عُمَرَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهَّدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، يَا عَلِيُّ! إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ، فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ، فَلَا تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً"[(١)]. وكان قال قبلها لهما: "أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ، وَاللهُ! عَلَيَّ أَنْ لَا آلُ عَنْ أَفْضَلِكُمْ قَالَا: نَعَمْ".

٣ ـ فهم علماء الأمة من فعل الصحابة هذا الاتفاق على تقديم عثمان على عليّ رضي الله عنهما، فحينما سأل رجل عبد الله بن المبارك أيهما أفضل علي أو عثمان فقال: "قد كفانا ذاك عبد الرحمن بن عوف"[(٢)]. وقال الإمام أحمد بن حنبل: "من قَدَّم عليًّا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار"[(٣)]. وقال

(١) صحيح البخاري (٩/٧٨ ـ ٧٢٠٧)، [باب كيف يبايع الإمام الناس]، كتاب الأحكام.
(٢) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (٢/٣٨٩).
(٣) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (٢/٣٩١)، مجموع الفتاوى (٤/٤٢٨).

أيضاً: "كيف يُقدم عَلِيًّا على عثمانَ؟ وهل كانت بيعة أوثق من بيعته ولا أصح منها؟ وخليفة قتل ظلمًا لم يَبْهَشْ إليهم بِقَصَبَةٍ"[(١)]. بل قد نقل الحافظ ابن حجر عن البيهقي في "الاعتقاد" بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي قوله في التفضيل: "أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي"[(٢)].

ـ (الفرع الثاني): في خلافتهما: لم يضلل أهل السنة من وقف عند ذكر عثمان فسكت عن عليٍّ أخذاً بظاهر حديث ابن عمر رضي الله عنهما الآنف، وإن كان هو خطأ عندهم، لكنهم ضللوا من لم يربع بعليٍّ رضي الله عنه في الخلافة؛ لإجماعهم على ذلك استناداً على قول النبيِّ ﷺ في حديث سفينة رضي الله عنه: «الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا»، وفي رواية «خِلافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاثُونَ سَنَة»، «قَالَ سفينة رضي الله عنه: أَمْسِكْ خِلافَةَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه سَنَتَيْنِ، وَعُمَرَ رضي الله عنه عَشْرًا، وَعُثْمَانَ رضي الله عنه اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَعَلِيٍّ رضي الله عنه سِتًّا»، رواه أهل المسانيد والسنن، وكتب السنة والاعتقاد[(٣)]، وقد اعتمد عليه الإمام أحمد في تقريره لهذا الترتيب في

(١) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (٢/٣٢١).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/١٧)، ولكن الذي في كتاب الاعتقاد للبيهقي (ص: ٣٦٩) قال: "وروينا عن أبي ثور، عن الشافعي أنه قال: ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة، وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان، ونحن لا نخطئ واحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ".

(٣) خرجه أحمد (٣٦/٢٤٨ ـ ٢١٩١٩) (٣٦/٢٥٦ ـ ٢١٩٢٨)، والترمذي (٤/٥٠٣ ـ ٢٢٢٦)، وأبو داود (٤/٢١١ ـ ٤٦٤٦)، والنسائي في الكبرى (٧/٣١٣ ـ ٨٠٩٩)، والطيالسي (٢/٤٣٠ ـ ١٢٠٣)، وإسحاق (٤/١٦٣ ـ ١٩٤٤)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٢/٥٦٢ ـ ١١٨١) (٢/٥٦٤ ـ ١١٨٥)، والبزار (٩/٢٨٠ ـ ٣٨٢٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/٤١٤ ـ ٣٣٤٩)، وأبو بكر الخلال في السنة (٢/٤٢٧ ـ ٦٤٧)،=

الخلافة، قال: "من لم يُثبت الإمامة لعلي فهو أضل من حمار أهله"(١)، وقال: "من لم يربع بعلي بن أبي طالب في الخلافة، فلا تكلموه ولا تناكحوه"(٢).

* م الرابعة: قوله "**ونشهد للعشرة بالجنة، وهم أصحاب... النبي: [أبو بكر]، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن جراح**"، ذكر المصنف أفضل الصحابة بعد الخلفاء الراشدين الأربعة، والتفضيل على نوعين:

ـ **(التفضيل بالأعيان)**: فأهل السنة متفقون كما أشار المصنف على أن أفضل أعيان الصحابة رضي الله عنهم بعد الخلفاء الأربعة: هم الستة باقي العشرة أهل

= وابن حبان (١٥/٣٤ ـ ٦٦٥٧)، (١٥/٣٩٢ ـ ٦٩٤٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١/٨٩ ـ ١٣٦)، (٧/٨٣ ـ ٦٤٤٢، ٦٤٤٣، ٦٤٤٤)، والآجري في الشريعة (٤/١٧٠٣ ـ ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩)، والحاكم (٣/٧٥ ـ ٤٤٣٨)، (٣/١٥٦ ـ ٤٦٩٧)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٨/١٤٦٩ ـ ٢٦٥٤، ٢٦٥٦، ٢٦٥٧)، من طريق حماد بن سلمة وحشرج بن نباتة والعوام بن حوشب وعبد الوارث بن سعيد ويحيى بن طلحة البصري، خمستهم، عن سعيد بن جمهان، عن سفينة رضي الله عنه به. بلفظ: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون مُلْكاً، وفي بعضها: "خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء". صححه الحاكم وابن حبان، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد ابن جمهان، ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جمهان". وقال ابن أبي عاصم بعده: "وحديث سفينة ثابت من جهة النقل"، وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/١١٦٩): "قال أحمد بن حنبل: حديث سفينة في الخلافة صحيح وإليه أذهب في الخلفاء"، وقال الخلال في السنة (٢/٤١٩): "أخبرنا أبو بكر المروذي قال: ذكرت لأبي عبد الله فصححه. وقال: قلت: إنهم يطعنون في سعيد بن جمهان، فقال: سعيد بن جمهان ثقة".

(١) أسنده ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص: ٢٢٠)، وذكره شيخ الإسلام في منهاج السنة (٢/٢٠٨) بلفظ: "من لم يربع بعلي في الخلافة، فهو أضل من حمار أهله".

(٢) انظر: طبقات الحنابلة (١/٤٥).

الشورى المشهود لهم بالجنة على لسان خاتم المرسلين ﷺ، والذين توفي ﷺ وهو عنهم راض ﷺ، لما صح في "مسند" أحمد وفي "السنن" عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النبي ﷺ: «عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللهِ، يَعْنِي: ابْنَ الْجَرَّاحِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. ـ فَعَدَّ هَؤُلاءِ التِّسْعَةَ، فَقَالَ الْقَوْمُ: نَنْشُدُكَ بِاللهِ يَا أَبَا الأَعْوَرِ! أَنْتَ الْعَاشِرُ؟ قَالَ: إِذْ نَاشَدْتُمُونِي بِاللهِ ـ أَبُو الأَعْوَرِ فِي الْجَنَّةِ»(١).

وبنحوه عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ صححه ابن حبان والضياء(٢).

---

(١) رواه أحمد (٣/١٧٤ ـ ١٦٢٩)، وابنه في زوائد فضائل الصحابة (١/١١٤ ـ ٨٥)، وأبو داود (٤/٢١٢ ـ ٤٦٥٠)، والترمذي (٥/٦٤٨ ـ ٣٧٤٨)، والنسائي في الكبرى (٧/٣٢٧ ـ ٨١٣٧)، (٧/٣٣١ ـ ٨١٤٧)، وابن ماجه (١/٤٨ ـ ١٣٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٣٥٠ ـ ٣١٩٤٦)، (٦/٣٥١ ـ ٣١٩٥٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٦١٩ ـ ١٤٣٣، ١٤٣٤)، والشاشي (١/٢٣٥ ـ ١٩٢)، وخيثمة بن سليمان في حديثه (ص: ٩٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/٣٣٩ ـ ٤٣٧٤)، والضياء في المختارة (٣/٢٨٢ ـ ١٠٨٣)، من طريق رياح بن الحارث وعبد الرحمن بن الأخنس وحميد بن عبد الرحمن وزياد بن علاقة، أربعتهم عن سعيد بن زيد به. وهو صحيح إلا في رواية ابن علاقة عند خيثمة والطبراني، فالظاهر أنها خطأ لتفرد بعض من يهم ويغلط فيها، والظاهر أنها تعود لرواية رياح بن الحارث لتشابه سياق القصة.

(٢) ورواه أحمد (٣/٢٠٩ ـ ١٦٧٥)، والترمذي (٥/٦٤٧ ـ ٣٧٤٧)، والنسائي في الكبرى (٧/٣٢٨ ـ ٨١٣٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢/١٤٧ ـ ٨٣٥)، وابن حبان (١٥/٤٦٣ ـ ٧٠٠٢)، والبزار في البحر الزخار (٣/٢٣١ ـ ١٠٢٠)، والآجري في الشريعة (٥/٢٢٨٧ ـ ١٧٦٨)، والضياء في المختارة (٣/١٠٢ ـ ٩٠٣)، كلهم من عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِيُّ، عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف بنحوه. لكن خالف الدراوردي: عمرُ بنُ سعيد اللخمي في الحديث السابق، فرواه عن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن، =

قال ابن أبي العز: "اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم؛ لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم"(١).

ـ **(التفضيل بالوصف)**، وهو في نوعين:

الأول: تفضيل أهل بدر: فقد اتفق أهل السنة على تقديم أهل بدر ممن شهدها مع النبي ﷺ لما روى البخاري عن رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلَائِكَةِ»(٢)، ولهما ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ ـ أَوْ ـ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(٣). قال الإمام أحمد: "ثم من بعد أصحاب الشورى: أهل بدر من المهاجرين ثم أهل بدر من الأنصار، من أصحاب رسول الله ﷺ على قدر الهجرة والسابقة، أولاً فأول"(٤).

= عن أبيه، عن سعيد بن زيد ﷺ. ورجح حديث سعيد بن زيد من طريق عمر بن سعيد الترمذي وأبو حاتم، قال الترمذي عنه: "وهذا أصح". وقال أبو حاتم في العلل (٦/٣٩٥): "لأن الحديث يروى عن سعيد من طرق شتى، ولا يعرف عن عبد الرحمن بن عوف، عن النبي ﷺ في هذا شيء". قلت: الدراوردي أقوى من عمر بن سعيد، لكن رجح أبو حاتم حديثه لكثرة متابعاته كما تقدم. لكن صحح حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ من طريق الدراوردي: ابن حبان والضياء.

(١) شرح الطحاوية (ص: ٤٩٩).

(٢) صحيح البخاري (٥/٨٠ ـ ٣٩٩٢)، [باب شهود الملائكة بدرًا]، كتاب المغازي.

(٣) صحيح البخاري (٥/٧٧ ـ ٣٩٨٣)، [باب فضل من شهد بدرًا]، كتاب المغازي، ومسلم (٤/١٩٤١ ـ ٢٤٩٤)، كتاب فضائل الصحابة ﷺ.

(٤) انظر: أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/١٧٥).

الثاني: تفضيل أصحاب أحد وأهل بيعة الرضوان: حيث اختلف أهل العلم في أيهما أفضل على قولين:

١ ـ أن أهل أحد أفضل لما أصابهم من البلاء والتمحيص والقتل، ما لم يكن في بيعة الرضوان، فقال تعالى عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٤]. قال البغدادي: "أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم: الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون بعدهم إلى تمام العشرة، وهم: طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد ابن عمرو ابن نفيل وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم، ثم البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية"(١).

٢ ـ أن الأفضل أهل بيعة الرضوان الذين قال الله فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وقال فيهم ﷺ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»، رواه مسلم عن أُمِّ مُبَشِّرٍ رضي الله عنها(٢). ورجح هذا القول السفاريني؛ لأن الله قال عن أهل أحد: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال عن

(١) أصول الدين (ص: ٣٠٤).
(٢) صحيح مسلم (٤/١٩٤٢ ـ ٢٤٩٦)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

أهل بيعة الرضوان: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، فقال: "وصف أهل البيعة بالرضى، وهو أعلى وأسنى وأفضل من العفو"(١). ومن المعلوم أن من الصحابة من جمع بين تلك المشاهد كلها، وزاد الهجرة وهي أفضل من النصرة، فكان من المهاجرين، ومن أهل بدر، ومن العشرة، ومن أهل بيعة الرضوان، ومن أهل أحد، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

* **م الخامسة:** قوله "**ثم الترحم على جميع أصحاب الرسول ﷺ، أولهم وآخرهم، وذكر محاسنهم**".

انتقل المصنف إلى ما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب النبي ﷺ بعامة، فمن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ من البغض والغل والحقد والكراهة، وأنها مملوءة بالحب والتقدير والتعظيم، وسلامة ألسنتهم من كل قول ينقص من شأنهم أو فضلهم، ويفضلونهم على جميع الخلق بعد الرسل؛ لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ، ومحبة رسول الله ﷺ من محبة الله، ولذا فشعار أهل السنة الذي يتميزون به على من سواهم: الثناء على الصحابة رضي الله عنهم والترضي عنهم، والترحم والاستغفار لهم؛ لأنهم:

١ ـ خير هذه الأمة ديناً وفضلاً ونصحاً وأخلاقاً.

٢ ـ ولأنهم هم الواسطة بين رسول الله ﷺ وبين أمته بتلقي الشريعة.

٣ ـ ولأنه على أيديهم قام منار الإسلام فنصروا الله ورسوله، وعلى

(١) لوامع الأنوار (٢/٣٧٢).

أيديهم تمت الفتوحات الواسعة العظيمة التي انتشر بسببها الإسلام.

وقد تقدم في ذكر فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما اعتقاد أهل السنة في أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أفضل أتباع الأنبياء والمرسلين على الإطلاق، وقد جاء القرآن والسنة وكلام أئمة الدين بفضلهم:

❊ أما من القرآن فنذكر من ذلك:

ـ ما تقدم من قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والأمة في الآيتين يراد بها الصحابة رضي الله عنهم بالأصالة، وأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء.

ـ وقال تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، فمن غاظه حال الصحابة رضي الله عنهم لإيمانهم فهو كافر، قال ابن كثير: "ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك ـ رحمه الله، في رواية عنه ـ بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء على ذلك"[(١)].

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/٣٦٢).

ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، قال الطبري: "وأما الذين اتبعوا المهاجرين الأولين والأنصار بإحسان، فهم الذين أسلموا لله إسلامَهم، وسلكوا منهاجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير"(١).

* وأما من السنة فنذكر من ذلك:

ـ ما روى الشيخان عنْ ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»(٢). وفي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّه ﷺ، قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ»(٣).

ـ وفيهما أيضاً عنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»(٤).

ـ روى الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»(٥).

(١) تفسيره جامع البيان (١٤/٤٣٧).
(٢) صحيح البخاري (٣/١٧١ ـ ٢٦٥٢)، [باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد]، كتاب الشهادات، ومسلم (٤/١٩٦٣ ـ ٢٥٣٣)، كتاب الفضائل.
(٣) صحيح البخاري (٤/١٨٩ ـ ٣٥٥٧)، [باب صفة النبي ﷺ]، كتاب المناقب.
(٤) صحيح البخاري (١/١٢ ـ ١٧)، [باب علامة الإيمان حب الأنصار]، كتاب الإيمان، ومسلم (١/٨٥ ـ ٧٤)، كتاب الإيمان.
(٥) صحيح البخاري (٥/٨ ـ ٣٦٧٣)، [باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلا]،=

※ لذا فعلامة أهل الضلال والزندقة عند أهل السنة الوقيعة في الصحابة أفضل الخلق بعد النبيين:

ـ قال الإمام أحمد عمن شتم رجلاً من الصحابة: "ما أراه إلا متهماً على الإسلام"(١).

ـ وقال الحافظ أبو زرعة الرازي: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول ﷺ"(٢).

ـ وقال الطحاوي: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"(٣).

※ **م السادسة:** قوله "**ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين**". ذكر المصنف معاوية رضي الله عنه خاصة لما اشتهر عن الخوارج والنواصب والرافضة من سبه والقدح في ولايته، ولذا فمعاوية رضي الله عنه عند أهل السنة والجماعة جمع فضائل عديدة:

١ ـ أنه رضي الله عنه من أصحاب النبي ﷺ الذين قال ﷺ فيهم: «لَا تَسُبُّوا

= كتاب أصحاب النبي ﷺ، ومسلم (١٩٦٧/٤ ـ ٢٥٤٠)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

(١) مسائل ابنه عبد الله (ص: ٤٣١).

(٢) انظر: الكفاية للخطيب (ص: ٩٧).

(٣) الطحاوية (ص: ٨١).

أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ». وهو من خير القرون الذي قال فيهم ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»؛ ولذا قيل للإمام أحمد: "أيما أفضل معاوية، أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: معاوية أفضل، لسنا نقيس بأصحاب رسول الله ﷺ أحدًا، قال النبي ﷺ: (خير الناس قرني الذي بعثت فيهم) "[1].

٢ ـ أنه من كتاب الوحي المؤتمنين بين يدي رسول الله: وما كان النبي ﷺ ليجعله كذلك لولا أمانته وثقته به، فقد روى الإمام أحمد وغيره عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ له: «اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ: وَكَانَ كَاتِبَهُ، فَسَعَيْتُ فَأَتَيْتُ مُعَاوِيَةَ، فَقُلْتُ: أَجِبْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُ عَلَى حَاجَةٍ»[2].

(١) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (٢/٤٣٤).

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠١٠ ـ ٢٦٠٤)، وأحمد (٤/٥٠ ـ ٢١٥٠)، (٤/٣٩٧ ـ ٢٦٥١)، (٥/٢١٧ ـ ٣١٠٤)، وأبو عوانة في مستخرجه (٢٠/٥٠ ـ ١١٣٦٣)، والآجري في الشريعة (٥/٢٤٥٣ ـ ١٩٣٧)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/٢٩٩)، من طرق عن أبي حمزة القصاب عن ابن عباس رضي الله عنهما به، إلا أن مسلماً لم يذكر "وكان كاتبه" ولفظه: "قال: فجئت فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: (اذهب فادع لي معاوية) قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: (لا أشبع الله بطنه) ". وأبو حمزة ضعفه جماعه، وذكر العقيلي الحديث في ترجمته، وقال: "لا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلا به". قلت: احتج به مسلم، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/١٦٤): "وفي أبي حمزة القصاب ـ واسمه عمران بن أبي عطاء ـ كلام من بعضهم لا يضره، فقد وثقه جماعة من الأئمة منهم أحمد وابن معين وغيرهما، ومن ضعفه لم يبين السبب، فهو جرح مبهم غير مقبول، وكأنه لذلك احتج به مسلم، وأخرج له هذا الحديث في صحيحه من طريق شعبة عن أبي حمزة القصاب به. وأخرجه أحمد عن شعبة وأبي عوانة عنه به، دون قوله: (لا أشبع الله بطنه) وكأنه من اختصار أحمد أو بعض شيوخه، وزاد في رواية: (وكان كاتبه) وسندها صحيح. وقد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعنا في معاوية رضي الله عنه، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك، كيف وفيه أنه كان=

وروى البزار والطبراني عن عبد الله بن عمرو ﵄ قال: «إن معاوية كان يكتبُ بين يَدَي النَّبِيِّ ﷺ»[(١)]. لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "استَكْتَبَه النبي ﷺ لِخِبْرَتِه وأمانته"[(٢)].

٣ ـ أنه خال المؤمنين أخته أم حبيبة زوج النبي ﷺ: وكل صهر ينقطع يوم القيامة إلا صهر النبي ﷺ، لذا سئل الإمام أحمد: "فقيل له: أليس قال النبي ﷺ: (كل صهر ونسب ينقطع إلا صهري ونسبي)؟ قال: بلى، قلت: وهذه لمعاوية؟ قال: نعم له صهر ونسب"[(٣)]. وقيل للإمام أحمد أيضاً: "ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسيف غصبًا؟ قال أبو عبد الله: هذا قول سوء

= كاتب النبي ﷺ؟! ولذلك قال الحافظ ابن عساكر: "إنه أصح ما ورد في فضل معاوية"، فالظاهر أن هذا الدعاء منه ﷺ غير مقصود، بل هو ما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقوله ﷺ في بعض نسائه (عقرى حلقى) و(تربت يمينك)".

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/٥٥٤ ـ ١٤٤٤٦)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/٩٨ ـ ١٩٥)، وابن حيويه في الخامس من مشيخته (٦ ـ ٥)، من طريق أبي عوانة وتَلِيدُ بن سُلَيمان، عن الأعمش، عن عَمرو بن مُرَّة، عن عبد الله بن الحارث، عن زُهَير بن الأقْمَر، عن عبد الله بن عَمرو ﵄؛ وإسناد أبي عوانة جيد، قال الهيثمي مجمع الزوائد (٩/٣٥٧ ـ ١٥٩٢٤): "رواه الطبراني، وإسناده حسن". إلا أن البزار في البحر الزخار (٦/٤٥١ ـ ٢٤٩١)، والآجري في الشريعة (٥/٢٤٥٢ ـ ١٩٣٦) روياه من طريق عبد الرحمن بن حميد الرؤاسي ـ وهو ثقة ـ عن الأعمش بإبدال زهير بن الأقمر بعبد الله ابن مالك الزبيدي، وهو وهم ـ فيما يظهر لي ـ فالحديث لزهير بن الأقمر أبو كثير الزبيدي كما قرره الخطيب في "الموضح"، يروي عنه عبد الله الحارث الزبيدي، وهو يروي عن عبد الله بن عمرو ﵄.

(٢) منهاج السنة (٤/٤٣٩).

(٣) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (٢/٤٣٢).

رديء، يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون، ونبين أمرهم للناس"(١).

٤ ـ أنه فترة ملكه كانت رحمة على المسلمين: حيث سمي عام حكمه عام الجماعة، ولم يزل الإسلام عزيزًا منيعاً في عصره؛ لذا روى الطبراني بإسناده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄: أنه ﷺ قال: «أَوَّلُ هَذَا الأمْرِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا وَرَحْمَةً»(٢). وهو كذلك أحد الخلفاء الاثني عشر الذين عناهم النبي ﷺ بقوله في الحديث الذي رواه مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﵁: «لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزًا مَنِيعًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً.. كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»(٣). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كانت نبوة النبي ﷺ نبوة ورحمة، وكانت خلافة الخلفاء الراشدين خلافة نبوة ورحمة، وكانت إمارة معاوية ملكًا ورحمة، وبعده وقع ملك عضوض، وكان علي بن أبي طالب ﵁ لما رجع من صفين يقول: لا تسبوا معاوية، فلو قد مات معاوية لرأيتم الرؤوس

(١) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (٢/٤٣٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١/٨٨ ـ ١١١٣٨) من طريق سعيد بن حفص النفيلي، ثنا موسى ابن أعين، عن ابن شهاب، عن فطر بن خليفة، عن مجاهد، عن ابن عباس ﵄ به. قلت: غريب، لكن قال الألباني في الصحيحة (٧/٣٢٧٠): "إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات؛ غير سعيد بن حفص النفيلي، ففيه كلام يسير، وقد وثقه ابن حبان ـ وأخرج له في صحيحه ثلاثة أحاديث ـ، والذهبي. والعسقلاني فقال (؟): صدوق تغير في آخر عمره، وأبو شهاب: هو موسى بن نافع الخياط، ووقع في الأصل: (ابن شهاب)! والتصحيح من المخطوطة وكتب الرجال". قلت: وله شاهد موقوف عند الحاكم (٤/٥٢٠ ـ ٨٤٥٩): عن عمر ﵁، وفيه سعيد بن هبيرة، قال ابن حبان في المجروحين (١/٣٢٧): "يحدث بالموضوعات". وعند نعيم بن حماد في الفتن من طريق آخر عنه (١/٩٩ ـ ٢٣٦)، وفيه سعيد بن سنان الشامي ضعيف عندهم، بل قال الدارقطني في العلل: (٥/٥١): "كان يتهم بوضع الحديث".

(٣) صحيح مسلم (٣/١٤٥٣ ـ ١٨٢١)، كتاب الإمارة.

تندر عن كواهلها. وكان كما ذكره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁"(١).

٥ ـ أنه أفضل الحكام بعد الخلفاء الراشدين: لأنه حكم فعدل وأقام الحدود، ورفع رايات جهاد الكفار، وكان له من الفضل والأمانة وحسن سياسة الرعية ومحبتهم له الشيء الكثير، لذا فضّله أئمة الإسلام على الخليفة العادل عمر بن العزيز ﵀ وحكمه، قيل للإمام أحمد: "هل يقاس بأصحاب رسول الله ﷺ أحد؟ قال: معاذ الله، قيل: فمعاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز؟ قال: إي لعمري، قال النبي ﵁: (خير الناس قرني) "(٢). ولمّا ذكر عند الأعمش عمر بن عبد العزيز وعدله قال: "فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا في حلمه؟ قال: لا والله! بل في عدله"(٣). وقال قتادة: "لو أصبحتم في مثل عمل معاوية، لقال أكثركم: هذا المهدي"(٤)؛ لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة"(٥).

ـ لذا ذم أهل السنة من تعرض له ﵁ بأي نقيصة؛ لأنه من الصحابة ﵃ الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ». قال الإمام أحمد لمن ذكر معاوية ﵁: "ما لهم ولمعاوية؟ نسأل الله العافية، إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء، فاتهمه على الإسلام"(٦). وقال أيضاً فيمن انتقص

(١) جامع المسائل (٥/١٥٤).
(٢) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (٢/٤٣٥).
(٣) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (٢/٤٣٧).
(٤) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (٢/٤٣٨).
(٥) مجموع الفتاوى (٤/٤٧٨).
(٦) انظر: الصارم المسلول (٥٦٨) وأوله عند الخلال في السنة (٢/٤٣٢).

معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما: "إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحد أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ إلا له داخلة سوء. قال رسول الله ﷺ: (خير الناس قرني)"(١).

(١) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (١/٤٤٧).

قال المصنف:

"ويجب هجران أهل البدع والضلال: كالمشبهة والمجسمة، والأشعرية، والمعتزلة، والرافضة، والمرجئة، والقدرية، والجهمية، والخوارج، والسالمية، والكراميّة، وبقية الفرق المذمومة".

انتقل المصنف بعد سياق اعتقاد أهل السنة إلى الواجب تجاه المخالفين لأصول هذا الاعتقاد، مع تسمية بعض الفرق المخالفة:

* م الأولى: قوله: "ويجب هجران أهل البدع والضلال": ذكر المصنف هنا التحذير من المبتدعة الذين أحدثوا البدع في دين الله خاصة بدع الاعتقاد، وفي مبحث البدعة بعض الفروع:

(الفرع الأول): البدعة في اللغة: الاختراع، وهو ما أحدث على غير مثال سابق، كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقوله ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]. وأما في الشرع: فهي ما أحدث في الدين بعد كماله مما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة. ولذا عرفها النبي ﷺ في حديث العرباض رضي الله عنه الذي رواه أصحاب السنن وأحمد، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وسائر علماء الحديث، حين قال ﷺ: «كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1]، وحدّد ضابطها ﷺ حين قال ـ فيما روى الشيخان

(١) خرجه أحمد (٢٨/٣٧٣ ـ ١٧١٤٤)، وأبو داود (٤/٢٠٠ ـ ٤٦٠٧)، والترمذي (٥/٤٤ ـ ٢٦٧٦)، وابن ماجه (١/١٥ ـ ٤٢، ٤٣، ٤٤)، والدارمي (١/٢٢٨ ـ ٩٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/١٧ ـ ٢٦، ٢٧، ٢٨)، وابن حبان (١/١٧٨ ـ ٥)، والآجري في=

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ـ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، ولفظ لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»[(١)].

(الفرع الثاني): في قوله «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ» لطيفة أشار إليها الحافظ النووي، فقال: "قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول: أنا ما أحدثت شيئاً، فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات، سواء أحدثها الفاعل، أو سبق بإحداثها، وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به"[(٢)].

(الفرع الثالث): في قوله ﷺ «كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»، بعد قوله ﷻ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ردٌّ على من قسم البدعة إلى حسنة ومذمومة، أو قسمها إلى محرمة ومباحة، إذا عاد التقسيم إلى الدين، أما إذا كان المراد البدعة اللغوية كمثل إعادة عمر صلاة التراويح جماعة بعد ترك النبي ﷺ

= الشريعة (١/٤٠٠ ـ ٨٦)، والطبراني مسند الشاميين (١/٢٥٤ ـ ٤٣٧) (١/٤٠٢ ـ ٦٩٧)، والحاكم (١/١٧٤ ـ ٣٢٩) (١/١٧٧ ـ ٣٣٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/٣٠٥ ـ ١٤٢)، واللالكائي شرح اعتقاد أهل السنة (١/٨٢ ـ ٧٩)، من طرق عن العرباض رضي الله عنه به. قال الترمذي: "حديث حسن صحيح". وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح ليس له علة"، وذكر ابن عبد البر في الجامع (٢/١١٦٥) أن البزار صححه، ثم قال: "هو كما قال البزار حديث ثابت"، وقال الجورقاني في الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير (١/٤٧٣) "هذا حديث صحيح ثابت مشهور"، قال أبو نعيم (الضعفاء: ٤٦): "هذا حديث جيد صحيح من حديث الشاميين".

(١) صحيح البخاري (٣/١٨٤ ـ ٢٦٩٧)، [باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود]، كتاب الصلح، ومسلم (٣/١٣٤٣ ـ ١٧١٨)، كتاب الأقضية.

(٢) شرح مسلم (١٢/١٦).

فعلها خشية أن تفرض، فالخلاف لفظي، لذا روى حرملة بن يحيى عن الإمام الشافعي أنه قال: "البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم"(١). وروى الربيع عنه أنه قال: "المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما: ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة. والثانية: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة(٢)"(٣). قال ابن رجب: "ومراد الشافعي ﷺ ما ذكرناه من قبل: أن البدعة المذمومة ما ليس لها أصل من الشريعة يرجع إليه، وهي البدعة في إطلاق الشرع، وأما البدعة المحمودة فما وافق السنة، يعني: ما كان لها أصل من السنة يرجع إليه، وإنما هي بدعة لغة لا شرعاً، لموافقتها السنة"(٤).

(الفرع الرابع): البدع قد تكون في العمل وفي الاعتقاد، والبدع الاعتقادية أخطر، وهي أسبق في الأمة من البدع العملية، يعني من حيث الوقوع، فمن البدع الاعتقادية: بدعة القدرية بنفي القدر، وبدعة الخوارج بالتكفير بالكبائر والمعاصي، وبدعة الرافضة بالغلو في آل البيت، وبدعة الإرجاء بإخراج الأعمال من حقيقة الإيمان. وأما البدع العملية فمثل قصد عبادة مشروعة في وقت غير محدد شرعاً؛ كقصد صيام يوم من شعبان بعينه تعبداً، أو غير

---

(١) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/١١٣).

(٢) قال الحافظ ابن حجر بعده (فتح الباري: ١٣/٢٥٣): "فمما حدث تدوين الحديث، ثم تفسير القرآن، ثم تدوين المسائل الفقهية المولدة عن الرأي المحض، ثم تدوين ما يتعلق بأعمال القلوب".

(٣) انظر: مناقب الشافعي للبيهقي (١/٤٦٩).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/١٣١).

مشروعة؛ كبدعة إقامة الاحتفالات في يوم مولد النبي ﷺ.

(الفرع الخامس): يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، ويقول النبي ﷺ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللهُمَّ اشْهَدْ» رواه صاحبا الصحيح عن أبي بكرة رضي الله عنه(١)، فالله أكمل لنا دينه ورضيه لنا، ونبينا ﷺ بلغ البلاغ المبين، فلم يترك شيئاً يقربنا إلى الله إلا دلنا عليه، فأي زيادة على الكمال إنما هي حدث وضلال، كما روى الدارمي والطبراني وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ"(٢): أي أن الله كفاكم إكمال الدين بالكتاب العزيز والسنة المنيفة، فما عليكم إلا الاتباع لا الابتداع، قال الإمام مالك: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾"(٣). لذا فيلزم من هذه

(١) رواه البخاري (٢/١٧٦ ـ ١٧٤١)، [باب الخطبة أيام منى]، كتاب الحج، ومسلم (٣/١٣٠٧ ـ ١٦٧٩)، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات.

(٢) رواه الدارمي (١/٢٨٨ ـ ٢١١)، والمروزي في السنة (٢٨ ـ ٧٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/١٥٤ ـ ٨٧٧٠)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/٣٢٧ ـ ١٧٥)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/٩٦ ـ ١٠٤)، من طريق أبي عبد الرحمن السلمي، عن ابن مسعود رضي الله عنه به. وقد ذكر شعبة أنه لم يسمع من ابن مسعود، لكن قال الإمام أحمد (جامع التحصيل: ٢٠٨): "قول شعبة لم يسمع من ابن مسعود شيئا أراه وهمًا"، وقال الإمام في العلل رواية ابنه عبد الله (١/٥٢٠): "قرأ أبو عبد الرحمن على عبد الله بن مسعود". وله متابعة، فقد رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (٥٦ ـ ١١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/٣٢٧ ـ ١٧٤) بإسناد مسلسل بالحفاظ عن إبراهيم النخعي عن ابن مسعود به رضي الله عنه. ولم يسمع من ابن مسعود، لكن قال العلائي في جامع التحصيل (ص: ١٤١): "وجماعة من الأئمة صححوا مراسيله.. وخص البيهقي ذلك بما أرسله عن ابن مسعود".

(٣) انظر: الاعتصام للشاطبي (١/٦٥).

البدع والمحدثات لوازم:

١ ـ اتهام النبي ﷺ بخيانة الرسالة، وكتمان بعض ما أمر بتبليغه.

٢ ـ الاستدراك على الشارع، حيث فاته شيء يوصل للحق لم يذكره.

٣ ـ المعاندة والمشاقة للشرع، فالمبتدع قد أنزل نفسه منزلة المشرع.

ـ (الفرع السادس): يقول الإمام أحمد: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم"(١)، فمعيار المنهج في العلم والعمل هو ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، وأي عبادة لم يتعبدها الصحابة فهي باطلة، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ويقول ﷺ: «عَلَيْكُم بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاء الرّاشِدِينَ المَهْدِيّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضْوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ». صححه الترمذي وابن حبان والحاكم وسائر علماء الحديث عن العرباض رضي الله عنه(٢). وقَالَ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه فيما روى ابن عبد البر في "جامع بيان العلم": "من كان مِنْكُم متأسيًا فليتأسَ بأصحاب رَسُول الله ﷺ فَإِنَّهُم كَانُوا أبر هَذِه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا وأقومها هَديًا وأحسنها حَالاً، قوم اخْتَارَهُمْ الله لصحبة نبيه وَإِقَامَة دينه، فاعرفوا لَهُم فَضلهمْ، واتبعوهم فِي آثَارهم فَإِنَّهُم كَانُوا على الْهدى الْمُسْتَقيم"(٣). لذا قال

(١) أصول السنة (ص: ١٤).

(٢) تقدم تخريجه قريباً في المسألة الأولى عند حديث العرباض رضي الله عنه بلفظ: «كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، صححه الترمذي والحاكم والبزار وابن عبد البر والجورقاني وأبو نعيم.

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٤٧ ـ ١٨١٠)، والهروي في ذم الكلام=

شيخ الإسلام عند قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: "فرضي عن السابقين الأولين رضًا مطلقًا، ورضي عن التابعين لهم بإحسان"(١). وقال ابن كثير في تفسير الآية: "فالتابعون لهم بإحسان: المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة"(٢).

* م الثانية: قوله: "**ويجب هجران أهل البدع والضلال**": لا شك أن هجر أهل البدع وغيرهم أصل من أصول اعتقاد أهل السنة، وهو من باب الوسائل لمنع انتشار بدعتهم، أو ردعهم لعلهم يتوبون، وهو داخل تحت باب "الولاء والبراء". فمن تمام الموالاة لله ﷻ ولرسوله ﷺ البراءة من أهل البدع والأهواء، وزجرهم بالهجر ونحوه، جاء ذلك في القرآن والسنة:

= وأهله (٤/٢٨٨ ـ ٧٤٦) من طريق قتادة عن ابن مسعود رضي الله عنه به. وذكره التبريزي في مشكاة المصابيح (١/٦٧ ـ ١٩٣)، وقال: "ضعيف.. رواه رزين". قلت: صحيح إلى قتادة، لكنه لم يسمع من ابن مسعود رضي الله عنه فهو منقطع. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٣٠٥) من قول ابن عمر رضي الله عنهما، ولا يصح لأنه من طريق أبي سفيان بن عبد ربه، عن عمر بن نبهان عن الحسن عن ابن عمر، والأول مجهول والثاني ضعيف (انظر: ميزان الاعتدال: ٣/٢٢٧، ٤/٥٣٢). وقد جاء بإسناد أقوى من نفس الوجه من قول الحسن نفسه، رواه الآجري في الشريعة (٤/١٦٨٥ ـ ١١٦١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٤٦ ـ ١٨٠٧). وقد احتج الأئمة بقول ابن مسعود رضي الله عنه في بابه، فقد ذكره البغوي في منهاج السنة (١/٢١٤)، وقوام السنة في الحجة في بيان المحجة (٢/٥١٩ ـ ٤٩٨) مجزوماً دون إسناد. قال شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية (٢/٧٩): "وقول عبدالله بن مسعود: كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً؛ كلام جامع بيّنَ فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب وبين فيه كمال المعرفة ودقتها بعمق العلم، وبين فيه تيسر ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف".

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٢٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/٧٣).

ـ أما القرآن: فقول الله تبارك تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقوله تعالى ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].

ـ وأما السنة: فقد روى الشيخان قصة هجر النبي ﷺ والمسلمين لكعب ابن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم لما تخلفوا عن غزوة تبوك خمسين ليلة، فلم يجالسوهم ولم يكلموهم ولم يردوا عليهم سلاماً، بل أمر ﷺ بأن تعتزلهم زوجاتهم، فكان حالهم مع هذا الهجر كما وصفه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٨] (١).

ـ وأما ما جاء عن الصحابة: فقد روى الدارمي وغيره عن عمر رضي الله عنه: أنه أمر المسلمين بهجر صبيغ العراقي، ونهى عن مجالسته حتى تاب(٢). قال البغوي في (باب مجانبة أهل الأهواء) بعد ذكره لحديث كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم: "وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد، وكان رسول الله ﷺ خاف على كعب وأصحابه النفاق، حين تخلفوا عن الخروج

(١) رواه البخاري (٦/٧٠ ـ ٤٦٧٧)، [باب: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾]، كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٤/٢١٢٠ ـ ٢٧٦٩)، كتاب التوبة.

(٢) رواه الدارمي في السنن (١/٢٥٢ ـ ١٤٦)، وأبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (٤/٢٤٢): "عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ صُبَيْغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ صُبَيْغٌ، فَأَخَذَ عُرْجُونًا فَضَرَبَهُ، وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ، فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! حسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كنت أَجِدهُ فِي رَأْسِي".

معه، فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم، وعرف رسول الله ﷺ براءتهم، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم، وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم. قال ابن عمر في أهل القدر: أخبرهم أني بريء منهم، وأنهم مني برآء"[(١)].

ـ وقد بين الشاطبي علة الهجر فقال: "فإن توقير صاحب البدعة مظنّة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم: إحداهما: التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنّه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنّة على سنّتهم. والثانية: أنّه إذا وُقِّرَ من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرض له على إنشاء الابتداع في كل شيء، وعلى كل حال؛ فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه"[(٢)]. لكن ينبغي التنبيه هنا على أمرين مهمين في مسألة الهجر:

الأمر الأول: أن الهجر له أحكام مختلفة، فكثير من أهل العلم يقسم الهجر إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: من يجب هجره؛ كصاحب البدعة الداعي إلى بدعته.

ثانيها: من يسن هجره إذا لم نتحقق بهجره من ترك المحرم، فإذا تحقق به كان واجبًا.

ثالثها: من يباح هجره، وهو المقيد بثلاثة أيام فأقل بين المتخاصمين.

---

(١) شرح السنة (١/٢٢٦).
(٢) الاعتصام (١/٢٠٢).

والصحيح أن الهجر لا يفعل إلا إذا تحققت المصلحة؛ لأن الهجر كالدواء إذا لم ينفع فإنه يضر، لذا قال شيخ الإسلام: "فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة، بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر؛ بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف. ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيرًا من أكثر المؤلفة قلوبهم، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير، فكان في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم"(١).

وقال العلامة ابن القيم في قصة الثلاثة الذين خلفوا: "وفيه دليل أيضا على هجران الإمام والعالم والمطاع لمن فعل ما يستوجب العتب، ويكون هجرانه دواء له بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه"(٢).

الأمر الثاني: أن الهجر يختلف باختلاف الأحوال:

١ ـ فتختلف باختلاف البدعة نفسها: من جهة كونها كفراً كبدعة الطواف على القبور تعبداً لأصحابها، أو غير كفر؛ كبدعة القدر والإرجاء. أو كونها بدعة ظاهرة بينة؛ كبدعة التجهم، أو مشكلة لوجود دليل منسوخ أو ضعيف يدل عليها؛ كبدعة القنوت في صلاة الفجر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٦).
(٢) زاد المعاد (٣/٥٧٨).

المبتدع الباقي على إسلامه: "وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة: استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا"(١).

٢ ـ كما تختلف باختلاف مبتدعها هل هو داعية أو مستترٌ بها، وكذا من جهة كونه مجتهداً أو مقلداً، وكذا من جهة كونه مصراً عليها أو هي زلة وفلتة، وكذا من جهة مكانته إذا كان عالماً عرف بالسنة ودخلت عليه بدعة من مشايخه وأبناء بلده، وآخر يعيش بين أهل السنة وفي بلادهم، وينافح عن البدعة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأما من كان مستترًا بمعصية أو مُسرًّا لبدعة غير مكفرة، فإن هذا لا يهجر، وإنما يهجر الداعي إلى البدعة؛ إذ الهجر نوع من العقوبة، وإنما يعاقب من أظهر المعصية قولاً أو عملاً، وأما من أظهر لنا خيرًا فإنا نقبل علانيته ونكل سريرته إلى الله تعالى، فإن غايته أن يكون بمنزلة المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله لما جاءوا إليه عام تبوك يحلفون ويعتذرون. ولهذا كان الإمام أحمد وأكثر من قبله وبعده من الأئمة كمالك وغيره لا يقبلون رواية الداعي إلى بدعة ولا يجالسونه بخلاف الساكت"(٢).

٣ ـ كما تختلف باختلاف حال الهاجر ومكان وجوده: من جهة كونه قوياً في الدين فيؤاخذ، أو ضعيفاً فيه لا قدرة له على الهجر، وكذا من جهة المكان بكونه في بلد كثرت فيها البدع والغلبة لأهلها، فلا يشرع الهجر لعدم

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/١٧٥).

حصول المقصود الشرعي منه، بل يسلك مسلك التأليف، قال شيخ الإسلام: "وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله"(١).

* م الثالثة: قوله: "**كالمشبهة والمجسمة**": بدأ المصنف بذكر من يجب هجرهم من أهل البدع، فذكر المشبهة والمجسمة، وفيه فروع:

ـ **(الفرع الأول)**: في إطلاق لفظ الجسم: تقدم لنا عند قول المصنف "**لا يشبهه شيء، ولا نشبه صفاته ولا نكيفه، ولا يكيف صفاته وَهَمٌ**": أن أهل السنة يثبتون ما أثبته الله ﷻ لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من أسماء وصفات الكمال الحقيقية اللائقة بجلاله ﷻ، لكن من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل؛ لأن الله تعالى ابتدأ بقطع مادة التكييف والتمثيل التي قد تطرأ على الذهن، فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾، ثم ثنى بقطع مادة التعطيل والتحريف فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. والمعطلة تطلق على أهل السنة والجماعة الذين يثبتون أسماء الله وصفاته على هذا الوجه السلفي مجسمة، وهذا باطل لأن أهل السنة لا يثبتون لله لفظ "الجسم"، لذا ينبغي الحذر عند إطلاق هذا اللفظ بأن نتحقق من مراد وقصد قائله: هل قصده طائفة المجسمة الضُّلَّال؟ أم قصده طائفة أهل السنة المثبتة للصفات على ما يليق بجلاله تعالى؟

ـ **(الفرع الثاني)**: نبز أهل السنة بالمجسمة والرد عليه: تقدم لنا بتوسع عند قول المصنف: "**التشبيه في الجسم**": وأن منهج أهل السنة الاعتصام

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٦).

بالألفاظ الشرعية الواردة في هذا الباب نفيًا وإثباتًا، والتوقف في الألفاظ التي لم يرد نص بذكرها نفيًا ولا إثباتًا كلفظ الجسم، والتجسيم، ونحو ذلك، والاستفصال عن مراد من أطلقها؛ فإن كان المعنى الذي أراده صحيحًا قبل، وإن كان معنى باطلاً، لم يقبل؛ لأننا إن أثبتناه بلا دليل أوهم التشبيه، وإن نفيناه بلا دليل أوهم التعطيل، وتقدم نقل عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عن أهل السنة: أن من نفى الجسم بدَّعوه، وقد نفاه الجهمية والمعتزلة تعطيلاً، ومن أثبته بدَّعوه، وقد أثبته المشبهة تشبيهاً. أما أهل السنة فلا يثبتونه ولا ينفونه، وإنما يقتصرون على ما أثبته الله ﷻ ورسوله ﷺ من الأسماء والصفات(١).

ـ **(الفرع الثالث)**: النشأة: إن المشبهة والمجسمة ليسوا فرقة متميزة بهذا الاسم، بل هي مقالة ينتحلها فرق ضالة مبتدعة مختلفة الأسماء والضلالات تشبّه الله في صفات الأفعال أو صفات الذات، وهم كما قال المصنف نوعان:

١ ـ فالمشبِّهة: هم الذين يشبهون صفات الله بصفات خلقه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، كالزرارية، أتباع زرارة بن أعين الرافضي الذي يزعم ـ تعالى الله عن ذلك ـ أن جميع صفات الله من جنس صفاتنا، فيقول أحدهم: لله سمع كسمعي، ويد كيدي(٢). وكالمعتزلة البصرية الذين شبهوا كلام الله ﷻ بكلام خلقه فزعموا ـ تعالى الله عن ذلك ـ أن كلام الله تعالى أصوات وحروف من جنس أصوات وحروف العباد. وقالوا هم والكرامية بتشبيه إرادة

(١) مؤلفات الشيخ (١٣٢/٦).
(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢١٨). مقالات الإسلاميين (ص: ٣٦).

الله بإرادة خلقه، فجعلوها ـ تعالى الله عن ذلك ـ من جنس إرادتهم[(١)].

٢ ـ المجسِّمة: الذين يقولوا إن الله جسم كالأجسام المحدثة: كالهشامية أتباع هشام بن سالم الجواليقي الرافضي[(٢)]، والهشامية أتباع هشام بن الحكم الرافضي[(٣)]، والبيانية أتباع بيان بن سمعان[(٤)]، والمغيرية أتباع المغيرة بن سعيد العجلي[(٥)]، وكلهم يصورون الله بالجسم المخلوق، بأوصاف تشمئز منها آذان المؤمنين، ذكرها أصحاب "كتب الفرق"، فمنهم من يقول: إن معبوده ـ تعالى الله عن ذلك ـ نورٌ على صورة وأعضاء إنسان. ومنهم ـ تعالى الله عن ذلك ـ من يجعل أعضاءه على حروف الهجاء. ومنهم ـ تعالى الله عن ذلك ـ من يجعل نصفه الأعلى مجوفاً والأسفل مصمتاً. ومنهم ـ تعالى الله عن ذلك ـ من يحدد طوله وعرضه بسبعة أشبار.

ـ **(الفرع الرابع)**: حكم التشبيه: تقدم أن من شبه الله بخلقه في صفة من صفات الذات أو صفات الأفعال فقد كفر بإجماع الأمة؛ لأنه تكذيب للقرآن في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، فليس له مثيل ولا شبيه ولا سميٌّ ولا ندٌّ، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، قال نعيم بن حماد الخزاعي: "من شبه الله بخلقه كفر"[(٦)]. ولهذا يقول

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٥٢، ٢٠٦).
(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢١٦). مقالات الإسلاميين (ص: ٣٤).
(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٤٧). مقالات الإسلاميين (ص: ٣١).
(٤) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢١٤). مقالات الإسلاميين (ص: ٥، ٢٥).
(٥) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢٢٩). مقالات الإسلاميين (ص: ٦).
(٦) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥٨٧/٣).

العلماء: المشبه يعبد صنماً، والممثل يعبد عدماً، والموحد يعبد إلهاً واحداً فرداً صمداً، لذا قال ابن القيم في نونيته:

"لسنا نشبه وصفه بصفاتنا إن المشبه عابد الأوثان"[١]

※ م الرابعة: قوله: "والأشعرية": أي يجب اجتناب وهجر الأشعرية المبتدعة، وهم أتباع أبي الحسن الأشعري الذي كان أول أمره معتزلياً أربعين سنة على طريقة الجبائي، ثم تحول إلى مذهب عبد الله بن كلاب، الذي يثبت الصفات الذاتية وينفي الصفات الفعلية؛ بحجة أنها حادثة والله قديم فلا يمكن أن يكون مكاناً للحوادث. ثم انتشر مذهب أبي الحسن الأشعري في هذا الطور بسبب انتحاله من قبل علماء كبار كالباقلاني والجويني والرازي، مع أن أبا الحسن الأشعري تحول في طوره الثالث إلى معتقد أهل السنة والجماعة، فتقلد في هذا الطور الرد على المعتزلة والجهمية[٢]، وإن علق به شيء بقي من مذهب الكلابية[٣]، لكنه قد نص في هذا الطور أنه صار يعتقد

(١) الكافية الشافية (ص: ٢٠٢).

(٢) قال القاضي محمد بن درباس المصري الشافعي (٦٥٩هـ) في رسالته "الذب عن أبي الحسن الأشعري ــ ص١٠٧) ": (فاعلموا معشر الإخوان... بأن كتاب "الإبانة عن أصول الديانة" الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده، وبما كان يدين الله ﷻ بعد رجوعه عن الاعتزال بمن الله ولطفه". وانظر: مجموع الفتاوى (٢٢٨/٣)، وكتاب العرش للذهبي (ص٣٠٢).

(٣) ذكر شيخ الإسلام موافقة أبي الحسن الأشعري للمعتزلة في مسألة الكلام والرؤية والصفات الخبرية فابتلي بطائفتين تكذب عليه: طائفة تبغضه وطائفة تحبه، ثم قال (مجموع الفتاوى: ٢٠٤/١٢): "فلما كان في كلامه شوب من هذا وشوب من هذا: صار يقول من يقول إن فيه نوعا من التجهم. وأما من قال: إن قوله قول جهم فقد قال الباطل، ومن قال: إنه ليس فيه شيء من قول جهم فقد قال الباطل، والله يحب الكلام بعلم وعدل".

عقيدة أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة، وأثبت ذلك في كتبه: "مقالات الإسلاميين"، و"الإبانة عن أصول الديانة"، و"رسالة إلى أهل الثغر"؛ كقوله في كتابه "الإبانة عن أصول الديانة"(١): "فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافعة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا ﷻ، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم"(٢).

ومن التعصب للباطل أن الذين اتبعوه في مذهبه الكلابي في طوره الثاني

---

(١) قال ابن عساكر عن كتاب "الإبانة" (كتاب تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري ـ ص: ٣٨٩): "ولم يزل كتاب الإبانة مستصوبًا عند أهل الديانة، وسمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشار البوشنجي المعروف ـ بالخر كردي ـ الفقيه الزاهد، يحكي عن بعض شيوخه: أن الإمام أبا عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري قال: ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا وبيده كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري ويظهر الإعجاب به". وقال عن أصحاب الأشعري (ص: ٣٨٨): "هم يعتقدون ما فيها أشد اعتقاد، ويعتمدون عليها أشد اعتماد، فإنهم بحمد الله ليسوا معتزلة ولا نفاة لصفات الله معطلة، لكنهم يثبتون له سبحانه ما أثبته لنفسه من الصفات ويصفونه بما اتصف به في محكم الآيات وبما وصفه به نبيه ﷺ في صحيح الروايات".

(٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٢٠).

بقوا مصرين على مذهبه حتى بعد رجوع إمامهم عن غالبه[١].

وقد خالف الأشاعرة أهل السنة وضلوا في أبواب من المعتقد تقدم تقريرها عند أهل السنة، منها:

١ ـ تقديم العقل على النقل: فإذا تعارضت الدلائل العقلية مع الدلائل النقلية الصحيحة قدموا الدلائل العقلية: لذا فهم إما أن يقولوا: ظاهرها غير مراد بل مؤولة، أو أن يقولوا: نفوض العلم بها إلى الله تعالى.

٢ ـ معطلة لأكثر الصفات: فهم يثبتون سبع صفات دل عليها العقل: وهي الحياة والكلام والبصر والسمع والعلم والقدرة والإرادة؛ لذا عُدُّوا من مثبتة الصفات. لكنهم لا يثبتونها كإثبات أهل السنة، فهم يثبتون ـ على سبيل المثال ـ كلام الله على أنه معنى قائم في نفسه بلا حرف ولا صوت، والحروف والأصوات التي منها القرآن هي عبارة عن هذا المعنى القائم بالذات.

٣ ـ جبرية في الأفعال: فأفعال العباد عندهم مخلوقة لله، وهي كسب لهم، ولهم قدرة غير مؤثرة، ولذا فهم ينكرون الأسباب، ويثبتون الإرادة الكونية دون الإرادة الشرعية.

٤ ـ مرجئة في الإيمان: فهم يقولون: إن الإيمان هو التصديق القلبي المجرد، فأخرجوا بذلك قول اللسان وعمل القلب والجوارح من الإيمان[٢].

(١) انظر رسالة الماجستير "شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة" لخليل الموصلي.

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود، والأشاعرة في ميزان أهل السنة لأخينا الشيخ فيصل الجاسم.

※ م الخامسة: قوله: "**والمعتزلة**": أي يجب هجر المعتزلة، وفيه فروع:

ـ (الفرع الأول): النشأة: فرقة المعتزلة ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، وتنتسب لواصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري فخالفه في الفاسق المؤمن، حين ظهر أمر الفتن والقتال بين المسلمين، فكفرت الخوارج بالكبيرة، فسئل التابعي الحسن البصري، فقال مقرراً مذهب أهل السنة: (هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته) فقال: واصل: أنا لا أقول: مؤمن ولا أقول كافر، وانضم عمرو بن عبيد لمجلسه، فصار لهم أتباع فقيل: هؤلاء المعتزلة. ثم تفرق المعتزلة بعد ذلك إلى عشرين فرقة يكفر بعضها بعضاً، ذكرها البغدادي بأسمائها في كتابه "الفرق بين الفرق".

ـ (الفرع الثاني): بقاء عقيدتهم: على الرغم من اندثار فرقة المعتزلة كجماعة متميزة معلومة كبقاء الرافضة مثلاً، إلا إن كثيراً من مبادئها انتقلت إلى فرق أخرى لا تزال موجودة كالإباضية، والرافضة، والزيدية، والمدرسة العقلانية المعاصرة؛ بسبب أن مذهب المعتزلة يقدم العقل على النقل، وأهل البدع على اختلاف طوائفهم استغلوا هذا التأصيل والتفصيل للمعتزلة لرد أدلة الكتاب والسنة التي تخالف عقائدهم.

ـ (الفرع الثالث): الأصول: بالرغم من أن أصل ضلال المعتزلة: هو أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن، بل في منزلة بين المنزلتين، ولكن تطور مذهبهم حتى صار يقوم على خمسة أصول أقاموها مقام أصول الإيمان الستة، ومع ذلك فهم يوافقون فيها أهل السنة بالمسميات ويخالفونهم في حقيقتها الشرعية، وهي:

١ ـ العدل: وينفذون من خلاله لبدعتهم في القدر: بأن الله لم يخلق أفعال العباد، بل هم الخالقون لأفعالهم وأكسابهم، لذا فهم ينفون حتى الإرادة الكونية في أفعال العباد، فكل ما لم يأمر به الله أو لم ينه عنه من أعمال العباد فهو لم يشأ شيئاً منها.

٢ ـ التوحيد: وينفذون من خلاله لتعطيل أسماء الله تعالى وصفاته، فهم ينفون جميع صفات الله، ولا يثبتون إلا أسماء مجردة دون معانٍ. ولذا فمن توحيدهم اتفاقهم على القول بخلق القرآن. والقول باستحالة رؤية الله تعالى بالأبصار مطلقاً حتى في الآخرة، بل بعضهم ينفي رؤيته لغيره ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ.

٣ ـ المنزلة بين المنزلين: وينفذون من خلالها للقول بأن الفاسق الملي في الدنيا يكون بين منزلتين، فلا هو مسلم كما يقول أهل السنة والجماعة، ولا كافر كما تقول الخوارج، وفي الآخرة هو مخلد في النار.

٤ ـ الوعد والوعيد: وينفذون من خلاله للقول بخلود العصاة في النار؛ لأنهم يقولون: لا بد أن ينفذ الله وعيده.

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وينفذون من خلال "الأمر بالمعروف" لإلزام الناس باعتقاداتهم؛ كما فعلوا في زمن الإمام أحمد بإلزام الناس بالقول بخلق القرآن. وينفذون من خلال "النهي عن المنكر" للقول بالسيف على الأمة، ووجوب الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي[١].

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٥٠)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٩٣)، والفصل في الملل (٤/١٤٦).

* م السادسة: قوله: "**والرافضة**": أي يجب على السني اجتناب وهجر الرافضة المبتدعة وطريقتهم، وفيه فرعان:

- **(الفرع الأول)**: النشأة: الرافضة في أول أمرهم كانوا ممن يتشيعون لعلي رضي الله عنه بتفضيله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما دون طعن، ثم تطور أمرهم إلى أن طعنوا في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ورفضوا الثناء عليهما لما طلبوا من زيد بن علي بن الحسين الذي بايعوه بالكوفة أن يتبرأ منهما فأبى، فتفرقوا عنه ورفضوه، وهنا انشقت الرافضة عن باقي فرق الشيعة كالزيدية، وتميزت بمسماها وعقيدتها، وكان ذلك في سنة (١٢١هـ)، ومن ثم استعمل قديماً عند السلف لقب الرافضة في كل من أجاز الطعن في الصحابة رضي الله عنهم. ثم افترقت الرافضة بعد زمن إلى إمامية وكيسانية وغلاة، وافترقت الإمامية خمس عشرة فرقة ذكرها البغدادي في "الفرق بين الفرق"[(١)].

- **(الفرع الثاني)**: الأصول: بقي وصف الرافضة علماً على الطائفة المعروفة التي رد شيخ الإسلام ابن تيمية على عقائدها بكتابه العظيم "منهاج السنة"، وقال عنهم فيه: "والله يعلم، وكفى بالله عليماً ليس في جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام ـ مع بدعة وضلالة ـ شرّ منهم، لا أجهل ولا أكذب ولا أظلم، ولا أقرب إلى الكفر والفسوق والعصيان، وأبعد عن حقائق الإيمان منهم"[(٢)]. ومن عقائد الإمامية الرافضة التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وسائر الأمة:

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢٢).
(٢) (١٦٠/٥).

١ ـ عقيدة البداء لله تعالى، وهي نسبتهم الجهل لله، وعدم علمه بالعواقب والمصالح إلا بعد وقوعها، حتى قال قائلهم في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ [الأعراف: ١٤٢]: كان في العلم والتقدير ثلاثين ليلة، ثم بدا لله فزاد عشراً، فتم ميقات ربه الأول والآخر أربعين ليلة.

٢ ـ عقيدة تحريف القرآن: فأوائلهم كانوا يعتقدون أن القرآن لا خالق ولا مخلوق[(١)]، والآخرون منهم يعتقدون أن القرآن الكريم الموجود اليوم بين دفتي المصحف حرفه الصحابة رضي الله عنهم[(٢)]، وقد نقل إجماعهم على تحريف القرآن كبار علمائهم كالمفيد في كتاب "أوائل المقالات"، والطبرسي في كتاب "فصل الخطاب"، إلا أربعة ذكرهم، واعتذر عنهم بأن الذي حملهم على ذلك التقية التي لا يقوم دينهم إلا عليها[(٣)].

٣ ـ عقيدة الإمامة والأئمة: فهم يعتقدون أنه لا يتم إيمان المرء إلا باعتقاد إمامة الأئمة الاثني عشر الذين غلوا فيهم غلواً يتجاوز كل حد، فأخرجوهم من البشرية إلى منزلة رب البرية، فوصفوهم بصفات الربوبية من

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٥٠).

(٢) قال ابن حزم في الفصل في الملل (٤/١٣٩): "ومن قول الإمامية كلها قديمًا وحديثًا أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير".

(٣) قال محمد بن النعمان الملقب بالمفيد في (أوائل المقالات: ص٥٢) عن الإمامية: "واتفقوا على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه بموجب التنزيل". وقال (ص: ٩٣): "إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم باختلاف القرآن وما أحدثه بعضهم فيه من الحذف والنقصان". وانظر: كتاب فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسي (ص: ١٢٤)، والأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري (٢/٣٥٧).

العلم والقدرة والرزق وغير ذلك، وهم عندهم معصومون من كل الذنوب والخطايا، لا يجوز عليهم سهو ولا نسيان. لذا فعقيدة الإمامة عند الرافضة ـ في الحقيقة ـ عبادة لهؤلاء الأئمة من آل البيت، فهم يدعونهم من دون الله، ويشركون بهم في ربوبية الله وألوهيته.

٤ ـ عقيدتهم في الصحابة: فهم يعتقدون كفر الصحابة رضي الله عنهم وردتهم إلا نفراً يسيراً منهم على خلاف في هذا اليسير، وهذه العقيدة محل إجماعهم، ومن أظهر عقائدهم وأوضحها لشدة بغضهم وحقدهم على الصحابة رضي الله عنهم، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله، ولا يتم الإيمان إلا بالتبرؤ منهم ولعنهم، ويخصون الخلفاء الثلاثة: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم.

٥ ـ عقيدة الرجعة: فهم يعتقدون برجعة بعض الأموات بعد موتهم إلى الدنيا، وذلك في زمن خروج مهديهم المزعوم، والقصد من ذلك هو إظهار النصر للأئمة ومواليهم، والانتقام من أعدائهم، وممن يرجع عندهم للعذاب بزعمهم أبو بكر وعمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم.

٦ ـ عقيدة التقيّة: وهي تحتل مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة من دينهم. ولهم في فضلها مبالغات كبيرة حتى قالوا: إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له. وهم يحتاجون لهذه العقيدة لكتم عقائدهم الفاسدة التي لا يقبلها سائر أهل القبلة ـ أهل السنة وغيرهم ـ كالقول بتحريف القرآن، وتكفير الصحابة رضي الله عنهم[(١)].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٤٤)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢٢)، والفصل في الملل (٤/١٣٨). وانظر: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (الدرر السنية: ٦/١٢٢).

※ م السابعة: قوله: "والمرجئة": أي يجب اجتناب وهجر المرجئة، والمرجئة ليسوا جماعة محددة ومتميزة، لكن الإرجاء عقيدة لبعض الفرق المعروفة، فأهل السنة والجماعة يقولون: إن الإيمان هو اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، لا يجزئ أحدها عن الآخر، وخالفهم في هذا الباب طوائف من المرجئة، مختلفة في الضلال، والبعد عن السنة، لكن يجمعهم اعتقاد إرجاء العمل عن الإيمان؛ لظنهم أن الإيمان كل لا يتبعض ولا يتجزأ، إما أن يبقى جميعاً أو يذهب جميعاً:

(الطائفة الأولى الجهمية): والإيمان عندهم هو المعرفة فقط، فإذا عرف الله بقلبه فهو مؤمن، وإن أظهر الكفر بلسانه وعبد الوثن، ولازم ذلك عندهم إيمان إبليس وفرعون لأنهم عرفوا الله؛ لذا فالجهمية أضل طوائف المرجئة، ولذا كفرهم أئمة السلف دون باقي طوائف المرجئة.

(الطائفة الثانية الكرامية): والإيمان عندهم مجرد قول باللسان، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، لكنهم يجعلون التصديق من لوازم الإيمان، فإذا كان مكذباً بقلبه فهو كافر مخلد في النار، فيجمعون له بين كمال الإيمان والخلود في النار، وهذا من أعظم التناقض.

(الطائفة الثالثة الأشاعرة): والإيمان عندهم مجرد تصديق القلب، فإذا صدق بقلبه فهو مؤمن ولو لم يعمل بقلبه أو جوارحه، لكنهم يقولون: إن للإيمان لوازم إذا ذهبت دل على عدم تصديق القلب.

(الطائفة الرابعة مرجئة الفقهاء): والإيمان عندهم قول باللسان واعتقاد بالقلب دون عمل الجوارح، ولذا فهو عندهم لا يزيد ولا ينقص. لكنهم يقرون

بأن المسلم مطالب بعمل الجوارح متوعد على تركها يوم القيامة، ولذا فمرجئة الفقهاء أقرب هذه الطوائف لأهل السنة بعد مرجئة أهل الحديث.

(الطائفة الخامسة مرجئة أهل الحديث)(١): والإيمان عندهم قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. لكنهم صححوا الإيمان بدون وجود أعمال الجوارح؛ لكونها عندهم شرطًا للكمال الواجب أو المستحب، وقصروا ركنية العمل على عمل القلب أو عمل اللسان(٢). والسلف يرون أن عمل اللسان والقلب داخلان في قولهم: "الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب"، أي قول وعمل اللسان وقول وعمل القلب، أما الركن الثالث فهو مقتصر على عمل الجوارح الذي هو ركن كذلك

---

(١) قال شيخنا العلامة صالح بن فوزان الفوزان في (التعليق المختصر على القصيدة النونية: ٦٤٨/٢): "وهناك فرقة خامسة ظهرت الآن، وهم الذين يقولون: إن الأعمال شرط في كمال الإيمان الواجب أو الكمال المستحب". وفي كتابي المسمى "أقوال ذوي العرفان بأن أعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان" الذي كتبته عند ظهور قرن هذه البدعة وطبع عام ١٤٢٥هـ، قلت (ص: ٤١): "قول محدث في مسألة الإيمان: وفي عصرنا هذا مع الأسف وجد قول غريب محدث من قبل بعض أهل السنة السلفيين، خالفوا فيه أهل السنة في باب العمل ومنزلته من الإيمان، فجمع قائلوه بين مذهب الجماعة ومذهب مرجئة الفقهاء؛ حين نصوا على إدخال العمل في حقيقة الإيمان كما هو قول الجماعة، ثم تناقضوا بإخراجه؛ حين أثبتوا إمكان وجود إيمان في القلب ولو لم يظهر أي عمل على الجوارح".

(٢) قال الإمام أحمد (كما في السنة لأبي بكر الخلال: ٥٧٠/٣): "وقد حكي عن شبابة قول أخبث من هذه الأقاويل، ما سمعت مثله. قال: قال شبابة: إذا قال فقد عمل. قال: الإيمان قول وعمل كما يقولون، فإذا قال فقد عمل بجارحته، أي بلسانه، فقد عمل بلسانه حين تكلم.. هذا قول خبيث ما سمعت أحداً يقول به ولا بلغني". أقول: وأنا سمعت أحد كبار طلاب العلم المنتسبين لمذهب السلف يقول: إذا جاء بعمل القلب فقد عمل. تشابهت قلوبهم.

لحصول الإيمان[١].

* م الثامنة: قوله: "والقدرية": أي يجب اجتناب القدرية الذين هم نفاة القدر، وتقدم أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله قدر مقادير كل شيء، وأن مراتب القدر عن أهل السنة والجماعة أربع مراتب:

(الأولى): العلم.

(الثانية): الكتابة.

(الثالثة): المشيئة.

(الرابعة): الخلق. وخالف أهل السنة والجماعة في القدر طائفتان:

(الطائفة الأولى): القدرية النفاة، وهم صنفان:

١ ـ غلاة القدرية القدماء الذين وجدوا في عهد الصحابة رضي الله عنهم الذين يقولون: إن الأمر أنف، حيث إنهم ينكرون مرتبتي العلم والكتابة، أي إن الله لا يعلم أفعال العبد إلا بعد وجودها، وينكرون أنه كتبها في كتاب. وهؤلاء تبرأ منهم الصحابة وكفروهم، ففي صحيح مسلم، قيل لابن عمر رضي الله عنهما عمن يَزْعمُ أَن لَا قدر، وَأَن الأَمر أنفٌ، فَقَالَ: "إِذا لقِيت أُولَئِكَ فَأَخْبرهُم أَنِّي بريءٌ مِنْهُم، وَأَنَّهُمْ بُرَآء مني، وَالَّذِي يحلف بِهِ عبد الله بن عمر لَو أَن لأَحَدهم مثل أحدٍ ذَهَبا فأنفقه، مَا قبل الله مِنْهُ حَتَّى يُؤمن بِالْقدرِ"[٢]. وهؤلاء قد انقرضوا.

(١) انظر كتابي (أقوال ذوي العرفان: ص٩٥) المقدمة الخامسة: ففيه نقول وتفصيل يبين أن مراد أهل السنة بالعمل المقرون بقول اللسان واعتقاد القلب هو عمل الجوارح.

(٢) صحيح مسلم (١/٣٦ ـ ٨)، كتاب الإيمان.

٢ ـ القدرية من المعتزلة وغيرهم؛ الذين قالوا: إن العباد فاعلون حقيقة، والله لم يخلق أفعالهم ولا شاءها. لذا فهؤلاء لا ينكرون العلم والكتابة، لكنهم مكذبون بمرتبتي المشيئة والخلق فيما يتعلق بأفعال العباد، لذا قد جاءت تسميتهم بمجوس هذه الأمة في الأحاديث؛ لأن المجوس يقولون: إن للحوادث خالقين واحد للخير، وآخر للشر، والقدرية شابهوهم بإثبات حوادث لم يخلقها الله مثل المعاصي، فكأنهم أثبتوا خالقاً غير الله لأفعال العباد.

(الطائفة الثانية): الجبرية من الجهمية وغيرهم؛ قالوا: إن العباد ليسوا فاعلين حقيقة، لكن أضيف الفعل إليهم من باب التجوز، وإلا فالفاعل حقيقة هو الله. فسلبوا العبد قدرته واختياره، وقالوا: إنه مجبر على عمله؛ لأنه مكتوب عليه. وهذا القول لازمه من أبطل الباطل، وهو نسبة الفواحش إلى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وأن الله ظلم الكفار حين جبرهم ثم عذبهم(١).

* **م التاسعة:** قوله: "**والجهمية** ": فيجب هجر الجهمية أتباع الجهم بن صفوان القائل بنفي الأسماء والصفات، وهو أخذ أصل ذلك عن الجعد بن درهم في عصر التابعين، ونسبت الطائفة للجهم ولم تنسب للجعد لأن الجهم هو الذي نشر هذه العقيدة، ثم توسع الجهمية فجمعوا ضلالات في شتى أبواب المعتقد خالفوا فيها الكتاب والسنة وسلف الأمة، فمن عقائدهم:

١ ـ أنهم معطِّلة للأسماء والصفات: فهم يردون كل صفات الله بلا استثناء، وكل اسم لله يشاركه غيره في أصله كالحي والعليم والقدير، بزعم

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ١٩٩)، الفصل في الملل (٤/١٤٦)، مقالات الإسلاميين (١/١١٤)، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (الدرر السنية: ٤/٧٦، ١٨٩).

نفي التشبيه، بخلاف التي لا يشارك بها فيثبتونها: كخالق، ومحي، ومميت.

٢ ـ معطلة لكلام الله: فيقولون بخلق كلام الله كله ومنه القرآن، وينفون رؤية الله بالعين والبصر، وينكرون أن فوق العرش شيئاً، نفياً لعلو الله.

٣ ـ مرجئة في الإيمان: فالإيمان عندهم هو المعرفة فقط، فإذا عرف الله بقلبه، فهو مؤمن وإن أظهر الكفر بلسانه وعبد الوثن.

٤ ـ جبرية في القدر: فالله هو الفاعل حقيقة لأفعال العباد، فسلبوا العبد قدرته وجعلوه مجبراً على عمله؛ لأن الله كتب عليه ذلك.

٥ ـ ويقولون بأن الجنة والنار تفنيان فلا يبقى منهما شيء(١).

ولهذه العقائد الضالة كفّرهم أكثر علماء الإسلام، حتى قال العلامة ابن القيم:

"ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني"(٢)

لأن كلامهم يدور على إنكار وجود الله، ووصفه بالعدم، حتى قال كثير من العلماء: إن كلام الجهمية مؤداه أنه ليس فوق العرش إله يُعبد، ولا رب يُصلى له ويسجد. بل قال عبد الله بن المبارك: "إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية"(٣). وقال سعيد بن عامر

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٩٣)، مقالات الإسلاميين (١/١٣٠)، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (الدرر السنية: ٦/٤٢١).

(٢) الكافية الشافية (ص٤٢).

(٣) انظر لهذا النقل والذي يليه: خلق أفعال العباد للبخاري (ص٣٠).

الضبعي: "الجهمية أَشَرُّ قولاً من اليهود والنصارى، قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان أن الله ﷻ على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء". قال شيخ الإسلام: "مرادهم أنه ما فوق العرش شيء أصلاً، ولا فوق السماوات إلا عدم محض؛ ليس هناك إله يعبد، ولا رب يدعى ويسأل، ولا خالق خلق الخلائق، ولا عرج بالنبي إلى ربه أصلاً، هذا مقصودهم"[(١)].

* **م العاشرة:** قوله: "**والخوارج**": أي يجب هجر الخوارج الخارجين على السنة والجماعة، وهجر طريقتهم، وفيه فرعان:

ـ **(الفرع الأول)**: النشأة: أول ما ظهر رأي الخوارج كان في عهد النبي ﷺ حينما اعترض ذو الخويصرة التميمي على النبي ﷺ في قسمة الفيء، واتهمه بعدم العدل، فقد بوب البخاري، فقال: (بابُ مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الخَوَارِجِ لِلتَّأَلُّفِ، وَأَنْ لَا يَنْفِرَ النَّاسُ عَنْه)، ثم أسند حديث أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: «بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ، إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[(٢)]، فقد عدّ كثيرٌ من العلماء هذا الرجل أنه أول الخوارج كما هو ظاهر تبويب البخاري، وكذا قال الآجري، والشهرستاني، وابن الجوزي[(٣)].

(١) مجموع الفتاوى (٤/٥٩).

(٢) رواه البخاري (٩/١٧ ـ ٦٩٣٣)، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، ومسلم (٢/٧٤١ ـ ١٠٦٤)، كتاب الزكاة.

(٣) انظر: الشريعة للآجري (١/٣٢٦)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٩)، تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص: ٨١)، فرق معاصرة لغالب عواجي (١/٢٣٢).

ثم ظهرت الخوارج كفرقة حين حرب صِفِّين حين حملوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ وكانوا معه ـ لقبوله التحكيم، ثم قالوا له: لِمَ حكمت بين الرجال؟ لا حكم إلا لله، فكفروه وأصحاب الجمل، ومن رضي بالتحكيم، وصوب الحكمين، أو أحدهما، وسُمُّوا حَرُورية لانحيازهم إلى حروراء بعد رجوعهم من صفين، وعددهم يومئذٍ اثنا عشر ألفاً. وقد ناظرهم علي رضي الله عنه فرجع بعضهم وقاتل الباقين حتى هزمهم، وقد افترق الخوارج إلى عشرين فرقة(١).

ـ **(الفرع الثاني)**: بقاء عقيدتهم: إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وصف الخوارج بوصف وقع في الذين خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه فوقع الوصف كما وصف، فلا يعني أن هذا خاصٌّ بهم؛ بل كلّ من اتصف بصفاتهم وانتهج منهجهم فهو منهم، فقد روى ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنه، بإسنادٍ لا بأس به أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ. ـ قَالَ عَبْدُالله بْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً ـ حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ». وجاء عن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَو رضي الله عنهما نحوه(٢).

(١) انظر للتفصيل البداية والنهاية (١٠/٥٥٤) وما بعدها. قال ابن كثير عن الخوارج في البداية والنهاية (١٠/٥٨٠): "وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد، وسبق في قدره ذلك".

(٢) رواه ابن ماجه (١/٦١ ـ ١٧٤)، [باب في ذكر الخوارج] في المقدمة، عن هشام بن عمار، عن يحيى بن حمزة، عن الأوزاعي، عن نافع، عن ابن عمر به رضي الله عنه. قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/٢٦): "هذا إسناد صحيح، احتج البخاري بجميع رواته". لكن قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٥٨٢ ـ ٢٤٥٥): "لكن ابن عمار قال الحافظ: صدوق=

وقال شيخ الإسلام: "وهذه العلامة التي ذكرها النبي هي علامة أول من يخرج منهم، ليسوا مخصوصين بأولئك القوم، فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث: أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال، وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر"[(١)]. لذا صار تعريف الخوارج ينطبق على كل من تدين بالخروج على المسلمين وأئمتهم بالسيف تكفيراً لهم بالمعاصي، أو بما يراه من المعاصي، مستحلاً لدمائهم كاستحلال دماء الكفار، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم دار الإيمان.

ـ **(الفرع الثالث)**: خطرهم: لعظم شرهم على مجتمعات المسلمين لم يأت عن الرسول ﷺ في أحد من أهل البدع مثل ما جاء في تحذيره من الخوارج المكفرين بالباطل المستحلين لدماء المسلمين، وأكد النبي ﷺ على

= مقرئ، كبر فصار يتلقن، فحديثه القديم أصح، إن كان الحديث قد حفظه، ولم يتلقنه فهو صحيح، على خلاف في سماع الأوزاعي من نافع. لكن يبدو لي أنه حديث حسن.. له شاهد من حديث شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا". قلت: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما رواه معمر في الجامع (١١/٣٧٦ ـ ٢٠٧٩٠)، ومن طريقه أحمد (١١/٤٥٥ ـ ٦٨٧١)، وأبو داود الطيالسي (٤/٤٨ ـ ٢٤٠٧)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٣٣ ـ ٨٤٩٧). وفيه قتادة مدلس وشهر مضطرب الحديث، لذا روي الحديث عنه من أوجه مرة عن الأول: هكذا: قتادة، عن شهر، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، والثانية: شهر، عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما كما عند أحمد (٩/٣٩٥ ـ ٥٥٦٢)، لكنه من طريق أبي جناب يحيى بن أبي حية: وهو ضعيف ومدلس. وثالثة: يدخل شهرٌ نوفاً البكالي بينه وبين عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما كما عند الطبراني في المعجم الأوسط (٧/٤١ ـ ٦٧٩١)، ومسند الشاميين (٤/٧٢ ـ ٢٧٦١). لكن الألباني رجح رواية قتادة عن شهر، ثم قال في السلسلة الصحيحة (٥/٥٨٣ ـ ٢٤٥٥): "وشهر لا بأس به في الشواهد، وبعضهم يحسن حديثه، ولعله لذلك سكت عنه الحاكم والذهبي".

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٥).

صفتهم البارزة من استحلالهم قتال أهل الإسلام: كما روى الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنْ الإِسْلَامِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ». زاد مسلم: «هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ، أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ"[(١)]. وزاد أيضاً من حديث أَبِي ذَرٍ رضي الله عنه: "هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»[(٢)]. لذا قال الإمام أحمد: "الخوارج قوم سوء، لا أعلم في الأرض قوماً شراً منهم، وقال: صح الحديث فيهم عن النبي، ومن عشرة وجوه"[(٣)].

ـ **(الفرع الرابع)**: الأصول: تقوم قواعد الخوارج على عدة أصول ضلوا بها وشقيت بسببها الأمة، وكل من جاء بعد هؤلاء ممن قال بأصولهم، أو ذهب مذهبهم فهو خارجي كذلك، فمن ذلك:

١ ـ ردهم للسنة النبوية: يعتمد الخوارج في تقرير أصولهم على فهمهم لظواهر النصوص القرآنية دون الرجوع لفهم السلف، ومن ثم يردون من السنة ولو تواترت ما خالف هذا الفهم، إلا ما فسر مجملها؛ لذا فهم لا يرجمون الزاني، ولا يرون للسرقة نصاباً، ويرون قضاء الحائض للصلاة؛ لذا قالت عائشة رضي الله عنها لامرأة سألتها عن ذلك: "أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ"، رواه الشيخان[(٤)]. وذي

(١) صحيح البخاري (٤/١٣٧ ـ ٣٣٤٤)، [باب قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ﴾]، كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢/٧٤١ ـ ١٠٦٤)، كتاب الزكاة.
(٢) صحيح مسلم (٢/٧٥٠ ـ ١٠٦٧)، كتاب الزكاة.
(٣) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (١/١٤٥).
(٤) صحيح البخاري (١/٧١ ـ ٣٢١)، [باب لا تقضي الحائض الصلاة]، ومسلم (١/٢٦٥ ـ ٣٣٥)، كلاهما في كتاب الحيض.

الخويصرة زعم أن قسم النبي ﷺ للغنائم جور، ظناً منه أنّ المال يعطى للأكمل إيماناً لا للأنفع للدين، قال شيخ الإسلام: "والخوارج جوزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف ـ بزعمهم ـ ظاهر القرآن"(١).

٢ ـ التكفير بالكبائر من الذنوب وبالحسنات: وهذا بسبب شدة جهلهم بالكتاب والسنة ومنهج السلف:

أ ـ فأما تكفيرهم بالذنوب: فلأن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، وهو شيء واحد إن ذهب بعضه ذهب كله؛ لذا حكموا بأن صاحب الكبيرة كالزاني والسارق ليس معه شيء من الإيمان، فهو مخلد في النار.

ب ـ فأما التكفير بالحسنات: فلأنهم قد يعدون جهلاً ما ليس بذنب ذنبًا، فيكفرون به، كما كفروا عليًّا ومعاوية رضي الله عنهما بالتحكيم، مع أن النبي ﷺ قال للحسن رضي الله عنه بسبب ذلك الصلح: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ»، رواه البخاري عن أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه(٢).

٣ ـ البراءة من كل من خالفهم: الولاية في الله والبراءة في الله عند الخوارج لا تتبعض ولا تتجزأ، فإما أن يكون موالياً لأولياء الله فهو مؤمن، أو مبغضًا لهم فهو غير مؤمن، هذه حقيقة الإيمان عندهم، وأوجب الواجبات بعد التوحيد، فمن لم يدن بها فلا دين له ولا ولاية له، وبما أن الخوارج

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/٧٣).

(٢) صحيح البخاري (٣/١٨٦ ـ ٢٧٠٤) [باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي]، كتاب الصلح.

يكفرون المسلمين بالذنوب وبما يرونه من الذنوب؛ لذا فهم لا يتولون إلا أنفسهم، ويتبرؤون من كل من سواهم من أصحاب المعاصي الظاهرة.

٤ ـ موقفهم من الصحابة: يعترف الخوارج بالإمامة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وينكرون إمامة عثمان رضي الله عنه في وقت الأحداث التي نُقِمَ عليه من أجلها، وإمامة عليٍّ رضي الله عنه لما أجاب إلى التحكيم، ومن ثم فهم يتبرؤون من عثمان وعليٍّ ومن والاهما، ويكفرونهم، فيكفرون أصحاب الجمل، ومن رضي بالتحكيم، وصوّب الحكمين، أو أحدهما، ويقولون عن طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أنهم بمنزلة البراءة، وقد حرم الله عليهم الجنة.

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الخوارج يرون أن من أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وجوب قتال الحاكم إذا فعل كبيرة أو بما يرونه كبيرة، ووجوب إزالته من الولاية لكفره، لذا فهم يخرجون حتى يقيموا العدل بزعمهم ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويعودوا بالناس إلى ربهم وإلى دينهم، فيحركون عامتهم للخروج وحمل السلاح، ويستثيرونهم لتحقيق تلك الغاية(١).

لذا اعتبر العلامة ابن القيم أن أهل البدع يجعلون ما نصبه الشارع سبباً إلى أمر مقصود، سبباً إلى أمر محرم مقصود اجتنابه، ثم قال: "وأخرجت الخوارج قتال الأئمة والخروج عليهم بالسيف في قالب الأمر بالمعروف

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٥٤)، الفصل في الملل (١٤٤/٤)، مقالات الإسلاميين (٨٤/١)، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (الدرر السنية: ٣٢٦/٤)، كتاب الخوارج للدكتور غالب عواجي.

والنهي عن المنكر"[١].

* **م الحادية عشرة:** قوله: "**والسالمية**": أي يجب اجتناب وهجر السالمية المبتدعة، وهم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم الكبير البصري، مات سنة (٢٩٧هـ)، ثم ابنه أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم (الصغير) مات لسنة (٣٦٠هـ)، وهو أستاذ لأبي طالب المكي، قال الذهبي في ترجمة الأب: "أقام بالبصرة، وله بها أصحاب يُسَمّون السالميّة، هجرهم النّاسُ لألفاظٍ هجنة أطلقوها وذكروها"[٢]. وقال في ترجمة الابن: "شيخ السالميّة، وكان له أحوال ومجاهدات، وعنه أخذ الأستاذ أبو طالب صاحب القوت، وهو آخر أصحاب سهل التستري وفاة، وقد خالف أصول السنَّة في مواضع، وبالغ في الإثبات في مواضع، وعمر دهراً، وبقي إلى سنة بضع وخمسين"[٣]. ووهم من نسب "السالمية" لطائفة "الجواليقية" نسبة لهشام بن سالم الجواليقي؛ لأن هؤلاء روافض مشبهة ملحدون يقولون: الله جسم مصور بصورة الانسان كما تقدم، وأما السالمية فحاولوا أن يجمعوا بين مذهب أهل الحديث ومذهب الكلابية فوقعوا في المتناقضات، ولذا فمن أصولهم الضالة:

١ ـ موافقتهم الكلابية ثم الأشاعرة فأثبتوا الصفات التي هي قديمة بأعيانها لازمة لذات الله كالعلم والقدرة والحياة، ونفوا الصفات الاختيارية كالمجيء والإتيان والاستواء التي تكون بمشيئة الله وقدرته؛ بزعم أن الله ليس محلًّا للحوادث.

(١) إغاثة اللهفان (٢/٨١).
(٢) تاريخ الإسلام (٢٦/٢٢٦).
(٣) العبر في خبر من غبر (٢/١٠٩).

٢ ـ وألحقوا بالقديم كلام الله فلم يفرقوا بين جنس الحروف والكلام وبين عين الحروف والكلام الأزلي، فقالوا: كل كلامه حروف وأصوات قديمة لم تعدم في وقت من الأوقات، بل هي لازمة لذاته أزلاً وأبداً كلزوم الحياة والعلم، ولا تعلق لها بمشيئته، ولا يتكلم بشيء بعد شيء، بل الحروف والأصوات متقارنة لا يسبق بعضها بعضاً؛ ولذا يسمون أيضاً بالاقترانية. فالسالمية الاقترانية خالفوا الكلابية والأشاعرة الذين قالوا: ما سمعه جبريل وموسى عليهما السلام من الله مخلوق للتعبير عما في الذات، فقال السالمية: ما سمع من الله بغير واسطة كسماع جبريل وموسى عليهما السلام قديم أزلي غير مخلوق لا يسبق بعضه بعضاً، ثم اختلفوا في الأصوات المسموعة من القراء: فذهب جمهورهم إلى أن تلك الأصوات المسموعة من القارئين بالقرآن هي أصوات القراء. وقال بعضهم: إن ما يسمع من أصواتهم بالقرآن هو الكلام القديم، وقد يصرحون بأنه صوت الله ـ تعالى الله ـ. وبعضهم يقول: صوت قديم ومحدث.

لذا قال ابن القيم في:

"الفرقة الأخرى فقالت إنه ... لفظا ومعنى ليس ينفصلان
واللفظ كالمعنى قديم قائم ... بالنفس ليس بقابل الحدثان
فالسين عند الباء لا مسبوقة ... لكن هما حرفان مقترنان
والقائلون بذا يقولون إنما ... ترتيبها بالسمع والآذان
ولها اقتران ثابت لذواتها ... فاعجب لذا التخليط والهذيان"[(١)]

(١) الكافية الشافية (ص: ٤١).

٣ ـ ومن جمعهم بين المتناقضات أنهم قالوا: إن الله بذاته فوق العرش، وهو بذاته في كل مكان، ويزعمون أنهم يجمعون بين نصوص العلو ونصوص المعية، فلا فرق عندهم بين العرش وغيره من الأمكنة، كالجبال وبطون الأودية بل الحشوش ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً ـ، ولا فائدة لقوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

٤ ـ ومن أقوالهم الباطلة أن الله ﷻ يتجلَّى يوم القيامة لكل شيء في معناه، فيراه الآدمي آدميًا، والجني جنيًا[١].

* م الثانية عشرة: قوله: "والكراميّة": أي يجب اجتناب وهجر الكرامية المبتدعة، وهم أتباع محمد بن كرّام الذي نشأ في سجستان، وتوفي ببيت المقدس سنة (٢٥٥هـ)، ومن أصولهم الضالة:

١ ـ مرجئة في باب الإيمان: لقولهم إن الإيمان مجرد قول باللسان، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن جعلوا التصديق من لوازم الإيمان، ولذا من تناقضهم أنهم يجمعون بين كمال الإيمان والخلود في النار للشخص الواحد.

٢ ـ مشبهة: زعم ابن كرام أن معبوده جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقى عرشه، وأن الله تعالى مماسٌّ لعرشه، وأن العرش

(١) انظر: المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (٢١٩ ـ ٢٢١) وساق جملة من عقائدهم، والموسوعة العقدية (الدرر السنية: ٣/٣٩٢). وكتاب العرش للذهبي (١/٢٦٣)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي (ص: ٧٦). وهناك رسالة دكتوراه بعنوان "السالمية منهجها وآراؤها في العقيدة والتصوف" للدكتور عبدالله بن دجين السهلي.

مكان له، وأبدل أصحابه لفظ المماسة بلفظ الملاقاة منه للعرش.

٣ ـ معطلة: زعموا أن معبودهم لم يزل موصوفًا بأسمائه المشتقة من أفعاله، مع استحالة وجود الأفعال في الأزل، فهو لم يزل خالقاً رازقاً منعمًا من غير وجود خلق ورزق ونعمة منه، فخالقيته قدرته على الخلق، ورازقيته قدرته على الرزق، والقدرة قديمة، والخلق والرزق حادثان فيه بقدرته.

٤ ـ سموا قوله للشيء "كن" خلقًا للمخلوق وإحداثا للمحدث، وفرقوا بين قوله وكلامه فقوله عندهم حادث فيه، وكلامه قديم[(١)].

* **م الثانية عشرة:** قوله: **"وبقية الفرق المذمومة"**: وفيه فروع:

ـ **(الفرع الأول)**: يبين المصنف أن ما ساقه من أسماء بعض الفرق الضالة ليس المقصود منه الحصر، بل على سبيل التمثيل، فيجب أن يجتنب المسلم كل الفرق الضالة المخالفة لطريقة السلف الصالح، كما روى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ بإسناد جيد: أن رسول الله ﷺ قال: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[(٢)]، صححه الترمذي وابن حبان

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢٠٢)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٠٨)، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (الدرر السنية: ٣/١٤٣)

(٢) رواه أحمد (١٤/١٢٤ ـ ٨٣٩٦)، وأبو داود (٤/١٩٧ ـ ٤٥٩٦)، [باب شرح السنة]، كتاب السنة، والترمذي (٥/٢٥ ـ ٢٦٤٠)، [ما جاء في افتراق هذه الأمة]، أبواب الإيمان، والمروزي في السنة (٢٣ ـ ٥٨)، وأبو يعلى (١٠/٣١٧ ـ ٥٩١٠)، وابن حبان (١٥/١٢٥ ـ ٦٧٣١)، [ذكر الإخبار عن فرق البدع وأهلها في هذه الأمة]، والحاكم في المستدرك (١/٤٧ ـ ١٠)، (١/٢١٧ ـ ٤٤١)، كلهم من طرق عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة،=

والحاكم. وزاد (١) عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه عند ابن ماجه وصححه الحاكم. (٢) ومُعَاوِيَةُ رضي الله عنه عند أحمد وأبي داود. (٣) وأَنَسٌ رضي الله عنه عند ابن ماجه وصححه الضياء. (٤) وعبدالله بن عمرو رضي الله عنه عند الترمذي. (٥) وأبو أمامة رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة، واللفظ للأول: «فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»[(١)]، وقد عُدَّ هذا الحديث من المتواتر[(٢)].

ـ (الفرع الثاني): جاء عن بعض السلف محاولة تعيين الفرق الهالكة وبيان أصولها التي ترجع إليها. فقيل لعبد الله بن المبارك: "على كم افترقت هذه الأمة؟ فقال: الأصل أربع فرق: هم الشيعة، والحرورية، والقدرية، والمرجئة، فافترقت الشيعة على ثنتين وعشرين فرقة، وافترقت الحرورية على إحدى وعشرين فرقة، وافترقت القدرية على ست عشرة فرقة، وافترقت المرجئة على ثلاث عشرة فرقة"، فقيل له: لم أسمعك تذكر الجهمية، قال: "إنما سألتني عن فرق المسلمين"[(٣)]. وقال يوسف بن أسباط: "أصل البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، ثم تتشعب كل فرقة

= عن أبي هريرة به رضي الله عنه. صححه ابن حبان، وقال الترمذي: "حسن صحيح". وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، قال الذهبي متعقبًا: "ما احتج مسلم بمحمد بن عمرو منفردًا بل بانضمامه إلى غيره".

(١) انظر: جامع الأصول (١٠/٣٢)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر (١٢/٤٩٤)، اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري (٨/٣٥)، تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر (١/٤٤٧)، والأجوبة المرضية للسخاوي (٢/٥٦٩).

(٢) انظر: المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني (٤٥ ـ ١٨).

(٣) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (١/٣٧٩).

ثماني عشرة طائفة، فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالث والسبعون الجماعة التي قال رسول الله ﷺ: (إنها الناجية) "(١).

ـ وقد سلك هذا الطريق جماعة من أهل العلم؛ بمحاولة عد الفرق على سبيل الاستقصاء كالبغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق"، والشهرستاني في كتابه "الملل والنحل"، وابن الجوزي في كتابه "تلبيس إبليس"، لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات وذكروهم في كتب المقالات، لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة.. هي إحدى الثنتين والسبعين لا بد له من دليل؛ فإن الله حرم القول بلا علم عموماً، وحرم القول عليه بلا علم خصوصاً"(٢).

ـ (الفرع الثالث): أنه بعد عصور السلف نشأت فرقٌ داخلة في سبيل الفرق الضالة الهالكة؛ كالصوفية، والقادينية، والتيجانية، والعلمانية، والمدرسة العقلانية، وغيرها من الفرق الضالة، وقد صحح ابن حبان والحاكم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اللهِ"، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ"، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»(٣).

(١) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٣٧٦/١).
(٢) انظر لهذا النقل والذي يليه مجموع الفتاوى (٣٤٦/٣).
(٣) رواه أحمد (٢٠٧/٧ ـ ٤١٤٢)، والطيالسي (١٩٧/١ ـ ٢٤١)، والدارمي (٢٨٥/١ ـ ٢٠٨)، [باب في كراهية أخذ الرأي] في المقدمة، والبزار في البحر الزخار (٩٩/٥ ـ ١٦٧٧)، (٢٥١/٥ ـ ١٨٦٥)، والشاشي (٥٠/٢ ـ ٥٣٦) في مسنده، وابن حبان (١٨٠/١ ـ ٦)،=

روى الدارمي عَنْ مُجَاهِدٍ قال: " ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾، قَالَ: الْبِدَعَ وَالشُّبُهَاتِ"[(١)]. فكل من خالف الكتاب والسنة ومنهج الصحابة في العقيدة والعمل فهو على سبيل أهل الضلال. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة".

ـ (الفرع الرابع): هذه الفرق كونها في النار كما في الحديث يحمل على أنه من باب الوعيد؛ إذ من كانت بدعته مخرجة عن الإسلام فدخوله للنار دخول خلود لكفره، وأما من كان دون ذلك، فهو ضال ببدعته متوعد بالنار، داخل تحت المشيئة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن قال: إن الثنتين والسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفرًا ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين

= [ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم سنن المصطفى ﷺ]، والحاكم في المستدرك (٢٦١/٢ ـ ٢٩٣٨)، من طرق عن عاصم ابن أبي النجود، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه به، إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، ورواه البزار عن عمرو بن علي الفلاس، عن يحيى بن سعيد القطان، عن سفيان بن سعيد ابن مسروق الثوري، عن أبيه، عن منذر الثوري، عن الربيع بن خثيم، عن ابن مسعود، وإسناده صحيح. قال البزار: "وهذا الكلام قد روي عن عبد الله من غير وجه نحوه أو قريباً منه".

(١) رواه الدارمي (٢٨٦/١ ـ ٢٠٩)، [باب في كراهية أخذ الرأي] في المقدمة، والطبري في جامع البيان (٢٢٩/١٢ ـ ١٤١٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٢٢/٥ ـ ٨١٠٤)، والهروي في ذم الكلام وأهله (٣١٦/٤ ـ ٧٧١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٩٨/١ ـ ١٣٤) من طرق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وإسناده على شرط البخاري.

فرقة، وإنما يكفر بعضهم بعضًا ببعض المقالات"[١].

ـ (الفرع الخامس): أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين أنه يجب على المسلم أن يلزم الصراط المستقيم، وأن يبتعد عن ضلالات تلك الفرق التي هي من سبل الشيطان، وعليه أن يهجرهم، ويهجر طريقتهم، وأن يبين للناس ضلالاتهم نصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم. قال ابن بطة: "أعاذنا الله وإياكم من الآراء المخترعة والأهواء المتبعة، والمذاهب المبتدعة، فإن أهلها خرجوا عن اجتماع إلى شتات، وعن نظام إلى تفرق، وعن أُنس إلى وحشة، وعن ائتلاف إلى اختلاف، وعن محبة إلى بغضة، وعن نصيحة وموالاة إلى غش ومعاداة، وعصمنا وإياكم من الانتماء إلى كل اسم خالف الإسلام والسنة"[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٢١٨).

(٢) الإبانة الكبرى (١/٣٨٨).

قال المصنف:

"فهذا اعتقادي وما أدين به لربي، وهو الذي مضى عليه والدي رحمه الله، والحمد لله وصلى على محمد وعلى آله أجمعين".

بين المصنف في خاتمة هذه العقيدة أن ما ساقه هو عقيدته التي يدين بها، وهذا الذي مضى عليه والده العلامة القاضي أبو يعلى، وهنا يتبين لنا سبب وقوع بعض الأخطاء في بعض الألفاظ التي مرت علينا في شرح هذه العقيدة، ونسبها ابن أبي يعلى للسلف؛ كمسألة الجسم، ومسألة وصف كلام الله بأنه قديم دون تفصيل، وكذا وصف لتلاوة التالين بالقدم؛ لأنه أخذ هذه العقيدة عن والده القاضي أبي يعلى، والقاضي أبو يعلى كان عنده بعض الخلط بين مذهب السلف، ومذهب الكلابية والأشاعرة في باب الأسماء والصفات، لذا أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى طوائف أخذوا عن النفاة من الجهمية والمعتزلة في باب الأسماء والصفات، فذكر ثلاثة أنواع: الأول: من لا خبرة لهم بالعقليات، فيأخذون ما قاله النفاة براهين قطعية على أنه موافق لمذهب السلف؛ كالبيهقي، والقاضي عياض، وابن الجوزي. وأما النوع الثاني: من يجتهد في العقليات ويغلط فيها، فيشارك الجهمية في بعض أصولهم الفاسدة، وهذه كحال ابن حزم، والباجي، وابن العربي. ثم ذكر النوع الثالث الذين منهم أبو يعلى فقال: "ونوع ثالث: سمعوا الأحاديث والآثار، وعظموا مذهب السلف، وشاركوا المتكلمين الجهمية في بعض أصولهم الباقية، ولم يكن لهم من الخبرة بالقرآن والحديث والآثار ما لأئمة السنة والحديث، لا من جهة المعرفة والتمييز بين صحيحها وضعيفها، ولا

من جهة الفهم لمعانيها، وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية، ورأوا ما بينهما من التعارض. وهذا حال أبي بكر بن فورك، والقاضي أبي يعلى، وابن عقيل وأمثالهم"[١]. وإن كان شيخ الإسلام ذكر أن القاضي قد اضطراب في مواضع، فحين ذكر موافقة أبي يعلى للكلابية في نفي ما يقوم بالله من الصفات المتعلقة بمشيئته، قال: "وإن كان في كلام القاضي ما يوافق هذا تارة، وهذا تارة"[٢]. وذكر أنه رجع عن مسائل، كرجوعه لمذهب السلف في قولهم بأن الخلق غير المخلوق وأنه فعل يقوم بالرب، قال: "وإليه رجع القاضي أبو يعلى أخيرًا"[٣].

تمت شوال ١٤٣٧ هـ

(١) درء تعارض العقل (٧/٣٤).
(٢) درء تعارض العقل (٧/٣٥).
(٣) مجموع الفتاوى (٦/٢٩٨).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تمت

	كتب للمؤلف	الحالة
١	براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمة	طبع
٢	أقوال ذوي العرفان في أن العمل داخل في مسمى الإيمان	طبع
٣	حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة	طبع
٤	جهاد المسلمين بين فهم الغلاة وتخذيل المرجفين	خ
٥	التحرير في بيان أحكام التكفير	طبع
٦	مختصر الجمع بين الصحيحين	يطبع
٧	زوائد صحيح البخاري على صحيح مسلم	خ
٨	الإعلام بشرح بلوغ المرام ـ لم يكمل	نشر في الشبكة
٩	تمام الإنعام بشرح عمدة الأحكام ـ لم يكمل	نشر في الشبكة
١٠	بلغة المعاد بشرح كتاب الزاد ـ لم يكمل	نشر في الشبكة
١١	جني الثمر بشرح نخبة الفكر لابن حجر	طبع
١٢	بغية المتقن بشرح تذكرة ابن الملقن	طبع
١٣	القلائد العنيزية بشرح المنظومة البيقونية	طبع
١٤	كتاب دراسة الأسانيد	خ
١٥	مختصر جهاد المسلمين بين فهم الغلاة وتخذيل المرجفين	نشر في الشبكة
١٦	مختصر كتاب حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة	نشر في الشبكة
١٧	التقريرات الجياد بشرح كتاب لمعة الاعتقاد للحافظ المقدسي	خ

	كتب للمؤلف	الحالة
١٨	شرح المنظومة الحائية لابن أبي داود	خ
١٩	فتح الحليم بشرح رسالة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إلى أهل القصيم	خ
٢٠	براءة الشيخ الإمام من غلو أو تفريط أهل الإسلام	خ
٢١	تنقيح المداد بشرح كتاب ابن أبي يعلى في الاعتقاد	هو كتابنا هذا
٢٢	ترتيب كتاب مختصر الجمع بين الصحيحين للموصلي	خ
٢٣	شرح موسع لعشرين بابًا من سنن الترمذي	دروس في جامع ابن عثيمين في حياته
٢٤	بحث بيان السنة للقرآن الولاء والبراء أنموذجاً	نشر في المجلات العلمية المحكمة
٢٥	بحث الموازنة بين منهج المتقدمين والمتأخرين في الحديث	نشر في المجلات العلمية المحكمة
٢٦	بحث المعاهدات الدولية في السنة النبوية	نشر في المجلات العلمية المحكمة
٢٧	بحث دور السنة في دحض شبهات التكفير	نشر في المجلات العلمية المحكمة
٢٨	بحث مكانة الإمامة في الكتاب والسنة	نشر في المجلات العلمية المحكمة
٢٩	الإجابات الوافية لموافقة الخوارج في الأصول لمنظمة القاعدة	نشر في الشبكة
٣٠	محاضرة سلامة القلوب ـ بتعليق سماحة المفتي	طبع

	كتب للمؤلف	الحالة
٣١	محاضرة الاعتصام بالكتاب والسنة ـ بتعليق سماحة المفتي	طبع
٣٢	محاضرة أصول الخوارج قديماً وحديثاً ـ بدولة الكويت	خ
٣٣	محاضرة السياسة الشرعية وأثرها في تحقيق المصالح العليا للأمة	خ
٣٤	محاضرة تأصيل فقه المواطنة	خ
٣٥	محاضرة حرمة الدماء المعصومة	خ
٣٦	محاضرة الغلو أسبابه وعلاجه	خ
٣٧	محاضرة الطريق الشرعي للإصلاح والمطالبة بالحقوق	خ